نجوم في عز الضهر

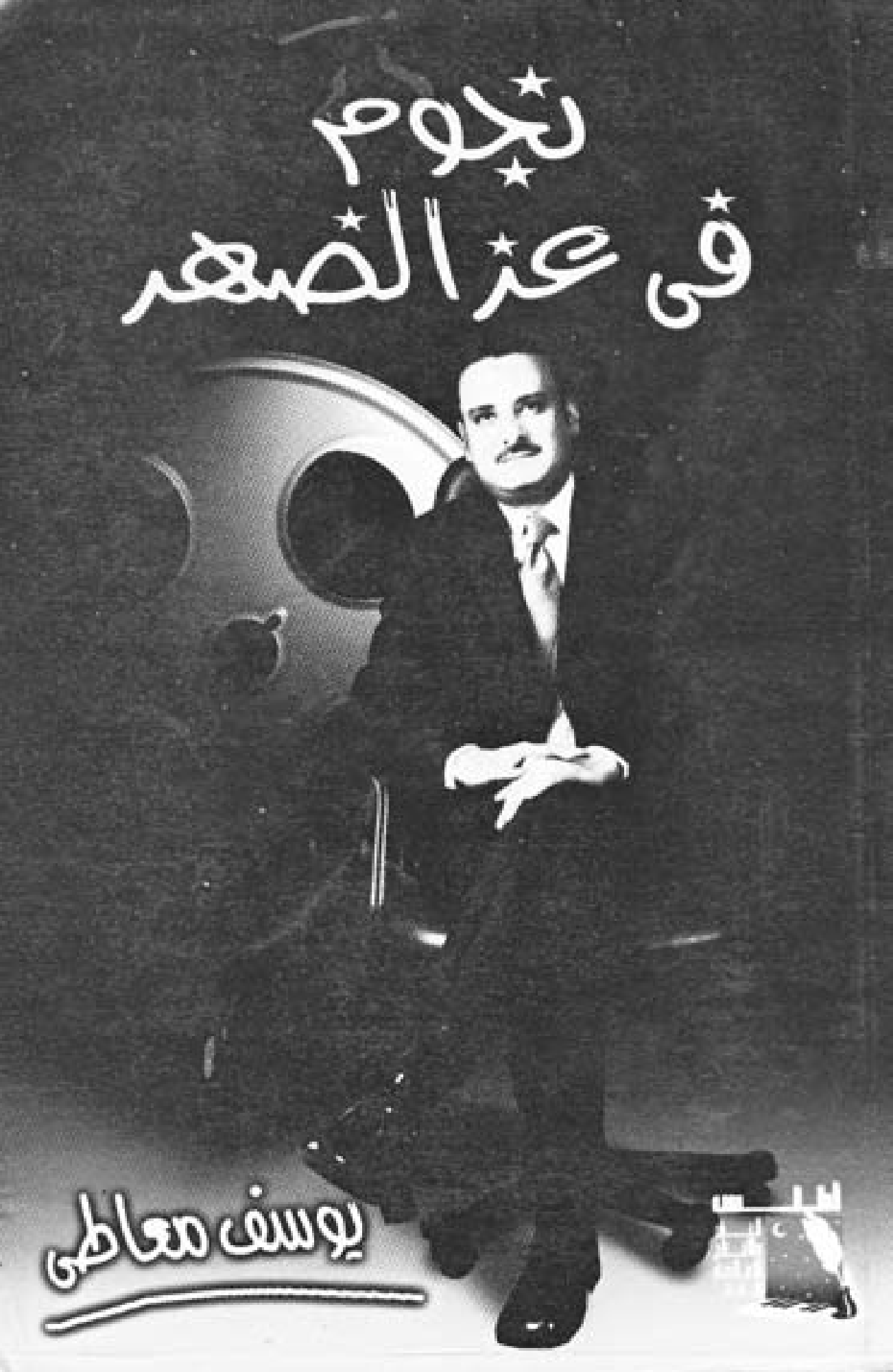

يوسف معاطي

نجوم في غزل الضفائر

يوسف معاطي

منتديات المكتبة العربية
www.Tipsclub.net
Amly

إهداء

إلى زوجتي ..

النجمة .. منى الشرقاوي

التي رأيت معها ..

النجوم في عز الظهر

يوسف

المقدمة

أكثر من عنوان.. وضعته لهذا الكتاب.. ولم أرض عنها جميعًا.. فكل عنوان اخترته.. كان دائمًا ينقصه شيء ما.. فهذا عنوان (جاد) أكثر من اللازم وهذا عنوان (خفيف).. وهذا عنوان مناسب للكتاب.. ولكنه ليس مناسبًا لى أنا فالقارئ حينما يتعود على نوعية معينة من العناوين لكاتب ما.. يصبح شريكًا له فى وضع العنوان ولا يقبل منه أن يفتح سكة جديدة أو يأخذ منهجًا آخر ..

وحيرتى فى اختيار العنوان نابعه أساسًا من أننى أنهيت الكتاب أولاً وبدأت بعدها أفكر فى العنوان.. والحقيقة أن هذا الكتاب لم يكن كتابًا من أصله.. ولم

أكتبه (خبط لزق) وراء بعضه.. وإنما كتبته فى أكثر من عشر سنوات.. لم أتفرغ فيها طبعًا لكتابته وإنما.. كان يأتى هكذا من تلقاء نفسه.. حينما كان يتملكني- فجأة هذا الغرام الغريب بشخصية ما.. فنية.. أدبية.. فأجد نفسى باللاوعي.. أكتب عنها تلقائيا أخرج طاقة الحب المفاجئة هذه على الورق.. وهذه الشخصيات التى ستجدها فى الكتاب لا رابط بينها.. ولا توجد أدنى علاقة بينها سوى شيء واحد.. أنهم.. ناس بحبهم.. وكما يقول توماس كارليل.. إن التاريخ ليس أحداثا ووقائع.. انه مجرد سير لبعض الشخصيات المؤثرة.. وعليه فقد فكرت - فى أن أجمع كل هؤلاء الناس الذين أحبهم بين دفتى كتاب.. ربما ليعرف القارئ لماذا أحبهم.. وربما لألفت نظره.. كيف يحبهم هو أيضًا من زاوية جديدة.. وربما لأن كثيرا من الكتابات التى تتعرض للشخصيات هذه الأيام مليئة بالكراهية والهجوم والنقد الجارح.. وهى كتابات رائجة.. مؤيدة

لمسروع الحقد القومى فأردت أن أقيس مدى إقبال الناس على كتابات عن ناس بحبهم.. متحديًا صديقى الأديب الذى قال لي.. إن عنوان (ناس بحبهم) عنوان فاشل تجاريًا.. وإذا أردت للكتاب أن يمشي.. اجعل عنوانه (ناس بحبهم وناس باكرههم).. أن هذا يجعله (حرافًا) ولكننى حينما استعرضت كل كتاباتى لسنوات طويلة.. اكتشفت أننى لم أكتب حرفًا واحدًا عن شخص أكرهه.

وفكرة الكتابة عمن نحب.. فكرة قديمة بل وأصيلة فى التاريخ الإنسانى كله.. فالحب هو حاجة كده تطبق على نفسك وتجعلك فى حالة ليس لها تفسير. مبسوط.. قلقان.. مبهور.. زعلان.. مش على بعضك.. ولكن شيئا ما بداخلك يظل يزن على ودانك.. قل.. تكلم.. عبر عما بداخلك.. ولذا أنا لا أؤمن بالحب فى صمت بل أننى أعتبر أن ثلاثة أرباع الحب هو قدرتنا على التعبير عنه والبوح به فهل نحب الله صامتين؟! أم نرفع أيدينا

فى الصلاة ونقول الله أكبر. وحينما نحب شخصًا ما.. فإن هذا الحب لا يتجلى ولا يصبح ملموسًا إلا إذا تحول إلى كلام.. إن أقسى حكم على عاشق من العشاق.. هو ذلك الحكم الجاهلى بألا يتغزل الحبيب فى حبيبته.. وإلا حرم منها إلى الأبد.. وبرغم ذلك.. فلم يستطع عاشق واحد أن ينفذ الحكم.. كلهم قالوا.. صرخوا.. وأنا أيضًا لا أستطيع أن أسكت.. فأنت إذا كرهت أحدًا.. تستطيع أن تقول منه لله.. وتسكت وتنسى الأمر برمته.. ولكنك إذا أحببت أحدًا وكتمت هذا الحب يبأه منك لله لأنك حرمت نفسك من متعة أن تحب.. وحرمته من سعادة أن يشعر أنك تحبه وظللت هكذا.. لما أحب.. أقول علطول.. يأتينى طيف سعاد حسني.. فأقوم وأكتب عنها.. أفتكر رشدى أباظة.. لا أصبر.. أكتب عنه.. أتذكر إحسان عبد القدوس.. الريحاني.. ليلى مراد.. يوسف وهبي.. ولا أستطيع أن أغلق فمى أو أمنع قلمي.. وما الحياة إلا ناس نحبهم.. ونتذكرهم.. ولذا قلت

لصديقى الذى أضاف لعنوان الكتاب.. وناس باكرهم.. لا يا عزيزى الكراهية ليست فى حاجة إلى دعاية وإعلانات.. إن سوق الكراهية شغال لوحده..

وكان الاسم الثانى للكتاب.. (ملوك على عرش الفن).. وهو عنوان مقال لى بداخل الكتاب.. وكنت أرى فيه أن دولة السياسة زائلة.. وعروش الملوك ذاهبة.. ولكن تبقى عروش المبدعين خالدة أبدًا.. والفكرة نفسها أنا أؤيدها جدًا.. ولكن يظل العنوان.. محفلطًا كلاسيكيًا مرتديًا بدلة وكرافاتة. فخمًا بلا داعي.. ملوك قال!! وعرش!! والفن!!.. كلام كبير ومجعلص.. والحكاية بسيطة بساطة متناهية فالكتاب ليس به أسرار خطيرة ولا جاسوسية ولا مخابرات ولا قصص زواج وطلاق.. ا لكتاب عن ناس بحبهم.. وبس..

ولكن أحدهم قال لي.. هل كتبت عن فلان؟ قلت له لأ.. وأردف متسائلاً.. وفلانة.. هل نسيتها؟.. قلت له..

آه.. للأسف.. قال.. وهل تحبهم.. قلت له جدًا.. ولكننى لا استطيع أن أضمن كتابى كل من أحبهم .. هذا يا صديقى مشروع موسوعة..

قال لي: إذن أنت ظلمت من تحب بدون أن تدري.. ووجدت كلامه منطقيًا إلى حد كبير..ووجدت نفسى أعمل مثل ضيوف البرامج التليفزيونية وأنا أشكر القائمين على عمل ما.. ثم أقول.. يا رب أكون ما نسيتش حد.. وأخيرًا.. وجدت عنوان الكتاب حينما أدركت أن هؤلاء الذين تكلمت عنهم.. بلا ترتيب وبلا رابط.. وبلا خطة.. بعض الذين أحبهم وليسوا كلهم وإنما هم وش القفص.. اللى طلع فى أيدى إنما القفص لا يزال عامرًا .. بآخرين.. أحبهم جدًا.. (وش القفص).. ليكن هذا هو العنوان.. ولكن.. وآه من ولكن هذه.. أليس العنوان به استسهال!؟ ربما تناسب سوق الخضار أو سوق الفاكهة.. أما سوق الإبداع والفن ألا يحتاج منى أن أتعب نفسى أكثر.. هل اسمى الكتاب مثلاً.. أهل المحبة.. والله

مش وحش ما رأيكم.. ولكنه يشبه عنوان ما قرأته قبل ذلك.. يذكرنى بعطر الأحباب.. و.. و.. وبعدين.. ما رأيكم فى (ياللى بدعتوا الفنون) إنها تقدمة حقيقية لهؤلاء المبدعين الذين هم نجوم هذا الكتاب.. فالشيء الذى جمع بينهم هنا .. هو الإبداع وتلك هى حلقة الوصل الوحيدة .. ولكن .. ما لي.. أجرى وراء الأغانى الشهيرة.. وأغتصبها هكذا كما يعملون فى عناوين أفلام هذه الأيام.. وأضعها عنوانًا لكتابي..

وهكذا ظللت طوال الليل.. أبحث عن عنوان.. وطلع الفجر.. وملأت الشمس بضوئها الذهبى حجرتى المليئة بأوراق كلها عناوين.. لم تعجبنى..

ونظرت إلى النجوم الذين أتعبونى من منتصف الليل.. حتى الظهيرة فى اليوم التالي.. باحثًا عن عنوان يجمعهم.. فلم أجد.. غير هذا.. (نجوم فى عز الضهر) فإذا كان عنوانًا.. مجرد عنوان.. قد أرهقنى كل هذا

الإرهاق.. فما بالكم فيما تكبده هؤلاء النجوم والمبدعون الكبار من جهد ومشقة لكى يصلوا إلى القمم التى وصلوا إليها؟! حتى صاروا بهذا البريق وهذا اللمعان وهذا الأثر.. اختفت يا أعزائى كل نجوم الليل.. ولم يبق أمامي.. سوى نجوم تلمع وتتلألأ.. أمامي.. فى عز الضهر.

يوسف معاطى

ملوك على عرش الفن

كلنا يذكره.. كلنا يعرفه جيدًا.. ربما ضاع الاسم.. أو محته السنون.. ولكنه بملامحه.. بأثره موجود.. بل إن حضوره أقوى بكثير من أسماء أخرى، ملء الأسماع والأبصار.. اسمه عبد العزيز خليل..

اصبر قليلاً عزيزى القارئ.. استنى شوية.. لا تتساءل هكذا علطول.. ومن عبد العزيز خليل هذا.. إنه الشرير الخرافى العبقرى فى فيلم العزيمة.. إنه الممثل المهول فى خاتم سليمان.. إنه الرجل الذى كان يمثل بعينيه.. وبكل خلجة من خلجات نفسه.. وهذا الرجل بالمناسبة كان بطلاً.. وأستاذًا فى الثلاثينيات..

وذات ليلة كان على خشبة المسرح يؤدى دور محمد على باشا.. جلس فى غرفته بالمسرح.. المصيبة صارت مصيبتين.. المصيبة الأولى الشخصية التى يؤديها.. محمد على باشا!!! إنه يضع الذقن البيضاء الكثيفة.. وينظر فى المرآة.. ليدخل فى إهاب الشخصية ليتقمصها وبعد وضع الملابس والماكياج سيخرج من غرفته بالمسرح متجهًا إلى الخشبة.. وقد ترك عبد العزيز خليل فى الأوضة وأصبح هو شخصيًا محمد على باشا.. المصيبة الثانية.. من الذى يشاهد العرض هذه الليلة؟ الملك فؤاد.. ربنا يعدى الليلا دى على خير.. وفتح الستار.. والملك جالس فى البنوار.. يشاهد العرض فى ضيق.. فلم يكن يحب المسرح والكلام الفاضى ده.. وفجأة .. طلع محمد على باشا على صهوة حصانه.. وانحنى كل من على الخشبة.. ونظر الملك فؤاد وهو لا يكاد يصدق عينيه.. إن جده العظيم قد تجسد له بشحمه ولحمه ونظرته الرهيبة.. وبحركة لا

إرادية.. قام الملك ووقف احترامًا لجده الباشا.. وهل تعلمون يا أعزائي.. معنى أن يقوم ملك ويقف.. قامت الصالة كلها طبعًا والمسرح كله هب واقفًا.. ومرت فترة صمت رهيبة.. الكل فيها واقف فى رعب.. لا أحد يجرؤ على الجلوس أو على فعل أى شىء ولم ينقذ الموقف سوى إشارة من يدى عبد العزيز خليل.. كانه هو الباشا نفسه.. يسمح للملك بالجلوس بكل عظمة.. وكل فخامة.. يا لعظمة الفن.. إن به لسحرا ومغناطيسية.. بعد العرض.. كان الباشا (عبد العزيز خليل) جالسًا على مقهى فى عماد الدين هو وزملاؤه وقد فردوا ورقة بها بعض من أقراص الطعمية والباذنجان المخلل.. والعيش السخن.. وكان هذا الممثل الجبار الذى أجلس الملك فؤاد بإشارة من يده.. قد بح صوته لينادى القهوجي.. شوية مية يا بني.. اللقمه واقفة فى زوري.. الفن أبقى من السياسة.. هذه حقيقة.. فقد استطاعت الثورة أن تمحو اسم وصورة الملك فاروق من كل مكان.. واستطاعت أن تلغى من الوجود أسماء وكوادر سياسية مهمة عاشت فى الحياة السياسية قبل الثورة.. ولكنها الثورة- يعني- لم تحاول أن تمس حزب الفن بل ساندته وعضدته فقد يتقبل الناس أن تكشط صورة الملك فاروق من الفيلم وعبد الوهاب يغنى أمامها (وكل ده وأنت مش دارى يا ناسينى وأنا جنبك) ولكن هل يتقبل الناس أن تكشط صورة عبد الوهاب.. لا يمكن.

وحينما قامت الثورة.. سمع الناس صوت الوليد الفنى الجديد وهو يقول واء.. واء.. إنه عبد الحليم ابن الثورة الشرعى وأول بختها.. وبكريتها.. فأحاطته الثورة بذراعيها.. وكبر الوليد.. كبر جدًا.. كان صوت الثورة والوطنية.. وصوت العالم العربى كله.. وكان جمال عبد الناصر هو موضوع الأغنية.. أحلف بسماها وبترابها.. أحلف بدروبها وأبوابها.. ما تغيب الشمس العربية.. طول ما أنا عايش فوق الدنيا.. من هذا الذى يحلف بسماها وبترابها.. هل هذا صوت عبد الحليم.. إنه صوت عبد الناصر.. قلنا ح نبنى وأدى احنا بنينا السد العالي.. إنه كلام عبد الناصر.. ورحل الزعيم.. وتغيرت الدراما.. لم يعد هو البطل.. وانتصرنا فى أكتوبر.. وعبرنا القناة.. وكان يجب على العندليب أن يقول شيئا.. السكات هنا له معانى تودى فى داهية.. وغنى.. أغنية باهتة.. ضعيفة.. يقول فيها.. عاش اللى قال للرجال عدوا القنال.. عاشوا العرب اللى فى ليلة

اصبحوا ملايين تحارب.. أغنية ليست فيها حماسته.. وعنفوانه.. وثورته.. وزار السادات القدس.. وخسر العرب على مائدة السياسة ولم تعد(القومية العربية) تصلح كوبليها فى أغنية وتغيرت المسرحية تغيرًا كبيرًا.. وارتبك الراوى العبقرى عبد الحليم حافظ.. صار النص الذى معه.. نصًا قديمًا لا يتلاءم مع المرحلة.. فانسحب فى هدوء.. ومات..

الملوك يا أعزائي.. يروحون ويجيئون.. ربما سكنوا كتب التاريخ.. وربما نسيهم التاريخ أحيانًا إلا مملكة الفنان.. فهى باقية خالدة.. لأنها مملكة من القلوب.. فريد شوقى كان ملكًا حقيقيًا.. ملكًا للطبقات الشعبية.. أطلقوا عليه أيامها ملك الترسو.. ورشدى أباظة كان إمبراطورًا لقلوب النساء والرجال معًا.. وفاتن حمامة كانت ملكة على عرش البراءة والصدق.. وسعاد حسني.. كانت السندريللا.. أميرة على عرش السينما المصرية.. وكل عمل فنى يذاع لهم.. هو دورة انتخابية جديدة يعاد فيها انتخابهم بالإجماع.. ولا تزال تشغل ذهنى حكاية ذلك الملك الذى أراد أن يعرف كل شيء.. فأرسل فى طلب العلماء والمثقفين.. أريد أن أصبح عالمًا فى الكيمياء.. وينصاع الجميع للأمر الملكي.. ويتعلم.. أريد أن أصبح عالمًا فى الفيزياء.. ويفعلها.. والهندسة.. والفلك والطب وكل العلوم.. إلى أن أتى له شاعر فنان كبير إلى البلاط وأمره الملك أن يعلمه الشعر..

فابتسم الشاعر وقال.. إلا الشعر يا مولاي.. إنها إجابة حادة وصريحة ومؤلمة.. أنت تستطيع أن تتعلم كل شيء.. إلا الفن.. ما أسهل أن تكون ملكا.. ولكن ما أصعب أن تكتب أغنية..

وفى مراجعة بسيطة للصحف والمجلات قبل الثورة وبعدها.. وجدت أن الصحف نفسها التى كانت تبجل الملك وتنهال عليه بالأوصاف الثنية وتمدح فى جلالته.. انقلبت عليه بعد عدد واحد من الصحيفة وصارت تنعته بأسوأ الألفاظ.. جلالة الملك نفسه الكريم المؤمن المعطاء الوطني.. هو هو نفس الملك البخيل الفاسد .. الفاجر.. الخائن لوطنه.. ولكنهم لم يغيروا رأيهم فى يوسف وهبى ولا فى ليلى مراد ولا فى عبد الوهاب.

فيا للمفارقة الغريبة.. مع سقوط عرش الملك لم تتحرك عروش هؤلاء.. ولم تهتز.. إنها أكثر ثباتا بكثير.. ومقابرنا الفرعونية عملها أجدادنا الفراعنة كى يخلدوا أنفسهم.. ونجحوا فى ذلك.. ولكن هل تعرف من الذى كتب لهم الخلود.. إنه الفنان الذى رسم هذه النقوش على هذه الجدران، ونحت هذه التماثيل البديعة.. صدقنى يا عزيزي.. الفن هو الذى يخلد السياسة.. قد يزول العرش والتاج والصولجان.. ولكن تبقى الريشة والدواة.. والقلم.. والعود أيضا .

صورة فى الخلوة الحليمية

أنا جاهز دائما للكتابة عن عبد الحليم.. والمسألة لا تتعلق بكوني واحدا من عشاقه ومعجبيه ولا بغزارة الأفكار والذكريات المرتبطة بالعنديب ولا بسهولة الكتابة عن هذا النجم الفلته.. بل إن الكتابة عنه في الواقع من أصعب ما يمكن بعد كل ما كتب عنه في حياته وبعد رحيله.. ومع ذلك.. أنا- برضه- جاهز.. وفي كل مرة سأقول شيئا جديدا.. الحكاية ببساطة أنني ألتقي به.. كل يوم ولساعات طويلة ومنذ أكثر من عشر سنوات.. كيف هذا؟! أقول لكم.. المكان الذي أكتب فيه عبارة عن ألبوم صور كبير لعبد الحليم حافظ.. في كل مكان تقع عليه عيني أجد صورة لعبد الحليم.. فهذه صورة مع شادية وهذه مع لبنى عبد العزيز.. وهذه مع كامل الشناوي وجليل البنداري.. وهذه صورة له وهو على فراش المرض.. وهذه آخر صورة له وهو يغادر بيته إلى لندن.. صور..صور..

كل صورة بحكاية وكلام وأفكار.. والصور حينما تظل فترة طويلة معلقة أمامك تتحول من مجرد صور إلى حياة.. مما خلق نوعًا من الحوار الصامت بيني وبينها.. فإذا تكاسلت عن إنجاز ما يجب أن أتمه.. أرفع رأسي فأحس أنه يداعبني قائلا يا بني بطل كسل.. اشتغل.. تموت في اللعب.. ده أنا كنت بانتحر في شغلي وأنا قدك.. هنا أخجل من نفسي وانكسف على دمي.. وأعكف على ما أمامي حتى انتهي منه.. وإذا حبيت (أكروت) فهناك صورة على الشمال يرفع فيها أصبعه محذرا وكأنه يقول. أنا شايفك. وإذا كتبت (نكتة) حلوة.. هناك صورة على اليمين له وهو يضحك ضحكة عالية تطمئنني على جودة النكتة.. وهكذا فعبد الحليم شريك لي في كل ما أكتب والوجه الوحيد الذي أأتنس به في وحشة الكتابة وعزلتها الانفرادية.. ونظرًا لحضوره الرهيب.. فيندر أن يأتي الأصدقاء لي .. ولا يفتحون موضوع عبد الحليم فصار عندي فقرة ثابتة شبه يومية بطلها عبد الحليم.. وبمنطق جاور السعيد تسعد.. فكان هذا الجوار الاختياري من أسباب سعادتي الحقيقية ولذا كم أبتسم حينما يشدو بجواري.. ابأه افتكرني.. حاول.. حاول.. حاول تفتكرني!!! أفتكر مين يا حليم.. هوه أنا ورايا ولا قدامي

غيرك؟! ولا يقطع خلوتي الحليمية هذه إلا بعض الناس يأتون من تونس أو المغرب أو من الخليج.. ويقفون أمام الصور في ذهول وإعجاب وكأنهم في متحف اللوفر.. وتتساءل إحداهن في حسرة.. كان يعيش هنا؟! فيأخذها (الجرسون) من يدها، ويبدأ كمرشد سياحي في تأليف حكايات عجيبة عن العندليب ولكنها تحب أن تسمع.. وتريد أن تصدق.. كان ينام هنا.. وكان يغني هنا.. وكان يأكل هنا.. ثم يلفت نظرها.. ذلك الذي يجلس وحده في الدور الثاني اللى هوه أنا.. فيقول لها الجرسون هامسا.. ده يبأه ابن خالته.. فتبتسم لي من بعيد.. ولا أحب أن أحبطها وأقول الحقيقة فهي تريد أن تعود إلى بلادها وتقول لأصدقائها إنها زارت عبد الحليم.. وشافت بيته.. وسلمت على ابن خالته .

وقد دخل المكان ذات مرة مجموعة من الفتيات الجميلات.. نظرن لي وابتسمن..

وقالت لي إحداهن.. مش ح نعطلك.. بتكتب مقال الكواكب؟! فأومأت لها برأسي وعدت للكتابة.. فاقتربت إحداهن مني وقالت.. ممكن صورة.. قلت لها حاضر.. بس خمس دقايق كده عشان بأكمل حاجة بأكتبها حاضر عنيا الاتنين.. وأنهيت

ما كنت أكتبه.. ثم وقفت استعدادًا للتصوير مع المعجبة.. التي فوجئت أنها تعطيني- أنا- الكاميرا وتقف بجوار صورة عبد الحليم وتقول لي.. صورني معاه!!! ورأيته بعدها في صورته (الضاحكة) مسخسخ على روحه من الضحك بعد هذه (الكسفة) وقلت له ماشي يا عم.. هوه فيه حد بيبان جنبك؟! الشيء الغريب أن الذي صار يحزنني في أغاني حليم ليست أغانيه الرومانسية العاطفية الحزينة.. إطلاقًا إنها تبهجني أما الذي يغمني بحق هي أغانيه الوطنية.. أحلف بسماها وبترابها.. وكلنا كده عاوزين صورة.. ووطني حبيبي.. إن كمية الحماس التي بها والحالة الوطنية الرائعة تجعلني أشعر بالحسرة وأفتقد كثيرًا ذلك الوطن الذي كان يغني له.. وكان يحلم به .. وكان يقف أمامه مثلما فعلت أنا مع (المعجبة) ليتلقط له صورة.. صورة.. صورة للشعب الفرحان تحت الراية المنصورة.. ولكن أين الفرحة وأين النصر؟! دعوني أقول لكم.. إنني متأكد جدًا رغم عدم وجود أدلة على ذلك.. أن وفاء إدريس كانت عاشقة لعبد الحليم.. تريدون أن تعرفوا كيف توصلت إلى ذلك.. بصوا للصورة!!

وفـــاء إدريـــس

الشهيدة الفلسطينية

لن يعود عبد الحليم

مثلما تمت الدراسات العلمية الخاصة بالقنبلة النووية في سرية تامة.. ولا نعلم حتى الآن إلى أي مدى وصل العلماء في هذا الموضوع.. ولكننا بالتأكيد سنعلم يومًا ما.. وبعدها لن نعلم أي شيء عن أي موضوع.. ومثلما تتم الآن دراسات سرية تختص بقنبلة إنسانية مهولة اسمها الاستنساخ.. نحن نسمع عن نعجة اسمها دوللي.. وسمعنا بعض اللغط أيضا أنهم استنسخوا قردًا.. ولكن هل يستطيع العلم أن يجاري الفن والإبداع فتطلع لنا نسخًا من عبقريات فنية وأدبية تعيد ملأ الحياة التي خوت من حولنا.. أم هل سيكون الاستنساخ ما هو إلا استمساخ.. وهل يقدر العلماء أن يستنسخوا لنا العندليب.. فيعود مرة أخرى بيننا يغني ويمتعنا ويملأنا بالنشوة.. وبالمرة إذا كانوا سيستنسخونه.. يعالجونه من البلهارسيا اللعينة.. التي صار علاجها على أيامنا من أهون ما يكون، فنرى عبد الحليم في

القرن الواحد والعشرين.. شابًا موفور الصحة والنشاط.. لا يشكو ولا يتألم ولا يتعذب، ياسلاام.

ولكن ما هذا التخريف ولنفرض - وهذا مستحيل - أن هذا حدث.. أنا لن أقبل النسخة الجديدة حتى لو كانت صورة طبق الأصل وصوتا طبق الأصل، إن عبد الحليم لم يكن شكلاً ولا صوتا حتى.. كان العندليب حكاية لا تستطيع أن تتقبلها إلا كما هي.. المريض بالبلهارسيا مثل كثير من أطفال مصر.. اليتيم المحتاج للحنان.. وهو في الوقت نفسه ينبوع الحنان الذي لا تشبع منه أبدًا.

المسافر إلى لندن ليعمل العملية وقلوب الوطن العربي كلها هناك تحت قدميه في المستشفى.. العندليب الذي يسقط من فرط الإجهاد أثناء البروفات.. والذي يتحاكى الموسيقيون عن إصراره وعزيمته وجنونه بفنه.. كانوا يتعبون وهم - الأصحاء- وكان لا يتعب وهو المريض الهزيل.. عبد الحليم المحروم من الطعام.. من الزواج.. من السعادة.. والذي كان يوقع كملياردير كبير كل يوم شيكا لمائة وعشرين مليون عربي.. يكتب فيه ادفعوا لأمر المواطن العربي في كل مكان.. مليون لحظة من السعادة الحقيقية.. هذا هو عبد الحليم.. أحببته هكذا وسأظل أحبه هكذا.. لا.. لا أريده أن يشفى من البلهارسيا ولا أقبل أن يأكل فتة بالكوارع ومحشي كرنب ولا أقبل أن أرى عضلاته ونظرة مرتاحة في عينيه.. هذا ليس عبد الحليم.. سامحوني.. لست بهذه القسوة ولكني أحببته هكذا.. ولن أقبله إلا هكذا .

وفي هوليوود تجربة جديدة أخرى.. سيعيدون النجوم الكبار إلى الشاشة بطريقة الجرافيك.. وسنرى أفلامًا عجيبة بطولة مارلين مونرو وجيمس دين وعاوز مين معاهم كمان؟! تحب توم كروز؟ ماشي.. هما عمرهم ما اتقابلوا إنما احنا

حنخليهم يتقابلوا.. بصمة الصوت ستجعلهم يتكلمون كلامًا جديدًا والصورة يمكن بناؤها من جديد وتركيبها.. سترى فيلما حقيقيًا ..

وهذا أيضا لن أقبله حتى لو كتبت أنا سيناريو الفيلم.. فيلم جديد لعبد الحليم وسعاد حسني مثلا.. القصة عندي.. مهولة لا تنفع إلا لهما.. أيوب وناعسة ما رأيكم.. فيه موضوع أحلى من كده؟! ولكن ليست المسألة هكذا إطلاقًا، فالفيلم يجب أن يعرض عليه شخصيًا.. ويجب أن يرفض.. ولا يعجبه.. وأنا يجب أن أزعل وأحبط.. ثم يتدخل حسين كمال المخرج الكبير ويجلسنا سويًا.. وأحاول أن أقنعه وأعدل له بعض المشاهد.. ثم أزهق منه ومن الفيلم.. فيتصل بي مساء بصوته الحنون الذي لا يقاوم ويقول: أنت زعلان مني يا حبيبي.. عاوزين نعمل للناس حاجة حلوة.. فيمسح بمكالمته الرقيقة الذكية كل آثار العدوان والزعل والخلافات.. هكذا يجب أن يظل يتعذب ويعذبنا معه.. حتى يطلع الفيلم.. لا يا أعزائي.. لن يعود عبد الحليم.. كلمة أهمس بها في أذن البعض الذين يحاولون استنساخه.. لا.. لن يعود عبد الحليم

الحلوة.. الحلوة.. الحلوة

بعد أن يرح الشتاء.. بصقيعه ورطوبته وتكتكته.. بليله الطويل البارد.. بألحفته وبطاطينه وشراباته الصوف بأصواته التى تصدر عننا كبنى آدمين والتى لا توجد فى قاموس مثل برررر برررررررررد يابا يابا يابا يابا.. تك تك تك تك تك.. بعد أن يرحل الشتاء بشوارعه الخالية المظلمة.. وأشجاره الزعلانة البردانة.. يتحرك السبات العميق والنعاس الدائم.. ويرضى الله عن مخلوقاته كلها.. فتنتفض الأشجار فى سعادة كامرأة خارجة من البسين وتغنى العصافير أغنية بديعة ظلت

شهور الشتاء كلها تؤلفها وتلحنها وتتدرب عليها فى صمت.. انتظارًا ليوم الحفلة.. الشمس أيضا وصلتها الدعوة ولكن هى ليست فى حاجة إلى دعوة.. هيه جاية جاية.. حالة من الحركة والنشاط تدب فى الكون كله.. الأوراق تتفتح وتخرج الفراشات فى موعدها ترفرف بجناحيها ويبدأ العرض الإلهى الساحر ولا تقوللى ألفية ولا تقلية.. كل هذا كنت أرقبه بانفعال صباح يوم وقفة عرفات وأنا جالس على مقهى فى شارع جسر السويس.. الكل يبتسم.. القهوجى يبتسم ورواد المقهى يبتسمون وعبد الحليم يبتسم هو أيضا فى الراديو وهو يصدح.. يا حبايبى يا أهلى يا جيرانى أنا عاوز أخدكو فى أحضاني.. مش قادر على فرحة قلبي.. مش قادر أبدًا يا حبايبي، مش قادر.. مش قادر.. اقترب منى الجرسون وهمس لى بلطف الصوت بس شوية يا أستاذ يوسف.. ما هذا؟!.. آه.. يبدو أننى كنت أغنى مع عبد الحليم ولكن من فرط حماستى وجيشان شعورى صوتى على شوية.. قلت لنفسى لا شك فى أن الزهور مهمة جدًا للإحساس بالربيع.. وكذا العصافير والأشجار.. ولكن عبد الحليم أيضا مهم جدًا لاكتمال السيمفونية الربيعية هذه.. فهل رحل فى الربيع.. متعمدًا لتظل ذكراه مرتبطة بهذا العرس الرائع للطبيعة.. جايز.. هو ذكى ويعملها..

وهناك ظاهرة إنسانية وطبيعية فريدة اسمها Pathatec Falacy .. وهى استجابة الطبيعة لمشاعر الإنسان.. فإذا غضب وثار.. تنقلب السماء الملبدة بالغيوم وتنهمر السيول والأعاصير.. وتتلاطم الأمواج.. وإذا هدأ واستقر يسكن البحر الهائج ويصفو الجو وتصبح الطبيعة كأنها صدى أو رد فعل هائل للمشاعر والأحاسيس.. وأنا شديد الإيمان بهذه

النظرية كما أننى شديد الإيمان بعكسها أيضا.. فأنا أستجيب للطبيعة أنا الآخر.. فأنا أحب عبد الحليم طول السنة ولكن مالى أجد نفسى متيمًا هائمًا به إلى هذا الحد فى الربيع.. فكما أحب أن أسمع ليلى مراد فى الصباح الباكر.. وكما أحب أم كلثوم فى الليل.. فعبد الحليم فى الربيع شيء آخر.. إن العصافير كلها تعمل فى الأغنية كورس رائع.. اسمعوا.. ها هو يشدو بدفء جميل.. الحلوة.. الحلوة .. الحلوة.. بعيونها السودة الحلوة.. الله

قلت لنفسي: يا رب بنتى تطلع حلوة كده.. يا رب.. لولا ضحكتها الحلوة.. وعدتنى بحاجات حلوة.. يقترب منى القهوجى ويهمس لي.. الصوت بس شوية يا أستاذ يوسف.. كان صوتى جايب آخر جسر السويس.. كنت أغنى معه كالعادة.. اعذرنى يا أخي.. أنا مريض بالغناء معه.. فهو لا يتوقف عند اذنى بل يتسلل إلى قلبي.. ثم يمشى فى دمى ويطلع فى بؤي.. ثم يخدعني.. يوهمنى أن صوتى الوحش هذا مثل الكروان.. فأغني.. اسمع هات لى شاى بحليب وشيشة.. أضعها فى فمى حتى لا أغني.. يذهب ليحضر الطلبات باسمًا.. ولكن فجأة.. عيش أيامك عيش لياليك خلى زمانك يفرح بيك افرح ارقص غني.. لأبقى.. ثانية واحدة.. أقوم إلى القهوجى وأمسكه من كتفه.. لو سمحت الصوت شوية عشان نسمع.. كان هو الذى يغنى هذه المرة يرن التليفون المحمول .. يا رب.. أنا مستنى المكالمة دي.. ألو.. مبروك جبت بنت أمورة واسمها (هيا).. تعالى بسرعة.. وقفزت كالمجنون.. هل يمكن أن يكون عطاء الحياة بكل هذه الروعة.. الله أكبر فى السيارة كنت أغني.. اسبقنى يا قلبى اسبقني.. على الجنة الحلوة اسبقني.. أنا جاى علطول يا حبيبي.. جاى لك علطول يا حبيبي.. وطيران على المستشفى.. وأخيرًا حملتها بين ذراعي.. لحظة فى غاية التفرد.. تأملت

ملامحها.. إنها هي.. هى التى وصفها عبد الحليم الحلوة.. الحلوة.. الحلوة.. بعيونها السودة الحلوة.. أخدتني.. جابتنى ودتني.. وهمست لى المرضة بخجل.. الصوت بس شوية يا أستاذ يوسف.. طبعًا كنت أنا الذى أغنى .. ومن غيري.. وهمست أنا لهيا ابنتي.. قلت لها يا هيا.. صحيح أنه رحل قبل حوالى ربع قرن من مجيئك إلى الدنيا.. ولكن أنا متأكد أنك ستطلعى بنت راقية وحساسة.. ومتيمة بعبد الحليم.. هل تعلمين يا هيا.. حينما ذهبت لأسجل حلقة عنه مع أخته السيدة علية شبانة.. وجدت أمام البيت على السلم آلاف التوقيعات من معجبات عبد الحليم وقرأت اسم أمك يا هيا.. بين المعجبات فلم أغير ولم أزعل بل وضعت اسمى أنا كمان بجوار اسمها.. وغدا تكبرين إن شاء الله.. وأخدك من إيدك لحد باب بيته لتكتبى له كلمة أنت أيضًا.. وبكت هيا.. بكت.. ما أجمل بكاء المولود.. فهمست لها قائلاً.. الصوت بس شوية يا آنسة هيا.

تاريخ الشتيمة فى مصر العظيمة

لما ليمو الشخلوعة.. الدلوعة.. الكتكوت

الليلة ح يتنهد ويغني.. ويموت

ويشيلوه على لندن علشان جده هناك

من بعد ما يتلايم على دخل الشباك

ويهرب أموالك ويقولك أهواك

يا شعب يا متلوع مانتش لاقى القوت

هل قرأت يا عزيزى الأبيات السابقة.. هل تعرف من هو ليمو هذا!! إنه العندليب عبد الحليم حافظ.. هكذا كان يراه أحد الكتاب.. كما وصفه.

عبد الحليم.. المتاجر بمرضه.

لا ليس مريضًا ولا حاجة.. كل هذا كان فيلمًا.. فيلمًا ألفه وأخرجه ومثله عبد الحليم ليستدر عطف الناس.. ورحلات

العلاج الشهيرة إلى لنـدن لم تكن سوى رحلات شوبنج.. إنـه يتاجر بمرضه.. ونحن شعب عاطفي.. واستطاعه الداهية النحنوح أن ينصب علـى وطـن بأكملـه.. إن مريض البلهارسيا لا يستطيع أن يبذل ربع الجهد الذى يبذله عبد الحليم.. بروفات.. وإعداد.. وغناء لأكثر من ساعتين على المسرح.. كيف؟! هل يظن أننـا مغفلون.. علميًا عبد الحليم لا يمكن أن يكون عنده بلهارسيا.. ثم ما حكاية (كباية الميه) التى يرتشف منها رشفة بين كل كوبليه وآخر على المسرح ثم يضعها على الأورج بجواره.. ويرزع الكوبليه ثم يعود لكوب الماء.. كل هذه حركات وأونطة فارغة، قال لى الإذاعى الكبير وجدى الحكيم الذى كان مرافقًا لعبد الحليم فى مشواره الفني.. إن العندليب كان عنده حفلة فى جامعة القاهرة عام ٧٤.. وبعد أن أنهى الحفل.. وأغلق الستار.. سقط عبد الحليم فى الكواليس وكان ينزف بغزارة.. لدرجة أنهم أحضروا له(طشت) امتلأ حتى ربعه بالدم.. ونظر العندليب بعيون ذابلة إلى دمه الذى فى الطشت وقال لوجدى الحكيم فين اللى قالوا إنى باتاجر بمرضي.. ييجوا يشوفوا!!.

عبد الحليم.. عدوانى ويشتم الجمهور..

وقف عبد الحليم على المسرح وقال بصوته الحزين المتعب الذى يخطف القلب.. ح أغنيلكم قصيدة جديدة بس عاوزة سمع شوية.. اسمها قارئة الفنجان.. وبدأ يغني.. ولكن فرقة الغلوشة وبعض العيال الصيع استمروا فى الصياح والتصفيق.. ويتوسل لهم العندليب أن يعطوه فرصة لكى يغني.. ويسترجع عبد الحليم يوم غنائه فى بداية حياته الفنية لأغنية صافينى مرة حينما ثار عليه الجمهور وقالوا.. بايخ.. بايخ.. انزل.. انزل.. وأنزلوه من على المسرح عنوة.. واستطاع الفنان العنيد الذى لا ييأس أن يستقطبهم جميعًا حوله..

والذين أنزلوه من على المسرح عنوة هم الذين حملوه فوق رؤوسهم.. فهل بعد كل هذه النجاحات.. والتاريخ الفنى الحافل بالإبداع هل سيعانى مرة ثانية من الجمهور!! واستجمع عزيمته وغنى.. بحياتك يا ولدى امرأة عيناها سبحان المعبود.. ولكن الجماعة إياهم مصرون على الغلوشة.. شعروا بثورته..

بتوتره فكبرت المسألة فى دماغهم.. تصفير.. وتصفيق.. وضحكات.. وانفجر العندليب.. وقال فى عصبية.. بس بأه!!.

وقامت الصحافة ولم تقعد.. واتهموا العندليب بالعدوانية وقلة الذوق.. والتكبر والتعالى والغرور والتخاطب مع دولة معادية.. وبدأت حركة النقد الغنائى فى مصر تعيد تقييمها لعبد الحليم ونسوا له تاريخه الحافل بالعذوبة والرقة والشاعرية.. وصارت (بس بأه) هى (عبد الحليم) وصار عبد الحليم هو (بس بأه) واقترح أحدهم أن تضاف (بس بأه) إلى قائمة الألفاظ التى تخدش الحياء العام.. مثلها بالضبط مثل الشتيمة بالأم.

عبد الحليم لا يحترم الكبار :

كانت حفلة تشدو فيها كوكب الشرق أم كلثوم.. ويحضرها عبد الناصر.. وكان عبد الحليم يشارك فى إحياء الحفل.. وأصرت الست على أن تغنى قبل عبد الحليم حتى تضمن الموعد المناسب لآذان الجمهور وشدت أم كلثوم ولعلعت وتألقت.. وانهت وصلتها فى الثالثة بعد منتصف الليل.. أشبعت الناس.. أمتعتهم.. وأصبح المستمع بعدها واكل دكر بط ومش عاوز حاجة من الدنيا.. وطلع عبد الحليم وقد خرجت نصف الصالة.. كان موقفا لا يحسد عليه.. وهل يستطيع أن يفتح فمه

بعد أم كلثوم.. وقال عبد الحليم بسخرية مرة.. أنا مش عارف طلوعى على المسرح بعد كوكب الشرق الست أم كلثوم هل ده شرف ليا.. وألا ده مقلب أنا شربته!!

يا نهارك أسود.. هل تتعدى على كوكب الشرق يا نكرة.. من أنت!! وثار النقاد وكتب الجميع يهاجمون عبد الحليم هجومًا حادًا وعنيفًا ولم يكن ما قاله سوى إقرار بضعفه وقلة شأنه أمام العظيمة كوكب الشرق.. ولكنهم اعتبروا هذا تعديا على الكبار. وقلة ذوق وعدم احترام. وأن العندليب يجب أن يتربى.

وأخيرًا ..

حتى بعد رحيله بسنوات عديدة يفتح البعض ملفات سرية وخاصة عن عبد الحليم.. هل تزوج فى السر.. هل كان يستطيع الزواج.. وما أخبار فحولته كرجل.. لا أعلم لماذا؟! هل عندكم عروسة لعبد الحليم.. أبكانى مجدى العمروسى حينما قال لى فى حديث تليفزيونى .. إن عبد الحليم كانت أمنيته أن يأكل قرن فلفل أخضر وطعمياية.. صدقونى يا أعزائي.. كان الثمن الذى دفعه غاليًا.. غاليًا جدًا.. فهل نطالبه بأن يستمر فى الدفع حتى بعد رحيله؟!

ابن عبد الحليم

كأكبر جهاز مخابرات فى العالم فعلت الصحافة مع عبد الحليم.. لم يتركوا كلمة قالها لم يسجلوها ويحللوها.. لم يتركوا فيمتو ثانية فى حياته لم يكتبوا عنها.. أفلامه.. أغانيه.. قصص حبه.. الحقيقية والوهمية.. ملابسه.. تسريحة شعره.. مرضه.. صور الأشعة والتحاليل ووراءه فى كل مكان المصور العبقرى فاروق إبراهيم يلتقط له الصور.. وهو واقف وهو نايم وهو صاحي.. وهو مريض وهو يضحك وهو يغني.. ليصبح عبد الحليم نفسه لوحده كده.. هو أهم فيلم فى حياتنا.. الفيلم الذى استمر بنجاح عظيم ربع قرن بعد رحيله وبدأ جهاز المخابرات الصحفي.. تحقيقاته مع هؤلاء الذين عاصروا عبد الحليم..

الكاميرات تلاحقهم والأحاديث الصحفية.. ماذا كان يأكل؟ فول مهروس على بيضة نيئة.. كان هذا هو المسموح.. وحينما كانت نفسه تهفه على طعمياية وقرن فلفل أخضر.. كانت تباه ليلة سودة.. وآخر يقول كان عبد الحليم لا يفضفض إلا لي. اعترف لى بحبه الوحيد.. ولا أستطيع أن أذكر اسم الحبيبة لأننى وعدته أن أتكتم الأمر ويظل الرفاق حائرون.. يفكرون.. يتساءلون.. حبيبته من تكون؟! وتنهال الاعترافات ويصبح ملف عبد الحليم أكبر ملف فى الحياة الفنية كلها.. أنا نفسى شاركت جهاز المخابرات فى البحث والتدخل داخل عبد الحليم.. ذهبت إلى بيته وقابلت السيدة علية شبانة أخته.. وبكت لى بحرقة كأنه توفى بالأمس وقالت.. بعد عبد الحليم لا حزن ولا فرح..

وأدخلتنى إلى حجرة نومه.. وكرجل مخابرات محترف.. فتحت الدواليب وجلست على سريره.. بجوار جهاز التسجيل الشهير الذى كان دائمًا بجواره.. وخرجت إلى الشرفة وسألتها كان يجلس هنا؟! وبدأ صوته ينساب

إلى أذنى وأنا أطل على الحديقة التى كان كثيرًا ما يتأملها.. عيش أيامك عيش لياليك خلى شبابك يفرح بيك.. وصار الكلام عن عبد الحليم فنًا مستقلاً بذاته.. عملاً إبداعيًا.. فأنت حينما تحكى عنه أو تقول رأيًا فيه.. بالضبط كأنك تغني.. فهذا يتحدث عن ذكائه.. وهذا عن دهائه.. وآخر يكلمك عن إخلاصه وكفاحه.. وذلك يتمطع ويصرخ قائلاً.. بس اسكتوا.. أنا اكتشفت حاجة جديدة عن عبد الحليم لم يعرفها أحد.. عبد الحليم تزوج سرًا!! ويفتح ملفًا جديدًا فى قضية عبد الحليم التى لا تنتهى ولن تنتهى وأصبح عبد الحليم.. موسم.. فى ذكرى ميلاده وذكرى وفاته.. آلاف الصفحات والصور الجديدة.. فهو لا يكرر نفسه.. صحيح هو لا يكبر فى الصور محتفظًا بشبابه الأبدي.. لكنه لا يزال فتى الأحلام.. لكل البنات حتى البنت التى ولدت يوم وفاته منذ أربعة وعشرين عامًا وصارت الآن شابة ناضجة لا يزال هو حلمها.. وهى بالمناسبة لا تحتفل بعيد ميلادها أبدًا وإنما بذكرى عبد الحليم وبدأت المخابرات الصحفية تدقق أكثر.. فلا تكتفى بأن تسأل من عاصروه أو عاشوا معه.. بل بدأت تسأل كل إنسان.. فالقضية كبرت.. ولم يعد يكفى أن يتكلم عنه حسين كمال أو عمر الشريف أو فاتن حمامة.. وهذه فعلتها أنا أيضا فى برنامج

تليفزيونى سألت عنه سواق تاكسي.. وحلاقا.. وقهوجي.. وبائع ورد.. وتكلموا.. وقالوا أشياء رائعة أجمل وأعمق بكثير من هؤلاء الذين معهم توكيل الكلام عن عبد الحليم وهؤلاء الذين هاجموه فى حياته وحاولوا تحطيمه.. رحلوا هم أيضا.. وأغلقت ملفاتهم كلها إلا ملفه هو.. ظل مفتوحًا.. وصدقت قارئة الفنجان حينما قالت له فى حفلته الأخيرة قالت يا ولدي.. لا تحزن.. فالحب عليك هو المكتوب.. هذا الحب الغريب الاستثنائى من كل الناس.. ومن كل الأجيال.. فأطفالنا يولدون ويرضعون ويتعلمون المشى والكلام.. ثم .. عبد الحليم..

وحارت أجهزة المخابرات الصحفية فى هذه المعجزة الفنية وفتحوا الملفات من جديد.. وعادوا يفتشونه.. يحللون دمه.. ومشاعره.. ومشواره.. وبعد خمسين سنة فى العدد الخاص عن عبد الحليم سيطلع صحفى ليقول مفاجأة جديدة!!! عبد الحليم كان متجوز.. ومخلف كمان وابنه أهوه.. وسنرى رجلاً فى الثمانين من عمره.. مكحكح يقول.. أيوه كان بابا.. هو ده السر اللى فضلنا مخبيينه طول السنين دي.. وستنهال عليه الأحاديث الصحفية والتليفزيونية.. وسيتأمله الناس ويقولون.. آه واللهى تصوروا شبهه بالضبط.. وسيقول الدكتور فلان المتخصص فى علم الوراثة فى لقاء تليفزيوني.. فعلاً

الحواجب وحجم الأنف وقطعية الوش بالضبط.. الجينات بتقول كده ولكن.. كلنا شبه عبد الحليم.. مفيش مصرى مفيهوش حاجة من عبد الحليم.. قال أحد الكتاب الكبار ذات مرة حينما اتهم بالبخل فى الكتابة عن المبدعين.. ولماذا أكتب عنهم.. إننى أخذ من عمرى لأضيف إلى أعمارهم.. ولكننا سنظل نكتب عن عبد الحليم وسنأخذ من أعمارنا وأعمار الأجيال التى تلينا ليظل هذا الفنان الأسطورة باقيًا.. حتى لو ذهبنا نحن ولم يذكرنا أحد لسبب بسيط لأننا حين نكتب عنه.. نطيل أعمارنا نحن.. أعزائى لقاؤنا العام القادم على خير فى ذكرى عبد الحليم.. وعندى لكم مفاجآت كثيرة جديدة تنشر لأول مرة.. عن عبد الحليم .

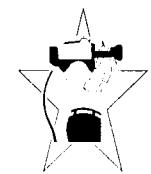

الست دى .. أم كلثوم

أعترف أننى لم أكن أحب أم كلثوم وليس اعترافى هذا على سبيل التباهى أو التفاخر كما يحلو للبعض أن يأخذ موقفًا من الرموز ولكن اسمحوا لى أن أكمل الجملة.. لم أكن أحبها حقًا وأنا طفل.. لم يبلغ السابعة بعد.. كنت أنظر إليها بزهق وهى تغنى الساعات الطوال .. ولم أكن أجد مبررًا لأن يتجاهلنى كل أفراد الأسرة الكبار ومنهم أبى الذى كان يعتبرنى دلوعته.. ويجلسون أمامها متسمرين كالتماثيل.. وباءت كل محاولاتى لجذب انتباههم بالفشل الذريع.. فكانت أغنية أم كلثوم هى

ساعات الهجر والتبرؤ منى كطفل لا يسعده بالطبع أنه كلما فعل أى شيء.. لا يجد سوى.. ششت.. اسكت يا يوسف اقعد هادى كده واسمع.. ماذا أسمع؟!! (وفيت وفى بعض الوفاء مذلة لفاتنة فى الحى شيمتها الغدر).. ماذا يعنى هذا؟! ثم تعود وتكررها.. مرة.. واثنتين وعشر مرات قلت لأبى مغتاظا.. إنها لا تغنى سوى جملة واحدة.. إنها لا تأتى بجديد أجاب أبى وهو يخبطنى على يدي.. ششت اسكت واسمع.. غدا ستكبر وتحبها.. وظلت أم كلثوم بالنسبة لى مؤجلة إلى أن أكبر.. ويبدو أن أم كلثوم لكى تحبها بالفعل يجب أن تكبر ولا أعنى هنا أن تكبر فى السن فقط.. ولكن يجب أن تنضج مشاعرك.. يجب أن ترقى حواسك.. وكان جمهور أم كلثوم شريكا فى عظمة أم كلثوم.. فكان جزءا من الكورس. أو بتعبير أدق جزءا من الأغنية.. فهو يطلب إعادة أبيات معينة وكوبليهات معينة بنفسه لتتكامل السيمفونية.. كالمايسترو الذى يقود الفرقة.. وكانت كلمة (أعد) كما كانوا ينطقونها بالفصحى لتتناسب مع جلال الموقف.. ولم يقولوا.. عيدى مثلا أو كمان مرة يا ثومة وفجأة تنقلب الليلة الكلثومية إلى حلقة ذكر.. الكل يقول الله.. الله.. الله.. وأطلقوا عليها الست.. وهو لقب عجيب فى الحقيقة وفريد من نوعه..

وكأننا جميعا كجمهور فى خدمتها.. وفى خدمة إبداعها النسيج وحده.. وهذه حقيقة.. ألسنا شركاء الست فى روعة الليلة الساحرة؟! أنا أعتبر الست هى ثانى قنبلة أطلقت فى القرن العشرين لتصنع للمرأة كيانا ضخما بعد كتاب قاسم أمين فى تحرير المرأة.. لم يقل لها أحد مدام أم كلثوم ربما غير الرجل الفرنسى الذى قدمها فى مسرح الأوليمبياد بباريس.. وكان وقعها على الأذن غريبا.. مدام إيه.. إنها الست.. وفى تحليلى لهذا الرجل الذى هب واقفا فجأة من فرط انفعاله.. وصرخ غير متمالك لحواسه.. عظمة على عظمة يا ست لم يقل أنها عظيمة فهذا عادي.. إنها العظمة نفسها.. وليست عظمة واحدة.. بل أكثر من ذلك.. وظلت جملة أبى فى أذني.. ستحبها حين تكبر.. وكبرت ورحل أبى يرحمه الله.. وعاشت أم كلثوم لتنفذ الوصية.. وبدأت أتسمر أمامها كما كان الكبار يفعلون.. وفى كل إعادة أنتشى طربا وأسخر من طفولتي.. (كنت باشتاقلك وأنا وأنت هنا بينى وبينك خطوتين) تقولها كم مرة.. عشرات المرات بل قطعت طريق الاسماعيلية الصحراوى كله بالسيارة فى خطوتين من الشوق للست لم تكن قد قطعتهما بعد.. وحينما قالت لى الفتاة العصرية.. معقولة أقعد

ساعتين اسمع أغنية ؟! دماغك يابا.. قلت لها مثلما قال أبى حينما تكبرين ستحبينها قالت فى غيظ أنا عندى خمسة وعشرين سنة قلت لها.. قد تكبرين غدًا أو بعد غد.. وبعد شهور قليلة ضبطتها متلبسة فى سيارتها.. كانت تسمع (ابتديت دلوقت بس أحب عمري.. ابتديت دلوقت أخاف للعمر يجري) كان فى يديها دبلة وفى عينيها نظرة مختلفة.. وعلمت أنها كبرت.. واندهشت.. لماذا لم تلجأ إلى أمها هى تبثها مشاعرها الجديدة.. ولجأت إلى أم كلثوم.. ومالى أندهش.. أنا أيضا لجأت إليها حينما كبرت..

وحدث أننى عملت حديثا تليفزيونيا مع الدكتور الحفناوى ابن زوج أم كلثوم فى برنامج (الست دى أمي) كنت أريده أن يقارن بين أمه وبين زوجة أبيه الأسطورة.. وكانت ورطة بلا شك.. فهو شديد الحب لأم كلثوم التى كانت هى مستشاره الوحيد فى القرارات المصيرية فى حياته كما أنه شديد الارتباط بأمه بالطبع.. وظللت أحاصره بأسئلتي.. إلى أن قال فى النهاية.. الست دى أمي.. كان يعنى أمه ولكن بسرعة قال.. وأم كلثوم هى أيضًا أمي.

نعود لحكاية العلاقة الطردية بين زيادة نضجنا ورهافة حسنا وزيادة عشقنا لأم كلثوم كنت قد انفكت عقدتى وكبرت وحدث هذا فى سن مبكرة وأحببت أغنياتها العاطفية لدرجة الجنون ولكن ظل بينى وبين قصائدها شيء ما.. فأنا أحب أن أنظر إلى القصيدة مكتوبة أتأمل الأبيات بتمعن.. وأسرح معها.. هكذا بلا موسيقى ولا غناء.. ولا دوشة.. باختصار كنت كلما أسمع الست تشدو بإحدى القصائد.. أتلخم.. أفقد تركيزي.. ذهبت إلى طبيب متخصص فى أغنيات أم كلثوم.. فكتب لى

روشتة بها دواء واحد.. اسمع الأطلال.. وكان الشفاء على يديه.. وكأن الأطلال هى التى جذبتنى مسحورًا إلى ثورة الشك وهذه ليلتي.. وغيرها من القصائد الرائعة التى أصبحت أتناولها بسهولة ويسر واكتشفت أيضًا أننى كبرت قليلاً كما قال أبى حتى عن مرحلة الأغنيات العاطفية بل وصرت أتكلم مع الآخرين بطريقة غريبة لا تتناسب مع روح العصر.. من فضلك إذا سمحت واللهى.. أنا ممنون جدًا.. وصرت أتكلم بأدب يضايق فى الحقيقة كما تعلمت من الست أن أسمع.. فهى التى قسمت الناس إلى صنفين.. سميعة .. وغير سميعة وفى السمع حالة من الحضارة والهدوء والاختزان والشبع الإنسانى وهى أيضًا التى جعلتنى حينما أعطى أذنى لأحد.. أعطى له قلبى فوق البيعة.. فصار قلبى فى أذنى ولذا.. حينما حضرت حفلاً غنائيًا صاخبًا ذات ليلة ولاحظ المحيطون بى عدم تجاوبى وانعزالي.. أدركت أننى كبرت جدًا وأن قلبى لم يعد فى أذني.

نوادر أم كلثوم

لا توجد عبقرية فى الدنيا تفتقد إلى خفة الدم.. لا يمكن.. مهما كانت هذه العبقرية.. جادة.. رصينة.. أدبية.. علمية.. الكترونية.. لا بد وأن يشملها شيء من الهلس.. والصياعة على خفيف.. فهل يمكن أن يكون إينشتين مكتشف النسبية ومعجزة القرن العشرين دمه تقيل!! لا يمكن.. والعقاد هذا الكاتب الجبار.. صاحب الصوت الجهورى والمعانى الفخمة.. والعقل الداهية.. ومع ذلك كلنا يعلم أنه كانت له نوادر وردود غاية فى الظرف واللطافة.. هو نفسه كتبها دون أن يشعر حينما ألف روايته الوحيدة (سارة) وهنا أنا لا أتكلم عن العباقرة المشهورين بكتاباتهم الكوميدية.. مثل برنارد شو.. وموليير والمازني.. ومحمد عفيفي.. والسعدنى وأحمد رجب.. فهى شغلتهم وأكل عيشهم بل ربما كان هؤلاء فى الحقيقة أكثر رزالة بكثير مما نتصورهم ويبدون لنا فى حقيقتهم فى حكاية خفة الدم هذه

أقل بكثير مما نظن.. وأم كلثوم هى إحدى هذه العبقريات التى كانت تتميز بخفة دم بصورة ليس لها نظير برغم الآهات والأطلال والهجر والحرمان.. وهذه الصفة برغم أن الأستاذ المبدع محفوظ عبد الرحمن أشار إليها كثيرًا بل ودعمها كثيرًا.. إلا أنها تصلح موضوعًا منفصلاً.. اسمه (نوادر أم كلثوم).. ويحكى أن فلاحة من أهالى الدقهلية جاءت وطلبت مقابلة بلديتها الآنسة أم كلثوم وقالت لها.. إنها تريدها فى خدمة بسيطة وسألتها أم كلثوم ما هى الخدمة البسيطة فقالت الفلاحة.. أن تكلمى الملك وتتوسطى عنده فى مسألة بسيطة..

فقالت أم كلثوم وما هى المسألة البسيطة؟ قالت الفلاحة أن يسامح ابنى فسألتها أم كلثوم.. بسيطة يسامحه.. بس من إيه.. قالت إنه حكم عليه بالإعدام فسألتها أم كلثوم.. بسيطة هوه عمل إيه فقالت الفلاحة حاجة بسيطة قتل واحد.. فقالت أم كلثوم بسيطة ومن هو الواحد؟ فقالت الفلاحة أبوه..

يعنى ما جتلش حد غريب.. فقالت أم كلثوم.. لا بسيطة خالص.

وتنتهى الحكاية عند هذا ولكن حينما تسمعها تشعر بمغزاها على الفور حينما تلحظ استدراج أم كلثوم للفلاحة.. وملاحقتها لها بالأسئلة بطريقة تبدو جادة.. ولكنها لا تخلو من البسمة والنأورة برضه.. فهى من البداية واضح أنها لن تكلم لها الملك.. ولكنها مستمرة.. لا لشيء.. إلا للإضحاك. وفى موقف آخر ذهبت أم كلثوم إلى عزاء فى أحد الأشخاص وسألت قريبًا له فى حزن: لا حول الله يا رب هو المرحوم كان عنده حاجة.. فقال الرجل باكيًا أبدًا يا ست هو شوية برد اللى جوله. فقالت أم كلثوم: طيب يا أخى بسيطة.. إيه يعنى شوية برد.. وانفجر الجميع فى الضحك إنها تستطيع بسرعة بديهة رائعة أن تحول المأتم إلى ضحك هستيري.

هذا الجانب الذى لم أره فى أم كلثوم يثيرنى بشدة.. وأنا العاشق الولهان بالجانب الآخر الذى رأيناه جميعًا وعشناه جميعًا بكل مشاعرنا. كان رامى يغمض عينيه حينما يسمعها ليعيش فى حالة من الوجد والاستغراق التام.. وأنا أفعل ذلك أحيانًا.. ولكنى أحيانًا أخرى أحب أن أفتح عينى وعقلى وأنظر لها بعين جديدة.. فأحبها بطريقة جديدة.

تاريخ الشتيمة فى مصر العظيمة !

فى البيت عندي.. صورة معلقة على الحائط منذ الأربعينات.. صورة المرحوم أبويا.. إذا نظرت إلى الصورة جيدًا وحققت فيها لوجدت أنك ترى صورة لعبد الوهاب.. البذلة والمنديل والسوالف والبصة إياها التى أوقعت عذارى الأربعينات والخمسينات فى هواه. وكنت أعتقد أن أبويا تفرد بهذا الشبه بينه وبين عبد الوهاب إلى أن اكتشفت أن جيل أبويا كله كان عنده. نفس الملامح.. ونفس البصة ونفس الصورة.. وبالتالى لم تكن الحكاية حكاية شبه وإنما هى حالة من التقمص النابع من جنون الإعجاب بعبد الوهاب.

وبرغم أن موسيقار الأجيال نال من التكريم فى حياته ما لم ينله فنان فهو الدكتور واللواء وموسيقار الأجيال.. والرائد.. وألقاب أخرى كثيرة.. برغم كل هذا.. هل تتصور يا عزيزى القارئ أن هناك من شتموا عبد الوهاب.. وجعلوا الرجل يقضى ليالى طويلة يأكل فى أظافره من الغيظ.

عبد الوهاب واكلها والعة :

فى مايو عام ١٩٥٦ كتب أحد النقاد فى مجلة آخر ساعة.. مقالاً بعنوان مرسيدس عبد الوهاب يقول.. هل خطر فى بالك وأنت تستقل أحد التاكسيات فى مدينة القاهرة.. من يكون صاحب هذا التاكسي.. إنك إذا ركبت تاكسيا من نوع المرسيدس فاعلم أن النقود التى يسجلها عداد التاكسى سوف يدخل جزء كبير منها إلى جيب المليونير الأصلع الذكى فعبد الوهاب يملك مجموعة كبيرة من التاكسيات المرسيدس التى تجوب أنحاء القاهرة.. وعبد الوهاب لا يكتفى ببناء العمارات وإنما يدخل فى صفقات القطن ويضارب فى البورصة ويربح الألوف وعشرات الألوف.. وفى كل صفقة لا يمد يده فى جيبه أبدًا.. وإنما يستطيع بعلاقاته أن يطلب سلفة من البنك لتغطى مشروعه الجديد.. من دقنه وافتل له.

عبد الوهاب.. حرامي

لم ينج من تهمة السرقة الفنية أى مبدع من المبدعين العمالقة.. حتى شكسبير.. قالوا عنه إنه سرق أعماله من كريستوفر مارلو.. وتهمة السرقة الفنية هى تهمة مغرية لمتعاطى النقد إلى حد كبير فإلى جانب أن فيها استعراضا لمعرفته فهى قضاء مبرم على طاقات هذا المبدع. كما أنها تشعر الناقد أنه (برَم) وفتك.. واستطاع أن يقفش ويرفع بصمات المبدع الحقيقى من على عمله الفني.. ولم تعرف الساحة الفنية قضية أشهر من قضية سرقات عبد الوهاب.

وفى مجلة آخر ساعة عام ١٩٦٢ يقول الدكتور يوسف شوقى تحت عنوان (سرقتان فى أغنية واحدة) وأوضح مثل على عملية ترقيع ألحان الأستاذ محمد عبد الوهاب من أعمال سيد درويش (أغنية مين عذبك) التى تحتوى على جملتين

موسيقيتين كاملتين منقولين بالمازورة من الشيخ سيد.. ولقد تعلل أقطاب السرقة الموسيقية بترقية الذوق العربى بالسطو على الألحان الغربية.. فإلى أى شيء كان الأستاذ عبد الوهاب يسعى عندما اتجه إلى سرقة ألحان سيد درويش!!

عبد الوهاب ما بيعرفش

بعد أن لحن عبد الوهاب أغنية نبتدى منين الحكاية لعبد الحليم حافظ.. ونجحت الأغنية نجاحا ساحقا كتب فى الموعد.. ما هذه الرداءة.. الأغنية أقل من المستوى العادي.. وأنا فى دهشة كيف قبل عبد الحليم أن يغنى مثل هذا اللحن؟!

عبد الوهاب .. خليع ..

دخل المخرج محمد كريم على عبد الوهاب.. وقال له.. اسمع دي.. فكرة جديدة نوفي.. أريد أن نعمل اتجاها جديدا فى تصوير الأغنية.. كفاية جلسات على كراسى والعود فى يدك أو وقوف فى حديقة.. لقد مللت كل ذلك.. قال له عبد الوهاب.. قول يا أستاذ.. قال محمد كريم العبقرى المجنون.. ستقلع هدومك وتجلس فى البانيو.. تستحم.. وتغنى الميه تروى العطشان.. (كان العبقرى يحلم فى الأربعينيات بالفيديو كليب بدون أن يشعر) وانزعج عبد الوهاب.. أقلع هدومي؟! معقولة يا محمد !! ويثور محمد كريم.. ويشد شعره. إنه يريد أن يقنع

عبد الوهاب بفكرته.. وتطرأ على رأسه فكرة جهنمية.. مضمونة الأثر عن عبد الوهاب قال له.. جمهورك عنده انطباع عنك إنك رقيق مرهف.. والمرأة تحب القوة.. الفحولة.. الرجولة.. إذا خلعت هدومك.. أظهرت قوتك فتوتك عضلاتك.. سيتضاعف عدد المعجبات.. واقتنع عبد الوهاب على الفور.. وقلع هدومه وقعد فى البانيو.. وغنى.. الميه تروى العطشان.. وهاجت الصحافة وتدافعت الأقلام.. وكتب أحمد الصاوى محمد يقول: من هذا الخليع الجالس فى البانيو عاريًا ؟! يا عبد الوهاب ثب إلى رشدك.. أنت صديق أحمد شوقى تصل بك الخلاعة والمجون إلى هذه الدرجة، (لم يكن فى وقتها أى ممثل أو فنان جرؤ على أن يظهر بلا ملابس فى السينما.. وكانت أول لقطة تظهر على

الشاشة بهذا الشكل).. وثار عبد الوهاب وذهب إلى محمد كريم وأمسك به من رقبته.. وقال له.. عاجبك كده أدينى قلعت..

ومرت السنوات.. ونسى الناس كل هذا.. ولم يتبق سوى.. الميه تروى العطشان.

ويقول الكاتب الكبير الجليل البنداري: إن عبد الوهاب مريض باقتباس النساء والألحان والكرافاتات.

النساء واسألوا إقبال نصار زوجته..

الألحان واسألوا بيتهوفن عن لحن أحب عيشة الحرية.

الكرافتات واسألوا محمد التابعى عن كرافاتاته.

عبد الوهاب عسبه رايغة ..

سأل جليل البندارى زوجة عبد الوهاب عن عدد النساء اللاتى غازلهن ففاجأته هى بسؤال كم امرأة تعتقد أن زوجى صافحها بيده فأجاب.. نقول ١٠ آلاف مثلاً فقالت.. يبق بصبص للعشرة آلاف.

كان المازنى رحمه الله يهاجم عبد الوهاب فى جلساته الخاصة ويقول إن صدر عبد الوهاب ضيق فهو لا يصلح أن

يكون مغنيًا ولكن يصلح أن يكون مريضًا.. وكان المازنى لم يسمع عبد الوهاب بعد..

ولم يكن هجومه على عبد الوهاب سوى تعصب ضد كل ما هو مع شوقي.. حيث كان العقاد والمازنى معسكرًا ضد معسكر شوقي.. ورأى أحد أصدقاء عبد الوهاب أن يحميه من هجوم العقاد والمازنى عليه فأقام حفلة فى داره.. دعا إليها المازنى والعقاد.. وغنى عبد الوهاب فى الحفلة.. وأبدى العقاد إعجابه بصوت عبد الوهاب.. وقال.. إنه لا عيب فيه إلا إعجاب شوقى به..

تنهال المعاول على القمم.. تحاول أن تهدها.. أن تجعلها بسوى التراب.. ولكن الفن الأصيل أيضا له معاول هو الآخر.. فتظل معاول الهدم مضادات حيوية.. تهد الحيل.. ولكنها تقضى بدون أن تشعر على الفيروس الرهيب الذى اسمه الفشل.

وأنا قلبى دليلى

لم أحلم فى حياتى بحلم أكبر من أن تأخذنى مركبة الزمن الرهيبة وتنزل بى فى تلك الحفلة الأسطورية التى تغنت فيها تلك المرأة الحلم (أنا قلبى دليلي) كانت العصابة فى الحفلة تتنكر فى زى العصابات: فانلات مخططة.. والبوليس فى الحفلة يتنكر فى زى البوليس حتى لا ينكشف.. وبرغم سذاجة كل هذا إلا أنك تنساه. لا تأخذ بالك منه. لأن بالحفلة امرأة جوهرة.. حولت الليلة وهى تشدو فيها (أنا قلبى دليلي) إلى حالة من الجمال.. تلك هى ليلى مراد.. الحلم الرائع الذى أصر على أن يصبح

حلمًا إلى النهاية.. كان الحلم قد وصل إلى أحلى لحظاته.. وكانت هى فتاة الأحلام وأغلى وأشهر وأجمل وجه ظهر فى السينما على الإطلاق.. وفجأة نظرت ليلى مراد فى المرآة فخيل إليها أن تجعيدة ظهرت أعلى خدها الأيمن.. أو أن أسفل عينيها بدأ ينفذ تعليمات الزمن.. هنا دخلت ليلى مراد إلى حجرتها ولم تخرج منها.. أعطتنا أجمل ما عندها واكتفت.. ولم تبحث بعد ذلك عن (سبوبة) تستثمر بها تاريخها الرائع.. فى فيلم غزل البنات كان دورها أن توهم الأستاذ حمام بأنها تحبه وتلعب عليه وتستغل مشاعر الرجل حتى يصل بها إلى الكباريه حيث حبيب القلب (المليجي) وفجأة ترتبط بأول ضابط تراه فى السكة (أنور وجدى طبعًا) لو عرض هذا الدور على أى ممثلة الآن لقالت على الفور.. لا يا أستاذ ده الناس تكرهني.. وعلى طول تتعاطف مع الأستاذ حمام ده.. لكننا برغم تعاطفنا الشديد مع العظيم الريحاني.. إلا أننا لم نستطع أن نكره ليلى مراد.. بل أحببناها.. غفرنا لها كل شيء . قلنا بنت شقية ومن حقها تحب.. بصراحة الريحانى كبير عليها.. وفى فيلم حبيب الروح تركت زوجها الميكانيكى (أنور وجدى برضه) لتذهب مع يوسف بك وهبى إلى عالم الفن والطرب وخربت البيت ومع ذلك تعاطفنا معها وقلنا مظلومة.. الحكاية ليست حكاية دور..

إنه العقد الذى بين الممثل والجمهور.. والذى وقعه لها الجمهور على بياض ومن أول لحظة.

وليلى مراد هى أول من استطاعت أن تربط بين الحب والجمال فى أذهاننا.. وتقابل حسين صدقى (فى شاطئ الغرام) وتجلس على الصخرة تغنى للطبيعة بحب اتنين سوا يا هنايا فى حبهم ويدخل حسين صدقى ومعه محسن سرحان.. فأقول لنفسى معقولة بتحب الاتنين ولكنها تكمل.. الميه والهوا طول عمرى جنبهم.. كان المخرجون أيامها يحبون ليلى مراد وكان الناس أيامها يحبون ليلى مراد ولذا كان هناك نوع من الجمال فى كل شيء.. لم تكن التيارات الواقعية قد ولدت بعد.. فلا كان

المخرج يصور صرصارًا يدخل بلاعة.. ولا فأرًا يخرج من تحت السرير.. ولماذا يفعل ذلك.. عنده ليلى مراد..

استمعت إلى أغنية لها.. وأخذت أتعجب.. كيف استطاعت أن تغنى هذا الكلام.. تقول الأغنية.. (مين النهاردة فى الدنيا أسعد منى إدانى وردة خلاص يا روحى اتهنى..) ما هذه القناعة وما هذه القيم والأخلاق.. وردة أعطاها لها الحبيب.. كفاية.. حياء وخجل ورضا بالقليل.. كان هذا ينضح من فن ليلى مراد.. والفيديو كليب الوحيد الذى عملته ليلى مراد كان فى أغنية اتمخطرى واتمايلى يا خيل.. كانت تركب حصانًا وخلفها البنات ، خجولة وهى تغنى لدرجة أنها لا تفتح فمها ولذا ترى دائمًا أسنانها البيضاء المتلألئة على الخد المشوب بحمرة الكسوف.. (برغم عدم وجود الألوان فى هذه الأيام).

وتظل حلمًا.. تصر على أن تبقى حلمًا.. حتى فى رحيلها.. انتهزت فرصة الزحام والضجيج وانسحبت فى هدوء.. الزلزال.. والانتخابات.. ومهرجان السينما.. فى هذا المولد.. وسط الأزمات والإحباطات.. يخيل لى أن صوتها المعجزة ينساب إلى أذني.. يتسلل منها.. ويقول.. ما ليش أمل فى الدنيا دى غير إنى أشوفك متهني.. فارد عليها بصوتى الوحش وأقول.. يا حبيبة الروح فين أيامك..

أنا مطرب عن الغناء

لم أحاول فى حياتى أن أصبح مطربًا.. فإمكانياتى الصوتية لا تؤهلنى لذلك وإمكانيات الجمهور السمعية لا تؤهله لذلك وكنت أرى المطربين وهم يغنون وعروقهم ناطة فى رقابيهم.. ونفسهم يكاد ينقطع.. كل هذا والمطرب لا يقول إلا كلمة واحدة.. يااااا حبيبي.. من أول (يا) يغنيها المطرب أدرك استحالة أن أصبح مطربًا لأننى لو جربت مرة واحدة وعملت زيهم.. سأغنى يااااا.. وسأفقد النطق بعدها مباشرة لتتحول أوراقى من نقابة الموسيقيين إلى معهد الصم والبكم أو إلى برنامج من غير كلام..

ورغم كل هذا ظلت رغبتى فى الغناء تروح وتجيء مثل الخايلة الكدابة.. فالمطرب اللهم لا حسد يعنى يحصل على كل شيء.. الشهرة والمال وأغلفة المجلات وإعجاب البنات.. والكاتب اللهم لا شماتة يعنى انتوا عارفينّ برغم أننى ككاتب كثيرًا ما أحصل على تعاطف القراء فيرسل بعضهم مطالبًا برفع أجرى اثنين جنيه وربع لمواجهة الظروف الاقتصادية الصعبة.. كتر خيره برضه.. ولكن رغم كل هذه المعوقات التى فى طريقى

لأصبح مطربا معروفا.. إلا أن واحدا فقط فى هذه الدنيا هو الذى كبر الفكرة فى رأسى العندليب.. ولماذا العندليب.. لأنه يغنى ببساطة شديدة وبسهولة تجعلك تشعر أن أسهل حاجة فى الدنيا هى الغناء.. وأنا ولله الحمد لا ينقصنى شيء وليس بى عيب كمطرب سوى أن صوتى وحش فقط برغم امتلاكى لمجموعة بدل روشة وقمصان مشجرة ونخبة لا بأس بها من الترنجات الفوسفورية.. وتمتلك أمى مجموعة من الشالات الحريرية لزوم الفيديو كليب ولكن هل يصلح كاتب (طقت فى دماغي) مطربا ح يغنى إيه ده؟! طقت فى دماغى برضه؟! وهل سيسلم من رد فعل الجمهور الطاقق الذى لا يرحم.. إذن المسألة تحتاج إلى شوية تخطيط فعبد الحليم كان صاحب أجمل حدوتة صاحبت مطربا فى الدنيا كلها.. فهو اليتيم المحروم من الحنان ومدرس الموسيقى الغلبان المكافح.. ثم المريض الذاهب للعلاج وقلوبنا كلها معلقة به.. والأمهات والخالات والعمات فى البيوت يذرفن الدموع ويدعين له بالشفاء.. وعماد حمدى المسكين كان يتلقى خطابات تهديد ووعيد من الجمهور بسبب القلم الذى رزعه لعبد الحليم فى الخطايا.. ويطلع عبد الحليم على المسرح ليغنى وأمامه ميكروفون وكباية المية فيها الدواء.. يغنى كوبليه ويأخذ شفطة لم يكن عبد الحليم مطربا فقط.. كان فيلمًا.. كان حالة وجدانية.. ولم يكن العندليب يدرك أن الترعة التى لم يعط ظهره لها فى قريته بالشرقية

ستصبح سبب عذابه وسبب سعده بعد ذلك.. وبرغم عذابه هذا إلا أننى أعتقد أنه كان سعيدًا.. صدقوني.

ولكن هل تصلح حكاية عبد الحليم لتصنع مطربا الآن؟! فى فترة ما.. طلع مطرب فى التليفزيون وحكى لنا أنه فقد أسرته منذ عشرين عامًا.. وظل ابتا ضالاً بلا أم وأب إلى أن غنى وأشتهر ووجدهما أخيرًا .. ولم يتأثر الجمهور بقصته الميلودرامية ولا كأنه هنا.. ولم يشعر به أحد.. أنا لا أشكك فى صدق حكايته.. ولكن احنا أيضا تغيرنا.. لم يعد من السهل التأثير علينا.. وصورة المطرب تغيرت أيضا.. فهذا النحيل المتهافت العبقري.. ليست هو مطرب هذا الزمان.. فالمطرب اليوم يطلع فى الأفلام.. ملاكمًا.. مصارعًا.. ميكانيكى سيارات.. استورجي.. والمجانص تبرز من صدره وذراعيه.. وهذه كلها صفات تعقدنى بصراحة وتقلل من احتمال أن أصبح مطربا فى يوم من الأيام.. ولكنهم ناجحون هكذا والجمهور يعشقهم بهذه الصورة.. وإذا كان العندليب هو الصورة الرومانسية الحالمة من المطرب.. فهم يمثلون الشكل الواقعى من المطرب.. ولا تعتقدوا أن جمهورهم من الشباب فقط الذين يريدون أن يرقصوا أو يتنطوا.. لا .. صدقونى أعرف امرأة فى السبعين تعشق عمرو دياب.. ورجلاً فى الثمانين مطربه المفضل محمد فؤاد.. عرفت هذا حينما كنت جالسًا فى مقهى.. والرجل المسن يجلس بجواري.. وكان التليفزيون يعرض أغنية الجندول لعبد الوهاب.. وكان

القهوجى يقلب القنوات وجاءت أغنية محمد فؤاد فى السكة فى السكة فى السكة.. فنادى الرجل المسن على القهوجى فى وهن.. خلى ده ياد يا عزوز.. وأخذ يدندن.. فى السكة شفت اثنين ماشيين مع بعضهم.. واستأذنت قائلاً.. طيب عن إذنك بقه يا كابتن..

كنت مسافرًا إلى الإسماعيلية وبجوارى فتاة رقيقة من الجيل الشبابي.. وكنت أضع فى الكاسيت أغنية أم كلثوم.. (كنت باشتقالك وأنا وأنت هنا.. بينى وبينك خطوتين).. وصلنا سوق العبور وما زلت الست تقول.. بينى وبينك خطوتين.. وصلنا الريست ولسه برضه بينى وبينك خطوتين.. دخلنا ع الإسماعيلية.. والست شغالة.. بينى وبينك خطوتين.. قالت لى الفتاة الرقيقة فى غيظ وهى تنزع الشريط من الكاسيت.. بعد إذنك بس عشان اتخنقت.. ووضعت شريطًا آخر يقول.. دباديبو.. دباديبو..

إلا العندليب.. فى النايت كلوب يرقصون على أغانيه.. وحتى المطربين الشبابيين يغنون له.. لا يزال الرجل رغم غيابه ممتلئًا بالحضور إنه الحارس الوحيد الباقى ليحافظ على عرش الرقة والرومانسية والعذوبة فى وجدان الناس.. سأغنى إذن.. ما المانع فى أن أغني.. ذهبت إلى منتج الكاسيت وأخبرته بنيتي.. عمل لى تيست.. وعرض على مبلغًا ضخمًا.. ولكنه كتب شرطًا غريبًا فى العقد.. أن أتعهد له بعدم الغناء.. مدى الحياة..

حبيبى وعنيه

هو لا يغني.. هو لا يمثل هو لا يفعل شيئًا.. هو سايب إيديه.

هذا المخادع العبقري.. يعطيك انطباعًا أن المسألة سهلة خالصة.. واخد بالك معايا.. ببساطة.. مفيش عقد.. اعمل زيى قول معايا.. حبيبى وعنيه.. لو فى وسط ميه.. ما يخفاش عليا عليا ما يخفاش عليا.. وأجى أعمل زيه.. فلا أستطيع.. ولا يستطيع أحد.. يخرج سيجارة ويولعها ويأخذ نفسًا ثم يب
شديدة يغني.. عوازلي.. لامونى.. وينساب
السلسبيل.. إذا أحببت أن تعيش
وإذا أحببت أن تتسلطن اسمع ع

تكون نفسك اسمع محمد فوزي.. ثم إنه لا يموت كما أنه لا يستمر.. إنه يهف على النفس.. كل كام سنة كده تلاقى مصر كلها بتغنى محمد فوزي.. من غير مناسبة وبلا أسباب هل تذكرون موضة الشارلستون التى كانت فى السبعينات ثم اختفت فى الثمانينات وعادت فى منتصف التسعينات هكذا هو محمد فوزى يغيب ثم يعود أقوى مما كان.. لم ينافس أحدًا ولم ينافسه أحد.. كله يعمل اللى هو عاوزه.. ومحمد فوزى شغال.. استطاع عبد الحليم مثلاً أن يؤثر على فريد.. هذه حقيقة.. فكلاهما يغنى لنا.. للعشاق.. للمعذبين.. المدهولين فى الحب.. أما محمد فوزى فهو يغنى له.. يغنى لنفسه.. نوع فذ من المطربين نسيج وحده.. وفى رائعته شحات الغرام.. هو شحات.. ولكنه لا يصعب عليك وإنما تقول عنه فيما بينك وبين نفسك يابن الجنية.. شحات ببدلة فاخرة يقف أسفل بلكونة ليلى مراد مستندًا على جذع شجرة قال!! يطلب منها موعدًا أو ابتسامة أو قبلة. لله.. إنه لا يتعذب ولا يعذبنا معاه.. حتى حينما تتجاهله الحبيبة لا يغنى مثل عبد الحليم راح .. راح.. خد قلبى وراح.. ويقطع قلبنا عليه.. بل يغنى ببساطة متناهية ما له القمر ما له؟! ما جيناش على باله؟ مجرد

سؤال!!.. وحتى حينما ركب الموجة ذات مرة ومثل دور مطرب مريض بمرض خطير فى أحد الأفلام لم نكن نصدقه.. كنت أحس أنه سينهض من على سريره فجأة ويقول.. هيه أنا مش عيان وضحكت عليكوا.. ولاحظوا معى الفرق بين حليم وهو يبكى ونتقطع نحن معه.. دمرتنى لأننى كنت يوما أحبها.. شوف بقى أخونا فوزى بيقول إيه.. تعب الهوا قلبى والحلو مش داري.. مجرد تعب بسيط واحنا زى الفل ومفيش أى حاجة.. له أغنية جميلة اسمها كلمني.. وطمني.. والأجمل قصة هذه الأغنية.. حينما ضايقه تأخر الموسيقيين ومغالاتهم فى كل شيء.. وكرهوه فى عيشته.. فأقسم أن يغنى بلا آلات.. هكذا ببساطة.. لا أحد يقف فى طريقه.. أوقف الكورال.. هم يقومون بدور الآلات.. فلانة.. كمنجه.. وفلان عود.. وفلان طبلة. كلهم ببقهم وسجل الأغنية.. وهو يقول.. كلمنى تقول الفرقة تاتا تاتا.. يقول طمني.. تقول الفرقة.. لا لا لا لا .. ولا الحوجة للآلاتية.. كممثل بقى.. أستطيع أن أصنفه على مسئوليتى واحدًا من أخطر الكوميديانات الذين ظهروا فى السينما كان يزاحم إسماعيل ياسين بكتفه فى الأفلام.. يريد أن يقول هو (الأفيه) قبله.. وكان مفكوكا.. ليس نجمًا منشيًا..

يرقص ويتنطط.. ويعمل كل شيء.. ببساطة متناهية.. وبرغم مظهره أو ما كان يحاول أن يوهمك به بأنه واد شقي ومقطع السمكة وديلها إلا أنه كان به طفولة وبراءة غير طبيعية.. كان يبدو لى مثل طفل يقول كلاما أكبر من سنه.. ولهذا السبب حقق نجاحا رهيبا وفريدا من نوعه مع الأطفال بالذات.. لأنه كان واحدا منهم.. وللحق لم يظهر قبل ولا بعد محمد فوزى أن خاطب فنان الطفل بهذه الدرجة من العذوبة والصدق.. بل إننى اتصور أن غناءه للطفل كان أشبه بهدهدة الأمهات لأطفالهن غارقا فى الحنان والحنية.. عارف الواد اللى اسمه عادل جه الدكتور وعمل له إيه.. راح مديله حقنة كبيرة عارف اداله الحقنة ليه.. ما بيشربش اللبن الصبح وكل أصحابه ضحكوا عليه.. ما هذه العبقرية!! إنه حتى لا ينسى أن يضمن لحنه طريقتنا فى

مناغشة الطفل.. والتى لا أعرف كيف أكتبها لكم الآن.. أنتم عارفينها طبعا.. وقصص للأطفال وحواديت يغنيها.. ذهب الليل طلع الفجر والعصفور صوصو.. شاف القطة قال لها بسبس قالت له نو نو.. ويعلمهم تاريخ الثورة من خلال أغنية بسيطة ولطيفة جدا.. صبح الماضى فى خبر كان كأنه ما كان كأنه ما كان.. والمستقبل بقى ويانا.. هكذا .. بلا آلات نحاسية وبلا زعيق.. هكذا كان فوزى يتعامل مع الطفل.. لو رجعنا إلى بدايات التفكير فى هذه الأعمال لوجدنا أنها محفورة فى وجداننا متغلغلة فى أعماقنا.. وأنا أعتقد أن الفنان الحقيقى ليس الذى يخلق عوالم خاصة به وأشياء من صنع خياله.. وإنما الذى يرى أكثر منا.. يرانا نحن فيقول لنا نحن هكذا.. وذلك ما فعله محمد فوزي.. ومن الأشياء اللطيفة جدا.. حينما عمل أغنية يغنيها ثلاثة هو وإسماعيل ياسين وسليمان نجيب (يا بختك يا قلبي) وظف كل واحد من هذا الثالوث الرائع حسب طريقته وتون صوته وأسلوب أدائه.. ولكن.. لماذا تراجعت مسيرة محمد فوزى الفنية فى السنين الأخيرة من حياته.. هل هو مرضه.. هل تغيرت الدنيا فى عينيه وحدث ما يسمى بعدم التواؤم.. هل فضل العصر الجديد أن يعتمد على حصان جديد

هو عبد الحليم حافظ واعتبر محمد فوزى حصانًا على المعاش!!
وهل لى الحق أن أسأل خبراء الموسيقى الشرقية وكبار منظريها أين محمد فوزي؟! وإذا كنا قد أخرجناه إعلاميا من مثلث العظمة الموسيقى الرائع . حليم وفريد وعبد الوهاب.. فأين وضعتموه.. هل هو فى نفس الأهمية.. أم أقل أهمية.. أيه حكايته بالضبط؟! فهمونا محمد فوزي.. لا نريد أن يطلع أحد ليقول إنه من طنطا وإنه تزوج فلانة.. وأنه كان يحب المكرونة فرن ولا أريد أن يذيع له التليفزيون فيلما فى الظهيرة.. حفظنا أفلامه صم.. لكننا نريد أن نفهمه.. ولا أريد أن نتعامل معه مثلما يتعامل إخواننا الصعايدة مع قريبهم الذى فى مصر.. فيقولون ده ماسك حاجة كبيرة قوى فى مصر بس أنت روح له وهو ح يخدمك.. ولا أعرف ما هى هذه الحاجة الكبيرة اللى ماسكها جريبنا ده.. أعلم أن فوزى قيمة فنية كبيرة.. ولكننى أتوسل إليكم أن تشرحوها لنا.. علشان لو حد سألنى والا حاجة.. لا أجيب عليه مثل يونس شلبي.. أيو.. أنا عارفه.. عارفه والله.. بس قول أنت..

يوسف بيه.. يا عينى عليه..

يوسف وهبى

حينما شاهده عزيز عيد.. تأمله جيدًا.. وهرش قليلاً فى صلعته.. نظر إلى جسمه.. الفارع الطول.. إلى وجهه الذى يشبه تماثيل الآلهة الإغريقية.. فحص بعناية فمه الضخم وأنفه الكبير.. وقال بخبرته.. أنت تنفع

كوميديان. أنت تشتغل مضحكاتي.. وزعل يوسف بيه.. زعل قوي..

فقد كانت الكوميديا أيامها سبة.. وتركه حانقا وقال لنفسه.. الراجل ده مجنون واللا إيه.. ولم يكن عزيز عيد مجنوناً.. كان أعقل من العقل نفسه.. ولكن يوسف بيه لم يسمع كلامه.. كان يحلم براسبوتين ونجح.. والتهبت الأكف بالتصفيق الهادر وصار الجمهور خاتم فى صباعه واخترع طريقة فى الأداء الكريشيندو.. يعنى إيه.. يعنى يبدأ الجملة بأداء هادى ثم يعلو بها بالتدريج.. بالتدريج إلى أن يصل إلى عنان السماء.. وتدوى الصالة بالتصفيق.. وبنات هوانم فى البناوير تخرجن المناديل الحريرية البيضاء وهات يا عياط.. ويطلع الفنان العظيم ليحيى الجمهور.. ولا ينسى طبعا أن يغمز بعينه لتلك الحسناء الجالسة فى البنوار. وتنظر له فى وله وشغف وهيام.. وتتوالى النجاحات التراجيدية الرهيبة كرسى الاعتراف.. سفير جهنم.. ليلة ممطرة.. إنه يقتل ويسفك الدماء.. ويبكى وينتحر.. والإقبال منقطع النظير.. واحد فقط كان ينظر إلى هذا النجاح الساحق بضيق.. وكأنه لا يفهم شيئا.. إنه لا يجد مبررا لكل هذا.. كان هذا الواحد العبقرى هو عزيز عيد.. ويناوله يوسف بيه جملة ساخرة..

كنت عاوزنى أبقى كوميديان يا أستاذ.. كنت عاوز توقعني.. وصار هو بحق فنان الشعب.

ولأننى أؤمن دائما بقيمة هؤلاء الذين يختلفون ليس ليعرفوا.. وإنما يشذون عن القاعدة ويكسرون التقيد ويحلقون فى آفاق أخرى جديدة.. لا نصل نحن إليها.. ولما رأيت الملايين يقفون فى صف واحد يصفقون لهذا التراجيديان العبقري.. ووجدت عزيز عيد يقف وحده فى صف يوسف وهبى الكوميديان وجدت نفسى أنسحب من تلقاء نفسى من صف الملايين الرهيبة.. وأقف وراءه.. وراء عزيز عيد فى صفه. وأنظر إلى يوسف وهبى بعينى أنا.. ليس بعين النقاد ولا الصحافة ولا حتى الجمهور.. ولم أتمالك نفسى وانفجرت من الضحك.. وجدتنى أمام الممثل الكوميدى الأول فى مصر.. بالنسبة لى على الأقل.. حتى فى مأساته كان كوميديا ... فى أعماله الأولى.. حيث كان يمثل بطريقة استعراضية ومسرحية.. ويخلط اللغة العامية باللغة

الفصحى.. يأخذ نفسا طويلا.. ويقول.. صضأينى يا ليلى هانم .. أبواب المجد مفتوحة أمامك على مصراعيها.. ونجوم السماء تتلألأ فرحة بقدوم الكروان الذى سيصدح فى سماء الفن..

وحين يستقبل ليلى مراد والريحانى فى فيلم (غزل البنات) ينزل يوسف بيه بالروب دى شامبر الحرير ولا ينسى المنديل طبعًا.. إنه يرسم صورة للفنان أسطورية.. ويقول لهما.. أنا الليلا دى كنت فى حاجة إلى حادث غامض.. حدث مريب حتى يحرك إبداعاتى وخيالاتي.. ثم يشير لهما بالسكوت ويقول بطريقة استعراضية فخمة.. عبد الوهاااب.. يشدو رائعته الجديدة.. ثم ينهى المشهد وهو يقول جملته الشهيرة.. ما الدنيا إلا مسرح كبير.. هل يمكن أن يتكلم ناس عاديون بهذه الطريقة.. طبعًا لا يمكن.. أن هذا

كوميدي.. وكوميديا صارخة كمان.. وأعطيكم مثلا تخيلوا أننى داخل على الست الوالدة.. وقت الغداء.. فأرتدى الروب دى شامبر.. وأجلس على السفرة.. ثم ألتفت إليها.. قائلا.. هل أعددتى الغداء يا أماه.. بوركت يديكي.. تضع لى طبق المحشى فأنظر إليه فى تأثر وأقول.. وما الدنيا إلا صحن كبير.. كان يعرف أنه يمثل.. وكان يريد الناس أن تعرف أنه يمثل.. أن يبهرهم بيوسف وهبي.. أكثر من الشخصية ومن العمل الفنى كله.. وهذه حقيقة إنه الشخصية الأكثر بريقًا بين كل نجوم الفن.. وفى فترة من شدة إعجاب الجمهور به.. لم تكن حتى

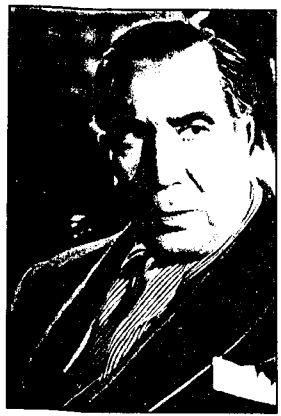

تفسر كلامه.. أو ما يقوله على خشبة المسرح.. ولكنهم كانوا يصرخون من فرط التأثر والمتعة.. وكان أحيانًا يراهن زملاءه على خشبة المسرح أن الجمهور سيصفق له حتى لو لم يسمع ما قاله حتى إذا لم يفسره وفعلها.. وكسب الرهان وفى مشهد من (غرام وانتقام) لا أعلم

لماذا يحذفه التليفزيون من نسخته التى يعرضها.. مشهد تقديمه للأسرة العلوية.. أسرة محمد على باشا.. تراه وهو يقدم الملك فؤاد والملك فاروق.. فتحس أنه الوحيد الذى يستطيع ذلك.. كان به فخامة وهيبة ولكنها لا تخلو من كوميديا إنك تشعر من رنة صوته.. أنه سيختم المشهد وهو يقول ما رأى جلالتكم.. ألا أستحق البهوية بعد كل ما فعلت ونالها فورًا.. وصار يوسف بك.. وهل كان يستطيع ممثل أن ينال البهوية وهو كوميديان.. مستحيل.. فعلها فقط.. يوسف بيه..

صدقته الناس كلها.. صدقوا فخامته وهيبته.. إلى أن صارت بهويته أمرًا واقعًا.. حتى أمام الملك.. وصار الريحانى العظيم الذى ألقت به الأقدار إلى الكوميديا.. مجرد فنان غلبان تحبه ولكن.. هل يجرؤ أن يطالب بالبهوية.. إنها نكتة.. أنت تقارن بين قصر منيف وبيت فى زقاق.. وإن كان هذا البيت المتواضع يحوى أشياء لا تقل قيمة عن محتويات هذا القصر.. وأخيرًا زهق يوسف بك من قصره فقد حصل على كل شيء.. أصبح يملك كل الألقاب والنياشين.. البيك وعميد المسرح العربي.. وفنان الشعب.. وفجأة نفسه هفته على هذا البيت الذى فى الزقاق.. وطلع له عزيز عيد من التربة.. ليعيد عليه ما قاله

من نصف قرن.. أنت ما تنفعش إلا كوميديان.. وبدأ يوسف وهبى يعيد اكتشاف نفسه من جديد.. ولا يمكن أنسى شخصية الراجل البصباص المراهق فى فيلم (إشاعة حب) أنا شخصيًا مت على روحى من الضحك.. وكل مرة أراه فيها.. لا يقل ضحكى بل يزيد.. كان بجواره كوميديان محترف.. عبد المنعم إبراهيم وشخصية عمر الشريف مكتوبة كوميدى صارخ ولكن هو.. مفيش غيره.. بلع الفيلم.. لا يظهر فى مشهد إلا ويقلبه رأسا على عقب.. سخريته من زوجته التركية الأصل.. مغازلته للنساء بطريقة رائعة ثم ثورته المفتعلة على عمر الشريف.. يا صواعق يا براكين اهبطى على رأس هذا الفاسق الفاجر وصبى لعناتك عليه وعلى ذريته.. ثم يهمس له.. هما مشيوا والا أكمل.. إنه بعبقرية يسخر بنفسه من طريقته فى الأداء المسرحي.. وكان هذا تحولا كبيرا فى حياته.. فبعد ما كان باشا تعجب به وتنبهر.. ولكن من بعيد ممنوع اللمس.. استطاع هذا الداهية العبقري.. أن يجعلك تقترب منه وتأخذ عليه.. بل وتقول له وأنت ميت من الضحك.. كفك.. يخرب عقلك.. يا أعزائي.. اسمحوا لى أن أعلنها لكم بكل صراحة.. لم أضحك مع إسماعيل ياسين والريحانى بقدر ما ضحكت مع يوسف وهبي.. ماشي.. قولوا عليا مجنون..

الريحانى الذى أبكاني

لا شك أنه هو.. وليس غيره.. أكثر الممثلين قدرة على اجتزار الحزن والدموع والشجن.. إن صوته المبحوح يتسلل بداخلى ويلمس تلك الغدة الكئيبة بداخلي.. وهات يا عياط.. قد تختلفون معي.. وقد أختلف معكم.. فأنتم تعتبرونه رائد فن الكوميديا والإضحاك فى مصر والعالم العربى كله- وأنا أعتبره حائط المبكى فى فن التمثيل.. إنه الريحانى الذى كان يختلف معكم ويتفق معي. كان يريد أن يصبح ممثلاً تراجيديًا.. كان يرى نفسه بالضبط كما أراه أنا ولكنكم أنتم يا أعزائى السبب فى أن يفشل حلمه التراجيدى الكبير وأنتم الذين شددتموه رغمًا عن أنفه ليعتلى عرش الكوميديا ولكنه كان عنيدًا حاول أن يقاومكم ويقاوم ضحكاتكم

التى كانت تزج المسرح.. قالوا عنه.. إنك لا تتمالك أن تراه حتى تضحك ولو من وجهه المكفهر المشحون بالعذاب.. أوصدتم فى وجهه كل محاولات البكاء والنكد التى كان يتمتع وهو يؤديها.. وكلما حاول بكل صدق أن يؤثر فيكم ويبكيكم. انفجرتم فى الضحك كأنه يلقى نكتة.. ومشت الصحافة وحركة النقد وراءكم.. تهكمت الصحافة وقسا النقاد وسخر الجميع من تراجيديته وتراكمت عليه الديون وغرق فى الفشل.. وكانت تهمته أنه يحاول أن يكون تراجيديا.. وذات يوم أصيب بنوبة برد فظيعة.. ونصحه الأطباء ألا يغادر منزله.. وحينما جاء موعد المسرح.. أحس أن جسمه يأكله.. تصور الجمهور وهو يسترد تذاكره ويعود محبطًا لأن الممثل مريض.. وإحنا ما لنا مريض وإلا بيموت حتى.. احنا جايين نتفرج.. ونهض من على سريره وعرقه مرقه وطيران على المسرح. لفحة الهواء التى استقبلته وهو خارج كانت واضحة وعاقدة العزم ومتجهة شخصيًا إلى حنجرته.. وطلع على المسرح ليمثل بصوته المريض المبحوح.. كان صوته له مذاق غريب.. فتصور أنه سيساعده على تحقيق حلمه على كسب عطف الناس وبكائهم.. هكذا يستطيع أن يكون تراجيديًا حقًا.. ولكن بمجرد أن فتح فمه.. وقعت الصالة كلها من الضحك وفطست

على نفسها.. إن الجمهور لا يرى سوى ما يريد أن يراه.. ولم يكن أمامه خيار.. سوى الكوميديا.. وإن كانت طريقة أدائه ظلت مشوبة ببعض السخرية.. وببعض المرارة.. ربما كان يسخر منا بدون أن ندري.

كان موظفًا محترمًا فى شركة السكر إلى أن جاء خطاب من عزيز عيد ليقلب حياته وضربت أمه يدها على صدرها.. يا نهارك أسود.. ممثل؟!! قلبى وربى غضبانين عليك ليوم القيامة.. ولم يتراجع.. كان يعلم أن قلب الأم غضبه ليس حقيقيًا وإنما تمثيل.. وغضب الرب مغفور بالتأكيد إذا استطاع أن يسعد الناس.. وصارت أمه تأنف من مهنته وتكره أن يعرف أحد أن ابنها ممثل.. وظلت رغم نجاحه تقول ابنى نجيب اللى بيشتغل فى شركة السكر.. وكان هو وقتها أهم من شركة السكر كلها وأكثر عسلا..

وحدث أنها كانت فى عربة المترو ذات يوم عائدة إلى المنزل فسمعت رهطا من الركاب يتحدثون.. يقول أحدهم.. شفت رواية الجنيه المصري.. بديعة قوى يا سيدنا الأفندي.. يرد الآخر.. الأبدع بقى سى نجيب الريحاني.. عظمه.. والله إنا الراجل ده بحبه أكثر من ولادى ومن عيلتى كلها.. رد الثانى مصر كلها بتحب سى نجيب.. وظلت أم نجيب تنصت للحوار

الدائر وقلبها يرقص من الفرحة.. ولم تتمالك نفسها فقامت فى وسط عربة المترو.. وقالت بأعلى صوتها أنا أم سى نجيب الممثل.. وابتسم الريحانى وهو يأخذها بين أحضانه.. قائلا.. الممثل.. أخيرًا نطقتيها يا امه..

وفى حياة الريحانى تراجيديا كبيرة.. أخوه جورج.. الذى اختفى فجأة.. وكان اختفاؤه الغريب.. مصاحبًا للصعود الصاروخى لنجيب.. وكأن القدر كان يعوض هذا بذاك.. كلما اختفى جورج ظهر نجيب وقال بعضهم إن جورج أسلم وانضم إلى جماعات الصوفية.. وقال آخرون إنه ترهبن واعتكف فى أحد الأديرة.. وزادت البحة الحزينة فى حنجرة الريحانى شجنا وكان يؤمن بالفأل والحظ والأحلام بصورة مرضية.. قالت له العرافة.. ستصاب فى حادث سيارة تكون فيها.. وأصابته فوبيا السيارات.. لم يمتلك سيارة طوال حياته.. وكان إذا ركب تاكسى يجنن السواق: حاسب.. على مهلك يا سيدنا الأفندي.. إيه.. وراك إيه. بشويش شوية أقف عندك هنا.. وينزل ساخطا لاعنا.. وينط فى أقرب حنطور..

ويقول لنفسه الحصان ع الأقل تعرف تتفاهم معاه عن سواق الأتومبيل.. اطلع يا أسطى..

وكانت النهاية التى لم تكتبها العرافة.. فى سيارة.. لا لم يحدث له حادث تصادم.. وإنما كانت نهايته الفنية فى سيارة.. فى نهاية فيلم غزل البنات وهو جالس فى الخلفية.. وأنور وجدى هو الذى يقود السيارة.. وليلى مراد بجانبه.. وكان كعادته يشخط فى السائق.. بص قدامك يا جدع أنت.. الدركسيون هنا.. مش هناك.. الدركسيون ده بعدين.. وتصدق العرافة.. فيموت الريحانى وتكون النهاية فى سيارة الفيلم لتصبح تلك هى آخر لقطة له فى لقائنا الطويل الممتع به.. ويصر أنور وجدى العبقرى أن يضع مشهد النهاية للريحانى وحده.. وهو جالس يبتسم فى سخرية ومرارة ويعوج طربوشه.. ابتسامة مليئة بالحزن والدموع.. ضحيت هنايا فداه.. و ح أعيش على ذكراه.. هذه الجملة خارج الفيلم.. إنه الريحانى يتكلم عن الفن.. الذى ضحى بهنائه من أجله..

وسيعيش.. بالتأكيد سيعيش على ذكراه.. وأعماله يا أعزائى اسمحولى أن أعلنها لكم بكل صراحة.. أمينة رزق لا تبكيني.. يوسف وهبى لا يبكيني.. الريحاني.. هو الذى أبكاني.

عاش .. فريد شوقى

أعلنت وكالات الأنباء فى العالم كله رحيل فريد شوقي.. ملك الشاشة ووحشها المهول عن عمر يناهز الثامنة والسبعين.. ووجدتنى أتساءل بمرارة هل عاش فريد شوقى ثمانية وسبعين عامًا بالفعل!! مأساة الفنان الحقيقى أنه لا يعيش، إن حياته أشبه بدوامة رهيبة.. إنه يقرأ ويفكر ويكتب.. ويظل الساعات الطوال واقفًا أمام الكاميرا.. يمثل المشهد.. ثم يعيد مرة ثانية.. لماذا يعيد المشهد؟! من أجلك أنت ومن أجلي.. ويضيع العمر يا ولدي.. يضيع فى أكشن.. بنصور اتفضل يا أستاذ فريد.. هايل.. نطبع ده.. والأستاذ جالسًا فى أحد الأركان ينتظر بين الديكورات فى البلاتوه.. يتقمص شخصية أخرى غير شخصيته الحقيقية التى تركها ولا يعلم أين تركها.. وإذا أحضرنا كل شرائط أفلامه ومسرحياته ومسلسلاته وعرضناها بلا توقف.. لظللنا سنوات نتابع رحلة إبداعه فإذا وضعنا فى الاعتبار الوقت الذى صورت فيه وجلسات التحضير والتفكير والولادة والمعاناة لوجدنا أنفسنا نتفرج على حياته

كلها.. وكثيرًا ما كنت أتأمل بداياته الأولى من أفلام أنور وجدي.. وهو فرد من أفراد العصابة.. لا ينطق سوى جملة أو جملتين فأرى فى عينيه إصرارا على النجاح وعزيمة من فولاذ.. وكأنه يقول.. اصبر قليلا يا عزيزى المشاهد.. قريبا جدًا سأصبح بطلاً.. وأصبح بطلاً بالفعل بلا منافس.. بطلاً فريدًا حقًا وصار وحش الشاشة هو الورقة المضمونة للنجاح.. وصاروا يوقعون معه الفيلم ويكتبون فى عقده عدد الخناقات التى فى الفيلم.. فإذا ضرب فريد شوقى فى الفيلم أنت ملكت الجمهور.. وصار مثلاً يقولونه أهل السينما.. أجيب فريد شوقى وما يضربش.. أمينة رزق وما تعيطش أديك شاش وأقول أبلكاش.. وعرف بذكائه الخارق أثره المهول على الجمهور فأصبحت خناقاته أفيهات كوميدية.. إنه يصبر فى البداية على أن يضربه غريمه فى الفيلم.. ويبتسم للجمهور فى الشاشة.. والناس هايصة فى الصالة.. اضرب.. ياللا.. اضربه.. وفى

اللحظة المناسبة.. بكل لطف.. يقول ما بدهاش.. تصدق بالله يرد الغريم.. لا إله إلا الله يقول الملك حلو.. ما دام اتشهدت.. طيب خد.. وينهال عليه ضربًا.. ويقف الناس فى السينما كأنهم يشاركون فى الخناقة.. ذهبت إليه ذات يوم بفيلم يقوم فيه بدور نصاب. وقرأ الفيلم وقال لي.. إن دورى ينتهى قبل نهاية الفيلم بنصف ساعة.. لن تجد أحدًا فى الصالة بعدها.. كان يعرف قدره عند جمهوره وحكى لى أن صلاح أبو سيف أصر أن ينضرب فريد شوقى فى فيلم الفتوة بالقفا.. فى بداية الفيلم قبل أن يتوحش ويكبر ويصبح هو فتوة السوق.. وفى أسيوط عرض الفيلم ولم يتحمل الجمهور أن يرى (الفتوة) يأخذ قفا وكسروا السينما كلها قبل أن يبدأ الفيلم.. وفى بداية السبعينيات سادت موجة أفلام الكاراتيه وصار لها جمهورًا كبيرًا.. ومر الملك ومعه المليجى شريكه اللدود فى معظم الخناقات الجماهيرية المثيرة على دار سينما كان الشباب مكتظا أمامها وكانت تعرض فيلمًا .. اسمه الرأس الكبير.. لبروس لي.. بطل الكاراتيه الشهير وبكى الاثنان.. وشعر كل منهما أن عصرًا جديدًا قد بدأ.. وقال له المليجى هيه راحت علينا ولاّ ايه؟! ولكن الملك أبى أن يموت.. وقرر أن يلم شعبه الذى بدأ ينحسر من حوله .. وكانت بداية جديدة عبقرية.. لمجموعة من الأفلام الإنسانية الرائعة.. والميلودراما التى أحبها الناس.. لا تبكى يا حبيب العمر وبالوالدين إحسانًا.. ومضى قطار العمر..

ولم يعد الجمهور يطالب و حش الشاشة أن يستخدم ذراعيه وينهال ضربًا على العصابة.. وقبلوا منه أن يستبدل بونياته وشلاليته بدموعه.. وأحاسيسه.. وصار وحشًا أيضًا فى المشاعر..

وأول مرة ذهبت إليه فى مكتبه بمنزله.. انتابنى شعور غريب بأننى أعيش لحظة تاريخية.. من هنا تطلع الأفكار من هذا المكان.. كلمنى عن مسلسله البخيل الذى كانت شوارع القاهرة تخلو من المارة وكأنه أصدر قرارًا بحظر التجول أثناء المسلسل هنأته على المسلسل.. فإذا به يتبرع مشكورًا ويدينى حصة فى التأليف (درس خصوصى مجاني) أفادنى كثيرًا.. قال لي- إنه كان كل يوم يسمع رجلاً من الباعة الجائلين ينادي.. بيكيا.. بيكيا.. وكان صوته مزعجًا.. فأمر الخدم أن يحضروه وجاء بائع الروبابيكيا.. ليجد نفسه وجهًا لوجه مع الملك.. يا خبر أسود يا جدعان فريد شوقي!! وتوتر الرجل.. وبلع ريقه بالعافية.. ولكن الملك.. خده إلى الجنينة.. ومع كاسيت صغير.. وقال له.. احكيلي.. قل كل شيء.. البيوت التى تدخلها.. والناس الذين تقابلهم.. وكيف تعرف قيمة ما تشتري.. وسجل له كل كلمة.. ليكتب بعد ذلك مسلسلاً رائعًا عن تجار الانتيكات والروبابكيا.. تلك هى عبقرية الفن.. أن تلتقط شخوصك ونماذجك من الحياة..

وبرغم طيبته الفريدة.. صدق الناس شره على الشاشة وكثيرًا ما كان يطلع فى أدواره باسمه الحقيقي.. فريد شوقي.. وكان له نظرته الخاصة ورفعة حاجبه المميزة التى سخر هو نفسه منها بعد ذلك ضاحكًا وقال.. أنا مش عارف كنت بأمثل كده ليه.. وفى لقاءاتى القليلة معه كنت أسمعه يتكلم عن أساتذته باحترام ووقار كأنه لا يزال يتعلم وهو المتربع على عرش الفن.. وفى فيلم الأسطى حسن يقدم لنا الملك شخصية العامل الصنايعى الناقم على حياته وفقره والذى تجتذبه المرأة الثرية الحسناء فى الزمالك.. ويصبح بعدها ملك الترسو.. لماذا لأنه يحقق لكل هذه الفئة من الطبقات الشعبية حلمًا خياليًا رهيبًا.. ويؤثر فى الناس بشكل ليس له مثيل لدرجة أنى سمعت من نجارين ونقاشين وكهربائية.. حواديت خاصة تشبه إلى حد كبير قصة الفيلم أنه ذهب إلى إحدى الفيللات لكى يدهن الشقة.. وراودته صاحبة الشقة عن نفسه ولكنه رفض أن يغضب ربنا.. حواديت كلها من صنع الخيال أو بشكل أكثر دقة من صنع الأسطى حسن.. نجمهم المحبوب الذى صار هو المثل.. ويسرح قليلاً الملك ويشرد بعيدًا.. ويسأل نفسه.. هل يولد الإنسان مجرمًا أم أن المجتمع هو الذى يصنع المجرم؟! ويطلع الفيلم جعلونى مجرمًا.. قنبلة فى وجه المجتمع ورسالة جديدة للتسامح مع من زلت قدمه مرة.. لإعطائه فرصة جديدة للحياة.. ويتغير القانون من أجل الفيلم.. يا للعظمة..

يا للروعة.. إلى هذا الحد يؤثر الفن فى المجتمع.. يتجاوز كل العقبات والروتين والأختام والأوراق والإمضاءات.. ولا يتوقف الملك.. لا يهدأ.. رغبته فى التأثير والتغيير رغبة جنونية ليس لها سقف إن ثقته بالنفس الإنسانية ليس لها حدود.. ما المانع أن يسمح لسجين أن يترك زنزانته لمدة ساعتين.. ليرى زوجته وهى تحتضر.. الفكرة مجنونة وغير تقليدية.. إذا رفضها الواقع فلماذا لا يحققها الفن.. ويطلع فيلم جديد كلمة شرف.. ولا تهدأ دماغ الملك.. النجاحات مذهلة.. والمسئولية تزيد.. والحب يغمره لدرجة أن قلب الملك لم يتحمل.. يركبون له جهازًا ليضبط ضربات فى القلب.. ونحن الذين كنا فى حاجة لهذا الجهاز.. فى كل رحلة علاج.. فى كل عملية جراحية.. وحينما أشيع خبر موته الأخير.. أنقذ الملك قلوبنا من الهلع والجزع عليه وقال كلمته الأخيرة الرائعة.. أنا خدمت مصر خمسين سنة بكل الحب والإخلاص والتفاني.. بكت أمى وهى تشاهده.. وأنا لم أستطع أن أمنع نفسى من البكاء.. كان يجب أن تحدث هذه الشائعة.. حتى يقول هذه الكلمة التى لخص فيها حياته.. الثمانية والسبعين عامًا التى عاشها أو التى لم يعشها من أجلنا جميعًا.. ولا أعلم لماذا انتابنى شعور بأن الملك سيبدأ حياته الآن وليست هذه النهاية.. قال لى أحدهم والدموع تملأ عينه فى حسرة.. مات الملك قلت له أبدًا.. عاش الملك.

أنت بشر غير عادى

أعترف لكم أننا جميعًا معشر الرجال نغير منه.. نحاول أن نتناساه..نحاول ألا نذكر سيرته كثيرًا.. ولكن هذا ليس مهمًا.. فالبنات والنساء لا يرين غيره فتى لأحلامهن مهما بعد.. مهما تغير شكل فتى الأحلام.. و الحقيقة أن فتى الأحلام الذى تقف أمامه البطلة.. هو أمل ملايين الحالمين الغلابة فى أن تضحك لهم الدنيا ذات يوم ذات سنيورة حلوة زى البطلة كده.. ولذا كلما كان فتى الأحلام عاديًا بسيطًا زاد أملنا نحن.. ولكن رشدى بصراحة يعقد.. مفيش أمل يابا!!! عينان بهما خليط عجيب بين الحنان والقسوة.. وشارب حكاية

يفصل بين الأنف المنحوت كأحد تماثيل الفراعنة وفم لذيذ المبسم.. وشعر ناعم يسقط كثيرًا على الجبهة المصقولة فى فوضى غير مفتعلة.. فارع الطول مثل ناطحات السحاب. وله ضحكة شهيرة مثل صوت موتور عربية ديزل.. ضحكة أسد فى عرينه..وبرغم أنه يدخل الخناقة من دول كالصاعقة كأنه فتوة من فتوات العصر الماضى إلا أنه كان حينا يحب.. يتعذب وينهار كأنه عبد الحليم.. تذكرونه طبعًا فى (الحب الضائع) مع سعاد حسنى عاشقًا نموذجيًا ولكنه يرتدى بذلة اللواء ويمسك بالعصا.. فتجد نفسك أمام باشا حقيقى (كلمة شرف) .. وتنسى أنه بالأمس القريب كان صعيديًا حتى النخاع (صراع فى النيل) وتنسى أيضًا أنه ذلك الممثل الكوميدى الرائع (الزوجة ١٣).. وأتساءل كيف استطاع هذا الوطنى المجاهد صاحب القضية فى (لا وقت للحب) كيف أقنعنى أنه ذلك الشرير الرهيب المخيف (الرجل الثاني).

لم تكن بداياته كممثل تبشر بهذا التألق وهذا العمق الفني.. كان شابًا غنيًا ابن ذوات.. غريم البطل غالبًا.. يتصور

دائمًا بالبذلة الأسموكنج والبابيون فى إحدى صالات الرقص.. ولكنه فجأة.. نوَر. أشع.. سطع.. وبرغم هيئته الارستقراطية كان له كلمات ريفية فيقول مثلاً.. أنا ح اتكلم فى (التلافون) ولكنك تتقبلها منه.. لأنك تحبه.. لا تعلم لماذا.. ربما لأنه كان محاطًا بهالة من الوقار والاحترام والغموض.. كان كالأسطورة.. حتى وهو يرقص على واحدة ونص وقد حزم وسطه بإيشارب وسط مجموعة من النساء (الزوجة ١٣) لا تشعر أنه فقد وقاره أو احترامه وهذا تناقض غريب.. وشعور المعجبات تجاه الفتى الأول يختلف .. فشعور المرأة تجاه عبد الحليم حافظ مثلاً.. أنها تحب أن تقع فى غرامه.. تتمنى أن تذوب فى مشاعره.. فى أغانيه.. فى عذاباته إذا نظر إليها.. تجرى هى وتأخذه فى أحضانها أما شعور المرأة تجاه رشدى أباظة.. أنها تخشى أن تقع فى غرامه.. تتمنى أن يخطفها ويجرجرها من شعرها إذا نظر إليها.. تباه مش على بعضها.. والشيء الغريب أن النجم حينما يحقق جماهيرية ضخمة.. يقلده الشباب.. قصة شعره.. ملابسه.. طريقته فى الكلام.. أجيال كثيرة قلدت عبد الوهاب وعبد الحليم وأحمد رمزي.. وغيرهم إلا رشدي.. لم يقلده أحد.. ألا تعرفون لماذا.. لأن أحدًا لم ينجح فى تقليده لأن أحدًا لا يستطيع أن يقلده وظل رشدى فى حياة الشباب قمة لا

تبلغ.. أمر واقع.. فتقول الفتاة الجميلة لخطيبها.. أنا طول عمرى بأموت فى رشدى أباظة؟! ماذا يفعل خطيبها بالله عليكم.. ينظر للمرآة التى إلى جانبه ويقارن بينه وبين رشدى فيستسلم.. ويحبط.. ويحمد ربنا أن رشدى أباظة مش قاعد فى القعدة.. وإلا صارت مصيبة..

ولكن هل كان سعيدًا فى حياته؟! أشك.. أنا لم أقابله ولكنى سمعت حواديت كثيرة عنه.. كان رشدى ينتحر.. يدمر نفسه.. يحب الحياة بجنون فينهل منها حتى الثمالة.. حتى يفقد وعيه.. كان مبهورًا مثلنا بشبابه وفتوته وجاذبيته فكان يكسر الترابيزات ويدشدش المحلات ويطلق النار هنا وهناك من مسدسه الذى لا يفارقه.. ثم يعود طفلاً.. يعتذر.. ويدفع ثمن أفعاله.. ويراضى الجميع..

تعذب كثيرًا.. وكان يبكى من فرط الحب.. وعذب كثيرات قضين ليال سوداء من فرط حبهن له.. وكانت الحياة تجرى بإيقاع سريع مهول.. وهو يريد للزمن أن يأخذ نفسه قليلا..

وكبر رشدي.. رأيناه أبا أبيض الشعر حركته ثقيلة.. ويتكلم بصعوبة.. وإن لم تفارقه تلك الهالة الأسطورية العجيبة.. وحينما كان الرئيس السادات يكرم الفنانين كرمه.. وطلع رشدى أباظة على المسرح مرتديا بذلة بيضاء.. وكان ساحرًا.. قالوا إنه تيرون باور مصر.. وكنت أراه أكثر جاذبية ونجومية من تيرون باور.

رشدى أباظة.. مقالتى عنه.. طلعت أشبه بمعالجة لفيلم سينمائي.. حياته زاخرة ملآنة مواقف وحكايات.. ولكنه فيلم سينمائى لن يطلع إلى النور.. لن يراه أحد.. لأننا فى الحقيقة لن نجد بطلاً يقوم فى الفيلم بدور رشدى أباظة.. سنكتفى بأن نصنع فيلمًا بداخلنا يؤلفه ويخرجه ويتخيله كل واحد منا على حدة.. وأتوقع أن يرى هذا الفيلم ستون مليون مصرى وستكون لهذا الفيلم نسخة خاصة بالنساء فقط..

صـــوت القمـــر

لا شـــك أن الجمـــهور أى جمهور مريـض بفكرة ثابتـة وانتقال الفنان من مرحلـة إلى مرحلـة أخـرى هـى أصعـب فترات حياتـه.. خصوصًا لـو كان ناجحًا.. فإذا أحبك النـاس طفلاً.. لا يريدونـك أن تكبر.. وإذا كبرت ينفضون من حولـك.. وحينما كبرت فيروز الطفلة المعجزة وصارت شابة جميلة ناضجة.. لم يتقبلها الجمهور.. وإذا أحبك الناس شابًا خفيف الدم مثل أحمد رمزى وحسن يوسف.. تظل المعجبات تهيم حبًا بك حتى لو صرت جـدًا ولكنها أعنى (المعجبة) لا تريد أن ترى آثار الزمن على وجهك.. وعليه فالنجاح المبكر كارثـة وهـو شهادة ميلاد فني.. وشهادة وفاة فى نفس الوقت للأسف.

استثناء واحد فقط.. غريب ومثير للدهشة لهـذه القاعدة..

يتكون من كلمتـين.. فاتن.. حمامـة.. طفلة عبقرية خفيفة الدم لأقصى حد.. بريئة براءة ليس لها نظير.. وممثلة مع عبد الوهاب فى (يوم سـعيد) وربما ممثلة أفضل من عبد الوهاب نفسه.. أتذكرها وهى تقول عن المشمشية التى عملتها أمها (فردوس محمد) كم هى شهية وطعمه.. ولم تكن المشمشية وإنما كانت هـى .. أنيسة الطفلة المشمشية الغارقة فى العسل والسكر وأتذكرها وهى جالسة أمامه وهو يغنى لها وحدها.. طـول عمـرى عـايش لوحـدي.. انفعـالات.. نظـرات بـراءة ورقة..وخطفت الفيلم.. صار بطولتها هى مع عبد الوهاب.. ولم يذكر أحد سميحة سميح بطلة الفيلم نهائيًا.

ولكن البنت تكبر.. تدخل فى طـور المراهقـة.. ولم تعد تعيش فى بيت متوسط الحال مع أبيها وأمها كما فى فيلم (يـوم سـعيد).. وإنمـا.. تعيـش فـى قصـر وتربـى كلـب لولـو.. وارسـتقراطية.. وليـس لهـا دور فـى الروايـة (رصاصـة فـى القلب).. مجرد أخت البطلة الصغـرى.. ولكنـها مـرة أخـرى بونبوناية الفيلـم.. إنها تجرى خلف الكلب فى سعادة ومـرح طفولى أخاذ.. وقد بدأ صوتها يتشكل.. وخـدوا بـالكوا مـن حكاية صوتها هذه.. فسيكون لهـا شأن كبير بعد ذلك.. صوت متقطع رقيق تخشى عليه مـن الهـواء الطـاير لا علاقـة لـه

بالحنجرة والأحبال الصوتية.. فصوتها من الأحبال القلبية مباشرة.. وانتصرت فاتن الطفلة.. صار لها معجبون.. ولكن حتى هذه اللحظة لم تكن فاتن قد أحبت سوى المشمشية والكلب اللولو.. فهل يتقبل الجمهور أن تحب رجلاً.. وتتعذب فى حبها.. وتصبح (الفيديت) أو البطلة التى يحبها البطل؟ لا.. لسه شوية.. إن ملامحها البريئة وصوتها المرهف يرشحها لسلسلة رائعة من الأفلام الميلودرامية.. أنا بنت ناس.. وظلمونى الناس.. لتصبح بعدها فى قلب كل الناس وفى (اليتيمتين) هى ليست فقيرة فقط ولا رقيقة فقط. وإنما كفيفة أيضًا.. حتى يتسنى لصوتها أن يأخذ راحته فى الدخول إلى شغاف القلوب.. بل وتلقى بها الأقدار فى براثن الشريرة الخرافية (نجمة إبراهيم) وابنها المجرم ولا يعطف عليها سوى اثنان.. بائع جرائد يخفى عنها أنه أعرج (فاخر فاخر) والجمهور طبعًا.. وتصبح فاتن حمامة هى فتاة الأحلام الوحيدة وتحاول كل فتاة أن تقلد طريقتها الهادئة المرتبكة الخجولة فى الكلام.. فليس وجهها فقط فوتوجينيك.. وإنما صوتها أيضًا فونوجينيك. اسمعها وهى تغنى مع شادية (ألو ألو إحنا هنا).

ما كل هذا الكسوف والحياء والرقة والسعادة والشقاوة وخفة

الدم؟! انظروا إنها تتبادل مع شادية نظرة جميلة.. وكأنها تقول لها ولنا على استحياء.. معلش أنا مش بأغنى واللهي.. دى مش شغلتي.. وقلنا جميعًا.. غني.. غنى يا فاتن.. بنموت فيكي..واعملى شرايط كمان ولقطة أخرى تعبر عن احتفاظها بشخصية (البنوتة) البريئة الساحرة فى فيلم (لحن الخلود).. حينما كان يغنى فريد الأطرش جميل جمال.. وهى كما نعلم تحبه فى صمت.. إنه كلما نظر إليها.. تضع عينيها فى الأرض.. ويحمر وجهها خجلاً. لقد شاهدت احمرار خديها بنفسى مع أن الفيلم أبيض وأسود.. ويغنى فريد.. ليه الدنيا جميلة وحلوة وأنت معايا.. وحينما يطلب منها سراج منير أن ترقص.. ترفض جدًا تنكسف جدًا وماجدة تزقها وسراج منير يزقها.. لكنها لا تستطيع..لا يمكن أن يهتز جسدها.. وعشقناها عشقًا.. وهى حينما لم ترقص.. كأنها فعلت كل ما فعلته تحية كاريوكا وسامية جمال معًا وصارت أسطورة.. وأسطورتها ليس لها علاقة بالفيلم أو بالحدوتة أو بأى شيء وكأنها فوق الدراما.. وهى مهما فعلت فى الفيلم أنت تحبها.. وهنا أتوقف عند نقطة عجيبة تكررت فى أفلامها تؤكد أن الناس أحبت فاتن حمامة بجنون.. فهى فى نهر الحب مثلاً.. متزوجة وتحب رجلاً آخر.. ومع ذلك كل الدنيا مش طايقة جوزها وتتمنى أنها تخلص منه

عشان تعيش مع اللى هيه عاوزاه.. لو كان لهذا الفيلم بطلة غير فاتن حمامة لشافت الويل من الجمهور.. والغريب أن معظم عشاقها فى الأفلام متزوجون فى (بين الأطلال) عماد حمدى متجوز.. وفى (لحن الخلود) فريد الأطرش متجوز وفى فيلم (وداعًا يا غرامي) هى متجوزة عباس فارس وبتحب عماد حمدي.. وحتى فى فيلم (أريد حلاً) كان هناك من يحبها وينتظر أن تخلص من جوزها وكأن الجمهور من فرط عشقه لهذه الأسطورة يقول لنفسه أو بالأحرى يقول للمخرج: شوف فاتن عاوزة إيه وأعملهولها.. ما تزعلهاش.. وحينما أقدمت على مخاطرة كبيرة وهى أن تعمل دور شريرة فى فيلم (لا أنام) صدقونى لم نستطع أن نكرهها برغم كل الأسافين التى عملتها.. وكل الشر الذى كان فى الشخصية.. وجدنا لها مبررات كثيرة.. قلنا: أكيد ح تندم فى الآخر.. وبعضنا قال: أصلا اتحرمت من أمها.. وأكثرنا حبًا لها.. قال: يا جماعة دى بتمثل.. ده المخرج اللى قاللها تعمل كده.. واتفقنا جميعًا على أن نزعل من هند رستم فى الفيلم ونظل على رأينا فى حبيبتنا فاتن وحينما نشب الحريق فى حجرة نومها فى آخر الفيلم.. نسينا الفيلم والحدوتة.. وكادت قلوبنا أن تنخلع لحسن يكون بعد الشر حصل لها حاجة..

ومرة ثانية.. يمر الزمن لتصبح أنيسة الطفلة المعجزة.. أما ناضجة.. وفى الوقت المناسب كعادتها تقدم لنا (أمبراطورية ميم) .. أم حقيقية مثقفة رائعة يقوم أولادها بثورة وانتخابات فى البيت.. وكلنا نقول لأنفسنا.. يا رب تنجح فى الانتخابات.. هما ح يلاقوا ضفرها.. وتنجح طبعا.. ويظل صوتها العبقري.. مفتاح القلوب.. حتى وهى تشخط فى أولادها.. (جتكوا القرف) مليئة بالعذوبة.. والرقة.. والسحر..

وأخيرا لا أحب تعبير (الزمن الجميل) الذى صار من أكلشيهات الكتابة هذه الأيام فلا تزال فاتن حمامة بيننا.. مستمرة فى عطائها وفى إبداعها.. ونحن فى شوق ولهفة ننتظر (وجه القمر).. وجهها المضيء دائما بكاريزما غير متكررة. لا تزال تدقق.. وتقرأ الجملة عشرات المرات حتى تستقر على فمها مرتاحة.. بعد أن تمررها أولا على الحبال القلبية.. فهى على موعد مع خمسة وستين مليونا.. لم تخذلهم أبدًا.. وهم أيضا لم يخذلوها.. نحن فى انتظارك يا قمر.. من قال إن زماننا ليس جميلاً.. يكفيه جمالاً وروعة.. أن به فاتن حمامة.

صغيرة على البعد !!

سعاد حسنى

فى الأعداد الخاصة.. المرتبطة بشخص أو بمناسبة.. أفضل ألا أكتب.. أشعر أننى لا أعمل بأزرار.. اكتب لنا عن الموضوع الفلانى.. فأدوس على الزر ويطلع الموضوع إلا هذه المرة.. حينما علمت من رئيس التحرير أن هذا العدد سيخصص لها..

وجلست بين الزملاء فى حالة لا يعلم بها إلا ربنا.. انكسفت.. وعرقت.. واشتقت وهمت وكنت فى دنيا تانية.. واخترق أذنى صوت رئيس التحرير.. اكتب عنها وابتسمت بلا رد.. فالصب تفضحه عيونه.. وهل أستطيع ألا أكتب عنها.. عن فتاة أحلامي.. وحبى الوحيد الذى هو من طرفى أنا وحدي.. ولست وحدى طبعًا.. قالوا إن مجنونا هام بها حبًا.. وأطلقوا عليه مجنون سعاد حسني.. ولكنهم لو توغلوا بداخل كل رجل..

لامتلأت الخانكة عن آخرها.. ويمر شريط ذكرياتى معها أمام عيني.. عرفتنى بنفسها فى البداية.. كان اسمها نعيمة.. ناعمة كالغريبة.. طعمة كاللبن.. طرية كالهلبية.. ريفية مستسلمة ضعيفة لا حول لها ولا قوة.. وكانت للأسف- طبعًا- تحب حسن.. ولأول مرة أبكى مع النهاية السعيدة.. لقد تزوجت حسن فى آخر الفيلم.. يا خسارة.. وبدأت أصبح حسودًا قرارًا.. أحسد كل من يمثل معها.. ويكتب لها.. ويخرج لها.. وكنت أحرص على أن أشاهد أى فيلم لها وحدي.. لا أريد أن يشاركنى أحد الفرجة.. فربما تجرأ أحدهم وقال وهو يشاهد الفيلم معي.. أيه القمر ده.. تهبل.. تجنن.. هنا الذى سيتجنن هو أنا.. ح أروح فيه أبو زعبل .. أنا بقول أهوه ..اللى يتفرج يتفرج بأدبه ويحط لسانه فى بقه.. ولماذا كل هذا لأشاهد الفيلم وحدي.. ربما.. صار لي.. دور..

وصارت مكتبتى الخاصة من الأفلام.. عبارة عن أفلام سعاد حسني.. وآخرين وكل يوم مهما كانت ظروفي.. لى لقاء معها.. بالأمس القريب كنت ألتقى بها فى غروب وشروق.. إعجاز يا أعزائى فى فن التمثيل.. المرحة الشقية اللعوب فى نصف الفيلم الأول.. ثم الحزينة.. ذلك الحزن المثير.. لطفلة كسرت لعبتها رغمًا عنها.. بعد وفاة زوجها الطيار.. ثم الحب الذى وقعت فيه مع زوجها الجديد.. الذى فرضته عليها الظروف .. الشيء المرعب أنها فى الثلث ساعة الأخير من الفيلم لم تنطق..

ولا كلمة.. زوجها وقد استغل البيت والجوازة للانتقام من أبيها.. والمواجهة بينهما.. وهى الضائعة بين حبها له وحبها لأبيها.. المجرمة والضحية فى نفس الوقت .. بلا كلمة واحدة.. بصات فقط.. نظرات عينى سعاد حسنى بعشرة أفلام.. إنها موجودة فى المشهد بل إنها أكثر الحاضرين وجودًا.. عيناها يا ناس ..

وصارت أيامي.. أفلام سعاد حسني.. السبت بئر الحرمان.. الأحد الحب الضائع.. أنا لن أنتظر التليفزيون حتى يعرض لى أفلامها. وما الذى فعلته فى بئر الحرمان؟.. إنها تلعب شخصيتين.. ماشي.. البنت المتحررة الجريئة.. والأخرى الخجول البريئة.. والاثنان كما يقول الكاتب والمخرج.. شخصية واحدة ولكنها حالة نفسية.. ما معنى هذا أنا الذى عندى حالة نفسية.. لقد أحببت كلتيهما.. الجريئة والبريئة.. وبنفس القدر وتمنيت ألا يكون عندها ازدواج فى الشخصية فقط يا ريت يكون عندها انخماس أو انعشار فى الشخصية.. لقد نجحت فى الشيء ونقيضه.. وإذا تأملنا قليلاً دورها فى الحب الضائع والصراع بين حبها لصديقتها.. وحبها لزوج صديقتها.. الرجل كان سعيدًا فى حياته.. زوجة حلوة يحبها وولد لطيف.. ولكن المشهد العبقرى الذى تحذفه الرقابة على طول لا أعلم لماذا.. مشهد القارب.. حينما تلاقت الأعين.. والأنفاس المتهدجة.. واللحظة الرائعة التى لم تكن جنسًا بقدر ما كانت حالة نادرة..

من التلاقى بين رجل و امرأة ليس بها مجون.. أو خلاعة.. أو بهيمية.. وكانت القبلة أشبه بشروق الشمس أو انحدار الموج.. أو هطول المطر.. وقلت لنفسى إذا كان هذا هو الحب الضائع.. فأنا إذا أحببت لن أعمل لحبى بدل فاقد.. خليه ضائع كده.. واللى ح يجيبهولي.. مش ح استلمه وإذا أحببت أن أفرفش بقى وأدلع نفسي.. أشوف زوزو.. نصحنى بها طبيبى الخاص.. كلما ذهبت إليه قرفان من الدنيا وبلاويها.. يكتب لى مهدئات ويقول لي.. شوف زوزو..جاءنى صديق خسر كل ما يملك فى صفقة.. وكان منهارًا أخذته من يديه وقلت له.. نشوف زوزو.. وبعد ما شاف زوزو..صار شخصًا آخر ممتلئًا بالأمل والحماس والحياة وآخر تقدم لوظيفة.. ولم يقبل فيها .. فجاء لي.. وشفنا زوزو.. وهو الآن مبسوط ويعمل فى مركز محترم ولا داعى لذكر اسمه.. وثالث جاء لى بعد مشاجرة عنيفة مع زوجته.. وقلت له كلمة السر.. شوف زوزو.. وبعد ما شاف زوزو .. طلق مراته.. وكل مشاكله اتحلت.. إن هذا الفيلم البسيط الرائع يحمل فكرًا تقدميًا خطيرًا ويحارب التيار الرجعى الذى يريد أن يشد المجتمع إلى الوراء.. هذا الكلام الكبير المجلص لم يقدمه لنا الفيلم بصورة منفرة مباشرة.. وإنما قدمه من خلال تلك المعجزة الشعبية التى احتلت وجدان كل الرجالة وكل البنات التى اسمها زوزو.. أذكر أننى رأيت مشهدًا عجيبًا حينما كان يعرض الفيلم فى السينما.. آلاف من البنات خارجات من

السينما.. من طبقات مختلفة.. طالبات.. موظفات.. ممرضات.. عاملات فى محلات.. كلهن خارجات من الفيلم صورة طبق الأصل من زوزو.. نفس التسريحة.. والبصة.. والبنطلون الهيلانكة بتاع زمان.. واستطاعت زوزو أن تغير نظرتى للراقصات بعدها.. وكلما رأيت رقاصة فى فرح انتابنى شعور غامض بأنها طالبة جامعية لا تزال تكمل تعليمها.. وأن هذا الواقف وراءها بالفرقة.. هو رئيس اتحاد الطلبة..

ومن أشهر المشاهد المرتبطة بهذه النجمة المعجزة.. مشهد اغتصابها فى الكرنك كان مشهدًا رهيبًا.. علق بأذهان المشاهدين بصورة غريبة.. بل إن مغتصبها الكومبارس صار نجما ومعروفًا بالاسم.. ليس اسمه الحقيقي.. وإنما اسمه فى الفيلم.. فرج. وتساءلت فيما بينى وبين نفسى لماذا تذكر الناس فرج.. الذى لم يفعل شيئًا فى الفيلم ولم يقل كلمة سوى أنه اغتصبها.. الإجابة.. لأنها عزيزة قوى على الناس.. لأنها صديقة.. جارة.. أختي.. بنت حتتي.. بنت خالتي.. بل إن

الشاشة شهدت نجمات كثيرات يغتصبن.. إنما هنا.. نتوقف قليلا.. إن الجمهور لا يقبل أن يمسها أحد.. لأنها ملك هذا الجمهور.

الصفحة قاربت على الانتهاء.. والكلام لم يبدأ بعد.. أنا يادوب بدأت أسخن ولكنى مقيد بالصفحة.. آخر حاجة.. قبل ما أمشي.. قصة لقائى الحقيقى بها.. فى المسرح فى أول رواية اكتبها.. جاءت لتحضر البروفة الجنرال.. وجلست فى أول صف.. كنت فى مكتب داخل المسرح وجاء أحدهم وقال للمنتج.. مدام سعاد حسنى بتتفرج.. انتفضت واقفًا.. وأمسكت بالرجل.. سعاد حسني.. حسني!! أجاب الرجل.. أيوه يا أستاذ.. وعاوزاك أمسكته من ياقة قميصه.. وقلت له.. ركز معايا وحياة والدك.. سعاد حسنى اللى هيه سعاد حسني.. ونظر لى الرجل كأننى قد أصابنى جنون.. وجريت من المكتب إلى المسرح كمن مسته الكهرباء صاروخ.. و.. أخ.. حته هضر!!.. وذهبت إليها جلست بجوارها.. سلمت عليها وعرفتها بنفسي.. كانت هى تنظر إلى المسرح تشاهد البروفة.. وأنا أنظر إليها فقط.. بروفة إيه دى اللى ح أبص عليها وسألت نفسى هل يعقل أن تعتزل فنانة بهذا التوهج وبهذه العبقرية؟! وأجبت على نفسي.. هى لم تعتزل.. احنا اللى اعتزلنا..

سعاد حسنى ..
راحت عند عبد الحليم

راحت السندريللا.. اختفت فجأة ولم تترك فردة حذاءها فى حفلة الأمير وهو لن يجوب البلاد بحثا عن قدم تناسب فردة حذاء سندريللا كما حدث فى الحدوتة.. فلن يعثر عليها الأمير مهما فتش ومهما حاول.. راحت السندريللا.. رقصت رقصتها الرومانسية البديعة.. فأثارت القلوب وحركت المشاعر.. ثم تسللت فجأة.. وتركت كل شيء.

ولم ترحل السندريللا.. من هنا.. من وسطنا.. من بين عشاقها حبايبها والهائمين بها وإنما رحلت من هناك من بلاد غريبة.. باردة لم تمت فى بيتها المتواضع فى مصر ولم تلق نظرة على نهر النيل قبل الرحيل وإنما كانت النهاية.. هناك.. عند نهر.. التيمز.. فى لانكشير وإكسفورد وبادينجتون.. ماتت بالإنجليزية وهى المصرية حتى النخاع.. ومتى حدث هذا؟ هل

هو يوم الجمعة الماضى كما قالوا فى نشرة الأخبار؟! لا لم يحدث.. قبل ذلك بكثير.. حينما ألقت بها الأيام فى بلاد تانية.. تتنفس فيها هواء تاني.. ماتت يوم أن مرضت وهى فى قمة عنفوانها.. وحيويتها وأصرت كعادتها أن تتدخل فى المونتاج.. تحذف هذا الجزء المؤلم من فيلمها الفاتن.. هربت.. ابتعدت.. وكأنها صدقت- كما صدقنا نحن- أنها هى سندريللا بالفعل.. وصرنا كلنا.. ذلك الأمير المتيم الولهان الباحث عنها فى كل مكان.

سقطت أوراقها.. ورقة ورقة.. مرة برحيل صلاح جاهين أستاذها.. وأبوها.. وعقلها الذى كانت تعشقه والذى كان بالنسبة لها أشبه بالساحرة الطيبة التى ألبستها الفستان المسحور وجعلتها أجمل فتاة فى الحفل.. ولكنها لم تنس أن تؤكد عليها أن تغادر الحفل قبل (الثانية عشرة) وإلا فسد كل شيء وسقطت أوراقها مرة.. برحيل عبد الحليم حافظ.. قالوا إنها أحبته وقالوا إنه الذى أحبها.. ونحن أحببنا أن تحبه وأحببنا أن يحبها..

وأكد بعضهم أنها تزوجته والبعض الآخر.. أكد أن هذا لم يحدث وكانت هى هناك فى لندن.. صامتة.. لا ترد.. ولا

تجادل.. ولا تؤكد ولا تنفى وها هى الآن قد رحلت.. ذهبت إليه..

من نفس المحطة الأخيرة التى غادرنا هو فيها أيضا.. من لندن.. ما أصعب النهايات.. الشقية الجميلة الخفيفة.. المنطلقة.. تموت بالاكتئاب!! إن عصرا كاملا من الفن والبهجة والروعة أراه أمامى وهو ينسحب فى أسى.

راحت السندريللا.. ولكن يا سوسو.. بدرى قوى لا زلت صغيرة صغيرة على الحب وعلى البعد والاكتئاب.. ثم إن سندريللا ترحل فى منتصف الليل كما تقول الحدوتة والساعة لم تأت الثانية عشرة بعد يا عزيزتي.. فلماذا هذا الهروب المفاجئ؟!

كنت بعيدة فى بلاد الإنجليز.. ولم نكن نطيق هذا البعد.. والآن صرت بعيدة جدا فكيف نتحمل؟!.. كان وجودك هناك مؤلما.. كنا نتوسل إليك أن ترجعي.. أن نراك فقط.. أن نسمع صوتك أخبارك أى حاجة من ريحتك ورغم التوسل والإلحاح لم نفقد الأمل أبدا.. فبجوار صالة السفر فى المطار.. دائما هناك صالة أخرى.. للوصول.. باقات الزهور كانت جاهزة لاستقبالك وقصائد الشعر كانت مكتوبة.. وفرقة (حسب الله) واحدة عربون.. وسمير خفاجي.. جاهز بالمسرحية التى ستقومين ببطولتها.. هو يعلم أنك صعبة ومتعبة ومجادلة نمكية.. ولكن يهون كل التعب معك.. كنت ستجدينه واقفا فى المطار بانتظارك طبعا.. وستجدينني واقفا بجواره.. فأنا لا أضيع فرصة كهذه أبدا.. هل تذكرين لقائى الأول بك فى المسرح.. حينما علمت

بوجودك.. وجريت ملهوفًا نحوك وأخذت.. (هضر) محترم.. كانت أول رواية أكتبها ولم أكن قد جاوزت السادسة والعشرين.. وقفت (متنح) أمامك.. وحينما نظرت لى بعينيكى المعجزتين الضاحكتين وقلت لى مندهشة:

أنت اللى كاتب الرواية؟! ده أنت (صغير على الكتابة) فقلت لك بسرعة.. كيف تقولين ذلك وأنت (صغيرة على الحب) فضحكت وقالت لى فى ود.. طيب أقعد هنا جنبي.. وجلست بجوارك أرقبك بطرف عيني.. ونسيت المسرحية ونسيت الممثلين.. كانت سعاد حسنى هى التى تتفرج.. وكانت.. هى البطلة..

وقال عنها صلاح جاهين فى حديث إذاعي.. مرة روحت السينما وقعدت أتفرج على فيلم لقيت حاجة كده طالعالى فى الشاشة حاجة غريبة!! زى الشهاب لما يطلع فى السما ساعتها قلت للى قاعد جنبي.. البنت دى ح تكسر الدنيا.. وقد حدث كسرت الدنيا فعلاً.. ولكن الدنيا هى أيضا كسرتها.. وبعد أن أعطتها كل شيء.. الشهرة.. المجد.. حب الناس.. الجمال.. الجاذبية.. خفة الدم.. والفلوس أحيانًا.. عادت وبكل قسوة وسلبتها كل شيء.. وعاشت سنواتها الأخيرة منفية بإرادتها فى لندن.. وهى التى كتبت بنفسها أدوات النفي.. (لا) ترد على التليفون.. و(لم) تقابل أحدًا.. و(لن) تعود للفن.. و(ليس)

أمامها سوى أن تعيش وحيدة فى منفاها الاختيارى ترفض أن تقبل معونة من أحد أو حتى ثمن علبة دواء إلى أن قررت فجأة.. أن تلحق بمن أحبتهم وأخذت معها أيامًا جميلة من عمرنا.. عشناها معها وتركتنا فى هذا الخواء الفني.. فى هذا التردى وهذا الافتعال وهذه المهزلة..

عذرًا يا سعاد.. لم أستطع أن أكون كوميديًا هذه المرة ولكن ربما أعود وأبتسم.. وأضحك.. وأشعر بالسعادة يومًا ما.. وأنا أسمعك تغنين بكل ظرف.. وبكل خفة دم وبكل حيوية .

بيت صغير فوق جزيرة لوحدنا.

والعنب طالع

وريحة البحر هاله..

حلم.. ولا حقيقة ؟

سيان عندنا ..

النتيجة واحدة يا عزيزتي.. سواء كنت حلمًا جميلاً فى حياتنا.. وافقنا منه.. أو كنت حقيقة رائعة.. وضاعت من بين أيدينا النتيجة واحدة.. الحياة لم يعد لونها بمبي.. بأى حال من الأحوال ولا حتى الأحلام..

سعاد حسنى .. التانية

لست طبيبًا نفسيًا.. ولا أحب أن أحلل الشخصيات ولكنى أؤكد لكم أنه دائمًا كانت هناك (سعاد) تانية.. ما أن تظهر الأولى حتى تطلع لنا التانية.. تنافسها تقاومها.. تضربها وتجرجرها من شعرها.. ثم تحضنها وتبكى بحرقة.. ثم تمسك كل منهما بيد الأخرى.. وتنطلقان فى سعادة فيملآن الدنيا كلها مرحًا وبهجة.. ولذا نراها فى معظم أفلامها لا تبحث عن دور.. وإنما عن دورين.. فهى لا ترضى أن تشتغل وتترك سعاد (التانية) فى البيت.. برغم أنها تتقاضى أجرًا واحدًا.. وتكتب اسمها مرة واحدة.. وهى لا تساوم فى هذا ولا فى ذاك.. وإنما هى تجادل وتطلع عين (المؤلف) إذا كتب لها دورًا.. دورًا واحدًا.. فى فيلم (نادية) لعبت الدورين.. المرحة المنطلقة الشقية والهادئة الخجول الرقيقة.. ولا أقول إنها لعبت الدورين باقتدار.. وإنما هى ببساطة شديدة لعبت أحد الدورين بعظمة.. والدور الثاني.. لعبته سعاد التانية.. بروعة أيضًا..

وفى فيلم (صغيرة على الحب) فعلت الشيء نفسه.. أعطت نصف الفيلم لسعاد الطفلة.. وهى لعبت الدور الثاني.. وفى (بئر الحرمان) جاء السيناريو.. وعرض عليها فاختارت سعاد الأولى دور الخطيبة البريئة المحبة.. واختارت سعاد التانية دور المرأة المثيرة التى تخرج فى أنصاص الليالى لتلتقى بالرجال وكانت أجمل من مارلين مونرو.. دائمًا كانت هناك تلك الإزدواجية فى كل أفلامها.. حتى فى زوزو.. هل يصدق مخلوق أن تلك الراقصة التى من شارع محمد على والتى تحيى الموالد والأفراح الشعبية.. هى هذه الطالبة المثالية الملتزمة فى الجامعة؟! ولكننا جميعًا صدقناها أو بتعبير أصح صدقناهما.. وأيضًا فى (الزوجة الثانية) هل هذه الفلاحة البسيطة الغلبانة مرات أبو العلا.. هى زوجة العمدة القوية التى تحل وتربط وتكيد وتنتقم كل هذا الانتقام؟! وأيضًا هل تتحول هذه المرأة العابثة اللعوب فى (غروب وشروق) إلى هذه الزوجة المحبة الهائمة بزوجها؟! وفى مسلسلها الوحيد (هى وهو) احسبوا معي.. كم (هي) فى المسلسل.. بل كم (هي) فى كل حلقة وفى كل مشهد؟!

افترت سعاد فى الفن.. لم تترك عضلة من عضلاتها ولا عصبًا فى وجهها ولا لمحة من مشاعرها لم تطوعها لفنها المعجزة.. وكأنها كانت تعلم أن عمرها قصير.. فكانت تمثل بالدورين والتلاتة مرة واحدة.

قال مرة عنها الفنان حسين فهمى فى حديث تليفزيوني.. حينما مثلت مع سعاد.. تعجبت.. فتلك الفنانة الكبيرة التى تملأ الدنيا رقصا وغناء وبهجة.. فى اللوكاشن (مكان التصوير) جادة جدًا.. مغلقة جدًا.. ولم أتعجب أنا.. فهذه هى سعاد التانية فموهبتها العبقرية كانت تدفعها دائما لفعل شيئين فى وقت واحد.. أتخيلها قبل التصوير شاردة.. ضاربة بوز.. قلقة.. ولكن بعد دقيقة واحدة.. حينما تدور الكاميرا.. سينفجر بركان من الدلع

والضحكة الرائعة التى لم يتورع كمال الطويل أن يلحنها بعد أن كتبها صلاح جاهين هو أيضًا.. ولم تسمح سعاد الأولى ولا التانية.. لسعاد حسنى الإنسانه بأى شيء.. أحبت فعارضتا هذا الحب.. سمحت لكل البنات فى الدنيا بأن يقلدنها فى الحب، ولم تسمح لنفسها به.. تزوجت.. ولم تعطياها الفرصة لأن تستقر أو أن تستمر.. كسبت آلاف الجنيهات.. ولم يتركا لها مليمًا واحدًا للزمن.. لم يكن لدى سعاد الأولى من هم سوى أن تسكت الثانية.. وتشبعها بأدوار جبارة ترضى غرورها الفنى وطموحها العبقري.. ولم يكن لدى سعاد التانية سوى أن توفر للأولى.. الدور الملائم..

ولكن هذا السيناريو الأخير.. كان كارثة بمعنى الكلمة كان الدور.. مريضة ضائعة وبعيدة هناك.. فى لندن!!

ماشى أعمله ولكن أين الدور الثاني؟! إن سعاد التانية تزن عليا طول الوقت.. ولا أقبل أن أعمل دورًا بدونها..

ولأول مرة.. لم يكن لسعاد التانية دور.. ولأول مرة.. الدور إجباري.. أمر واقع وليس أمامها أية فرصة للاختيار.. وقاومت.. احتجبت عن الناس وزاد وزنها وسمنت وهى الرشيقة الخفيفة كالغزال.. وهذا حدث أيضا رغما عن إرادتها.. وبدأ الدور الجديد يزعجها بحق.. وغرقت فى الاكتئاب ولكنها لا تملك حتى أن تعتذر هذه المرة.. وقررت أن تستدعى سعاد التانية مهما كان الثمن.. فأنقصت وزنها.. بصورة رهيبة.. ١٥ كيلو مرة واحدة.. وحينما قال لها الطبيب فى هلع.. اللى بتعمليه ده جنون.. انتى فقدتى نصف وزنك قالت له فى حزن.. يبدو أننى فقدت النصف الحلو اللى فيا.. وكانت لا تعلم أنها فقدت (سعاد) التانية.

إن حزنا واحدا لا يكفى على رحيل سعاد حسني.. فلا أقل من.. حزنين.. حزن على الأولى.. وحزن على التانية.

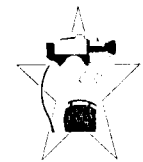

إلا أنت يا سعاد

الأصعب من الألم.. وهو ألا تشعر بالألم.. أن تتبلد.. فقرن فلفل حامى فى فمك يشعل حريقا يلهبك.. لا يقل حلاوة عن بومبوناية مسكره يذوب عسلها فيه فتستمتع بلذته.. ولكن لا حزن ولا فرح!! لا حلاوة ولا استياء!! لا طعم ولا رائحة!! تباه دى عيشه؟ هذا هو إحساسى بعد رحيلها.. ولكن كل الذين رحلوا من أساطين الفن العظام تركوا علامة ما داخل أعمالهم الفنية تجعلنا نتقبل فكرة رحيلهم وخلود أعمالهم... شيئا ما.. لا أستطيع أن أصفه.. نظرة ما.. أو كلمة.. أو لقطة.. تجعلنى أحس أنهم الآن فى التاريخ..

وأنهم جزء من ماضينا الجميل.. اسمهان وليلى مراد وأم كلثوم.. وغيرهن.. يمثلون ويغنون ويملأون الشاشة بهجة وحياة.. أشاهدهن.. واتمتع وأسعد.. واتحسر أحيانا.. ولكن يظل بداخلى ذلك الشعور بأنهم ليسوا معى وأنا لست معهم.. بشارة واكيم ينسينى أحيانا أنه رحل.. ويضحكنى جدا.. ولكننى أتذكر ولو للحظة أنه.. ليس معي.. فلا يفسد متعتى ولا يوقف ضحكى وإعجابى .

إلا أنت يا سعاد.. فمشاهدة أفلامك بعد رحيلك عملية غريبة.. فكمية الحياة التى فيكى مذهلة.. أنا معك تمامًا.. وأنت معي.. ولا أدرى أينا الذى عاش وأينا الذى مات؟ ومن منا

يتفرج على الآخر.. لم أستطع بعد أن أشاهدك كما أشاهد فاطمة رشدى أو نعيمة عاكف أن أشعر .. بهذه الراحة والاستقرار.. صار فيلم (خللى بالك من زوزو) فيلما مأساويا مليئا بالفواجع.. مبهجة أنت أكثر من اللازم.. أكثر مما نتحمل.. لو حضرت تصوير هذا الفيلم لهمست فى أذنك أو فى أذن حسن الإمام.. أن يقلل من مرحك وانطلاقك قليلا .. تحسبا لهذه الظروف.. وليس معنى هذا أننى حينما أراكى على الشاشة.. أبكى أو أتألم.. أين هذا الألم.. وفى نفس الوقت أنا لست سعيدا.. غصة فى حلقى ربما أو حاجة كاتمة على نفسي.. المهم إنى مش مستريح.. لا أريد أن أتفرج.. وأريد.. لا أريد أن أتذكر. وأريد.. وفى النهاية قلت لنفسي.. ستمر الأيام وستتعاقب الأحداث.. وسننسى بالتأكيد.. وسأنسى وسأشاهدك على الشاشة كما أشاهد كل البطلات اللاتى رحلن عن الدنيا.. ولا تزال أدوارهن فيها.. وسقط البرجان فى نيويورك.. تلك السقطة الرهيبة المروعة التى ارتجت لها الدنيا كلها ولكن ظلت سقطتك فى لندن أشد. فى نيويورك قالوا إن بن لادن هو الذى فعلها وفى لندن قالوا إنك أنت الفاعلة.. وفى نيويورك أظهروا لنا شريطا مسجلا لبن لادن يعترف فيه بفعلته.. وتشككنا فى الشريط.. وقلنا إنه مضروب.. وأنه دليل مزيف.. وكان يجب أن نقدم لهم فى لندن كل شرائط أفلامك لكى نبرئك من هذه

التهمة.. قالوا أنه اكتئاب أدى لانتحار.. وأنا أقدم لهم دليلا مسجلا بصوتها قالت فيه.. قلبى بيزغزغ روحه بروحه علشان يبعد عنه التكشيرة.. قالوا أنها التى قصفت عمرها بيديها.. وهذا دليل آخر أقدمه بصوتها وصورتها.. تقول فيه.. قال لك وصفة بلدية للصحة وطولة العمر خد شمس وهوا على ميه بلا دوا بلا عيا بلا مر.. كل هذه الأدلة وتريدون أن تقفلوا الموضوع بهذه البساطة.. انتحرت!! تماما كما قلنا وهى على قيد الحياة.. انها اعتزلت.. ما اسهل النهايات.. ونروح بعيد ليه.. البرج وقع فى ثانية.. وانتى رحلتى فى ثانية ربما لو كنت أمريكية لعرف الفاعل فورا.. لكنك مصرية.. مصرية جدا.. ولذا سترحلين ومعك سرك مثلما سقطت الطائرة المصرية على الشواطئ الأمريكية ومعها سرها.. والحياة باهة لونها كحلي.. أقول لك آخر أخبارنا يا سعاد.. شارون طايح فى فلسطين بكل وحشية وأمريكا سعيدة به للغاية والعرب والمسلمون صاروا هم السفاحون القتلة.. والدولار عدا الخمسة جنيه.. والشباب الجديد.. لا لاقى شغل ولا بيشوف أفلامك يعنى مقفلة من كله.. والدنيا معادتش ربيع والجو ما عدش بديع.. الجو بعيد عنك باهه برد بشكل فظيع.. وكلنا واخدين الدور ومناخيرنا مكتومة ومش قادرين نتنفس.. لا أريد أن تأخذى منى العدوى.. من البرد والاكتئاب.. لكن أحب أن

أطمئنك.. كل جرائد مصر ومجلاتها أفردت آلاف الصفحات لك.. الكل كتب.. والكل تكلم.. حتى الناس العاديون فى الشوارع تكلموا وكتب بكاملها تعرضت لمسيرتك الفنية العظيمة.. نفدت فور صدورها.. فالكل راهن على حب الناس لك.. والكل كسب الرهان.. فأنت كما تعلمين كنت مقلة جدا فى أحاديثك الصحفية والتليفزيونية.. وأخونا أشرف غريب عمل كتابا رائعا عنك.. وحينما أهدانى النسخة ظللنا أنا وزوجتى نتخانق طول الليل على الكتاب.. لم يفض الشجار سوى أن التليفزيون كان يعرض ليلتها (الزوجة الثانية) فأنا شاهدت الفيلم وهى قرأت الكتاب .

سيدتي.. هناك مشكلة صغيرة.. أخيرة.. أحب أن أفضى بها إليك.. منذ رحيلك لا طعم لأى شيء فى الحياة .

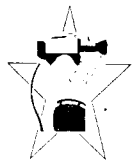

القلب يحب شادية

لا أستطيع أن أنطق اسمها دون أن ابتسم.. شادية.. والابتسامة إذا وضعت تحت جهاز الأشعة أو نظرنا إليها عبر ميكروسكوب يحللها.. لوجدنا أن الابتسامة .. بها حالة من الرضا والراحة والحب العميق مع هالة نورانية ساحرة.. مهما كانت الهموم والصعوبات التي تلاقيها في حياتك.. جرب كده وقول.. شادية.. صدقني سترتاح.

أحب أن أرى أفلامها في الصباح حينما تدخل الشمس الجميلة بيتنا البسيط فتخلق حالة من الدفء والونس.. وتكون أمي قد جهزت الساندوتشات وبراد الشاي وكل حاجة جنبنا.. حتى لا تضطر أن تقوم في نص الفيلم .

عودتنا شادية أن تنتهي غالبية أفلامها بتلك النهاية السعيدة حين يجمعها المشهد الأخير مع كمال الشناوي أو شكري سرحان أو عبد الحليم.. هنا أحدق في وجوه من حولي.. أمي وأخواتي.. فأجد تلك الراحة الجميلة.. والاطمئنان العذب.. ولذا أقسم لكم أنني كنت أعلم مسبقا أن الفصل الأخير في فيلم حياتها سيكون بهذه الروعة.. وبهذا الصدق.. لمحت ذلك منذ البداية.. حتى قبل أن تبكيني معها وهي تكاد تطير من على الأرض وتغني.. آدي حالي وحال جميع المؤمنين اللي آمنوا بالنبي الهادي الأمين.. لا.. قبل ذلك بكثير.. من أيام فيلم معلش يا زهر.. وأنا وحبيبي لم أكتف أو أقنع بأنها تزوجت في آخر الفيلم كارم محمود أو منير مراد كما هي النهاية السعيدة.. نعم.. إنما.. هناك ما هو أسعد.. وأخلد.. وأروع.. لكن من السيناريست الذي يكتب ذلك؟! فالكتاب لهم حدود برضه.. صاحبة النهايات السعيدة.. تبحث عن أسعد نهاية وكان يجب- هذه المرة- أن تكتبها بنفسها.. بكامل إرادتها.. وعقلها وقلبها. إنك لا تهدي من أحببت.. الله يهدي من يشاء.. وربنا أحبها.. بعد أن حبب فيها خلقه.. يابختها.. ويابختنا بها.

قالوا إنها ستكرم في مهرجان السينما وقالوا إنها ستحضر التكريم.. ولم أصدق ذلك فهي عندها الحضور الأقوى والأهم.. إن حالة التصوف والذوبان والعشق في ذات الله التي رأيتها فيها وهي تغني.. جه حبيبي وخد بأيدي قلت له أهلا يا سيدي كانت أشبه بيمامة ترفرف لتحلق بعيدا.. فهي معنا.. ولست معنا.. لم تعد جوائزنا تنفعها.. أنها تفكر في جائزة كبرى.. كلما قابلت الفنان الكبير والنجم الفلتة.. كمال الشناوي.. اسأله.. كيف يا أستاذ كمال كيف لم تتزوجا؟ الجمهور قرر ذلك لكما.. فيبتسم الأستاذ كمال ابتسامة مليئة بالود والسعادة.. كأنني رشيت عليه كلونيا.. ويستعيد في شاشة ذهنه شريطا رائعا لأيام جميلة.. ولكنه لا يرد ولكن.. ما هذا.. إن كل من تمثل معهم شادية تليق عليهم ويليقون عليها.. إنها تصبح أطول مع رشدي أباظة.. وتقصر مع عبد الحليم.. دمها يخف مع إسماعيل

ياسين وتصبح أرشق مع منير مراد.. وحينما تغني لشكري سرحان أنا قلبي معاك ثانية بثانية.. يكتمل الثنائي في ثانية.

بل إن كل من يمثل لأول مرة.. كان يجري ليحتمي بحنان ودفء وصدق شادية.. فهذا كمال حسني.. لأول مرة.. معها.. وهذا منير مراد لأول مرة.. معها.. وهذا عبد الحليم لأول مرة.. معها أيضا.

كل من يبدأ في شق طريق النجاح.. كان يذهب إليها.. وكأنه رايح ياخد البركة وفؤاد المهندس.. النجم الكبير.. في بداية مشواره.. كان يجب أن يعمل فيلما.. ويصبح بطلا في فيلم بنت الجيران ومن هي بنت الجيران؟ شادية طبعا، التي تفتح النوافذ

في الصباح الباكر.. لتشدو كبلبل حقيقي.. الشمس بانت من بعيد.. جاية ومعاها نور جديد يجعل نهارنا نهار سعيد.. علمتم يا أعزائي.. لماذا أحب أن أشاهد أفلامها في الصباح الباكر؟! أنا مدين لشادية بثلثي فترات السعادة التي شعرت بها في حياتي على الأقل.. سعادة حقيقية ليس لها علاقة بالأفلام أو بالأغاني سعادة من تلك النوعية التي منحتني إياها أمي مثلا.. فأنت حينما تشاهد (بشرة خير) و(ليلة العيد) و(قدم الخير) أنت لا تبحث عن التصوير والإخراج والسيناريو.. أنت تبحث عن شادية.. عن أختك النغشة الجميلة التي تتمنى أن يوفقها ربنا في آخر الفيلم ويكمل لها على خير مع حبيبها على رأي الشاعر.. وكل مرادي أن تكوني هنيئة.. ولو أنني ضحيت نور حياتي.. ولذا فأنا لم أزعل حينما اعتزلت وارتدت الحجاب.. واختفت.. فهي سعيدة.. منتشية.. متهنية.. أنا أشعر بذلك.. وفرحان لها جدا.. والذي حدث ليس غريبا وليس مفاجأة إطلاقا تأملوا معي وجهها السمح ورضا ربنا عليها من أول لحظة شاهدناها فيها.. سيماهم على وجوههم.. باينة ياناس.. والمسألة فقط إنها تفرغت.. يارب أطل لنا في عمرها ومتعها بالصحة والسعادة إن وجودها في حياتنا منحة جديدة من السعادة التي ظلت تغدق علينا بها في نصف قرن من الزمان.

دى.. شادية

بعد أن سلمت مقالي في العدد الماضي (القلب يحب شادية) وروحت البيت.. لا أعلم لماذا شعرت بقلق.. وبأني مش مرتاح.. فأنا قلت.. ولم أقل.. كتبت.. ولكن أقل مما ينبغي. أشياء كثيرة واجبة الكتابة تدافعت إلى رأسي بعد أن سلمت المقال.. والعمل؟! كلمت الكواكب.. وقلت.. هل يمكن أن أبعث ملحقا للمقال.. كمالة.. نصف صفحة زيادة.. أو صفحة.. أو عشر صفحات.. وكان الرد.. أن المقال طبع خلاص.

وماذا أفعل في كل هذه الأفكار التي تجمعت في رأسي!! سأكتبها حتى لو لم يكن عددا خاصا عن شادية إن صفحة واحدة كتبتها عن شادية.. ظلم.. ظلم لي لا يقل عن الظلم الواقع عليها.. وعدد واحد عن شادية- برغم عظمته- ما هو إلا مسح زور.. ونحن نريد أن نشبع.. ولن نشبع.. قطعة الألماظ الحر ذات الوجوه العديدة.. لا تستطيع أن تراها من جانب

واحد.. بل يجب أن تلفها بيديك.. وتمتع نظرك.. وإلا فشلنا جميعا في أن نضع لقبا لشادية يحتويها ويكفيها فهي التي أبكتنا وأضحكتنا وفرفرشتنا وسلطنتنا.. ودلعتنا.. نعم هي التي دلعتنا.. فالدلوعة لم تتدلع علينا بقدر ما شعرنا معها أنها هي التي تدللنا.. وكل فنان عنده فترة من حياته بها حالة من التوهج واللمعان يحصل فيها على أغلبية ساحقة في الحب والإعجاب به.. ولذا فمعظم الفنانات يحاولن أن يتمسكن بهذه اللحظة الفريدة.. نعم هي لحظة ولو استمرت عشر سنوات.. كل منهن تتمنى أن يثبت الكادر على هذه الحالة.. فلا تريد أن تكبر ولا تريد لشعرة بيضاء أن تتسلل رغما عنها في شعرها.. ربما تتغير النظرة لها.. وهذا الصراع الأبدي بين الفنان والزمن هو الذي ألهم تشيكوف فكرة قصته الرائعة عن الممثلة التي كانت نجمة وانفض عنها معجبوها.. كلنا أحببنا أحمد رمزي لدرجة الجنون وهو شاب مفتول العضلات فاتحا صدره في شقاوة.. ولكن الزمن الملعون والسنين لم ترحم.. ولم نتسمر كلنا أمام جاذبيته في هيام.. ورشدي أباظة حينما كان شابا لم يكن له هذا الحضور وذلك السر الذي أصابه وأصابنا به حينما صار رجلا ناضجا في الزوجة ١٣ مثلا. وبالأمس أخذت أفكر في

تلك المرحلة التي تربعت فيها شادية على عرش القلوب.. هل حينما كانت.. بنوتة صغيرة في أفلامها الأولى.. تغني وتمثل بخجل شديد وتنادي بدلع على كارم محمود وهي تدلدل له السبت من البلكونة .. حوسني.. يا حوسني نعم.. كانت رائعة.. طيب.. وحينما مثلت الزوجة ١٣ والمرأة المجهولة .

يا ساتر يارب .. أروع وأروع.. طيب.. المرأة الناضجة في اللص والكلاب ومراتي مدير عام يا عيني عليها.. وحينما قامت بدور الأم.. آه.. نتوقف بأه قليلا هنا.. لنرى معجزة شادية التي حرمت من ممارسة الأمومة في حياتها هي التي علمتنا كيف تكون الأمومة.. واسمحوا لي فأنا كما تعلمون شديد الاهتمام بهذا الموضوع أن أقول إن الأمومة في رأيي.. ليست في الخلف والتربية .. الأمومة كيان عاطفي كبير.. موهبة إنسانية فذة.. اختراع إلهي مقدس.. في عيون شادية.. أمومة.. في أناملها أمومة.. وذراعاها بهما لهفة أم.

إن كل مرحلة من مراحل حياتها تستحق لقبا.. وهي لم تحارب ولم تسع إلى أي لقب، لم تبحث عن مكان لها بين نجوم ونجمات السينما.. وإنما كانت دائما تبحث عن مكانة وليس مكانا فأنت لا تعلم لماذا..لا تستطيع أن تضعها بجوار فايزة

أحمد ووردة.. ولا تستطيع أيضا أن تضعها بجوار فاتن وماجدة.. أنت تضعها هنا.. وحدها.. ولا أحد بجوارها.. شادية.. ربما تكون هي الطبعة الأنثوية من عبد الحليم حافظ.. فإذا كان عبد الحليم قد فعلها بذكائه النادر وإصراره وصموده العجيب.. بالإضافة إلى فنه طبعا.. فقد فعلتها شادية بفطرة وطيبة وتلقائية وبساطة.. كانت تمثل بمنطق (ربنا يقدرنا على فعل الخير).. وهي فعلت خيرا ولم ترمه البحر.. إنما نثرته علينا كالورود الجميلة.. ولذا فأفلامها حالة من الخير.. لا تندم عليها بعد اعتزالها.. بشرة خير.. قدم الخير.. يبدو أنها وهي أمام الكاميرا.. كانت تعلم أن هناك واحد مبوز ومش طايق روحه زي حالاتي فنسيت البطل الواقف بجوارها وقالت لي.. افرد جناحين الشوق وتعالى نطير على فوق فتغيرت حالتي فورا.. وإيه لازمة القلق ده صحيح؟! صدقوني.. هناك بطلة تجعلك تتمناها.. وأخرى تجعلك تحبها.. أما شادية فهي.. مثل النجم الساطع.. عالي.. فوق في السما عالي.. جنب القمر عالي.. إنها فووق. انظر لها من بعيد وهي قريبة جدا.. ومتواضعة جدا.. وطيبة جدا.. ليست ارستقراطية ولا بنت بلد.. ليست غنية ولا فقيرة، إنها قطعة من الحنان اسمها

شادية.. ولذا لم استغرب حينما قالوا عن الأعمال الخيرية التي تقوم بها في سرية تامة.. وهدوء شديد.. ورقة متناهية فهذا هو أسلوبها في الأداء وهي لم تغير أسلوبها.. مازالت- في عزلتها- تسأل عن الناس والأصدقاء.. وتطمئن عليهم.. عادي.. فهذه الأشياء كلها أغان عذبة جديدة.. ترش السعادة على الآخرين.. فأنا حينما أسمعها وهي تشدو واحد اتنين واحد اتنين.. أشك وأقول لمن بجواري.. دي شادية.. وحينما يدخل المريض غرفة العمليات.. ويسأل الطبيب من الذي دفع أجرة العملية- سيبتسم ويقول له- دي شادية، ولذا فأرجوكم بلاش كلمة اعتزلت دي.. إنها مازالت بيننا.. وبعد فيلم بشرة خير.. وفيلم قدم الخير هي لا تزال تعيش للخير.. لعمل الخير.. ولا أزال أصفق لها بحرارة وحب وإعجاب وانتشى طربا لفنها الرائع وانتظر المزيد.. وبالأمس حينما دخلت بيتي ومعي هذا المقال.. قالت لي زوجتي مالك مبسوط كده ليه؟! فابتسمت وقلت لها.. دي شادية.

ده أنا غلباااان

وقف النجم الوسيم جدًا يداعب شعره بأصابعه ليعيده إلى الوراء.. وكان الأوتيل كله مقلوبًا عليه.. أقصد الجنس اللطيف يعنى واستطعت أن ألتقط الهمسات والتنهدات من حولي.. ياه.. ده أمور قوي.. ده أحلى من السينما كمان شفتى عنيه؟!

والنجم الوسيم يقف مرتبكًا لا يدرى ماذا يفعل ولكنه من آن لآخر يوزع ابتسامات ونظرات وتحيات للمعجبين والمعجبات الأحياء منهم.. والأموات وفجأة خرج من الأسانسير رجل بسيط وليس وسيمًا بأى حال من الأحوال ولا يداعب شعره بأصابعه.. وإنما يحك أنفه فى حركة عصبية. هذا الرجل

البسيط تحولت نحوه كل الأنظار وكل القلوب وكل الأوتيل برجالته بستاته ونسوا ذلك النجم الوسيم نهائيًا فى أقل من ثانية. لم يعد موجودًا.. وانقلب الموقف إذ داعب الرجل البسيط شعره بأصابعه.. أما النجم الوسيم فهو هذه المرة الذى حك أنفه فى حركة عصبية.. وفى نفس اللحظة.. كان هناك مسئول عربى كبير يزور الأوتيل نزل من سيارته.. واندفع نحوه النجوم يسلمون عليه.. ووقف الرجل البسيط إياه مكانه لم يتحرك خطوة.. وأتى إليه المسئول الكبير وسلم عليه بحرارة .. ومد الرجل البسيط يده فى شموخ وكبرياء منتصب القامة وسلم عليه وبرغم أن المسئول الكبير طوله مرتين.. ولكننى شعرت بقامة هذا الرجل العالية وشعرت أيضًا أن هذا المسئول المترين أقصر منه بكثير..

عرفتم طبعًا من هذا الرجل البسيط؟ إنه زعيم الضحك الجالس على عرش الكوميديا منذ سنوات.. ولأن دولة الضحك ديموقراطية لا تعرف تزويرًا فى انتخابات ولا تعرف قهرًا ولا ديكتاتورية.. فاز زعيمها بالأغلبية الساحقة فى عصر عزت فيه فكرة التوحد على أى شيء إلا شيئًا واحدًا لم يختلف عليه اثنان.. عادل إمام.

كنت أصور برنامجًا تليفزيونيًا فى بيروت وكان أحد الأسئلة الثابتة التى أسألها للناس.. من هو النجم الكوميدى الذى

يضحكك من قلبك؟! فإذا كنت سألت خمسمائة شخص هذا السؤال فأنا سمعت خمسمائة عادل إمام مش ٤٩٩ وكنت شديد الاعتزاز والفخر بهذا الرجل الذى أسمع اسمه فى حارة ضيقة من شوارع بيروت الذين حتى وهم ينطقون اسمه كانوا يبتسمون.

ولأن مصر هى عقدة العالم كله.. فكل فنان مصرى ينجح وينال جماهيرية كبيرة يحاولون أن ينسبوه إلى أصل غير مصري.. فيقولك.. عارف الفنانة الفلانية دى أبوها مش مصرى وأمها مجرية.. أما الفنان الفلانى فأصله شركسى حتى تلاقى عينه زرقاء وشعره أصفر.. إلا عادل إمام.. طيب ده ح يطلع أصله شركسى إزاى يعني؟! انظر إلى ملامح وجهه!! مصرى بدرجة مالهاش حل- ابن الإيه!! شبه كل المصريين اللى شفتهم فى حياتي.. وفى وشه كمية شقاوة غريبة.. أراهن أنه نط من على سور المدرسة وزوغ من الحصص ودخل السينما تفليته وشرب سجاير بدري.. أراهن أنه حب واحدة وما سألتش فيه واتعذب له شويه.. أراهن أنه قعد على كل قهاوى مصر وشكك ع النوتة كمان ولهذا صار زعيمًا. ولأنك تحب أن تضع على العرش نفسك وضعت عادل إمام وهذه هى أرقى أنواع الزعامة.. وهذا الولد المشاغب الذى صار زعيمًا ستدرسه الأجيال القادمة فى كتب التاريخ.. وستدخل الأبلة الفصل وتكتب على السبورة بخط جميل (عصر عادل إمام).. وسيقول

أحد التلامذة للأبلة.. (بتحطى نفسك فى مواقف بايخاه) ولكن الأبلة لن تطرده من الفصل ستقول له برافو.. أنت مذاكر أهوه.

ولم يكن يعرف ابن حى الخليفة الشقي.. أنه فى يوم من الأيام ستتحرك خلفه عربات الحراسة لتحميه من أعداء الوطن.. وفى الواقع هى لا تحميه هو.. إنها تحمى ضحكة الجماهير العريضة الخارجة من القلب.. إنها تحمى البهجة فى صورة زعيمها .. إنها تحمينا نحن.

الفنان الحقيقى ليس هو الذى تعرفه الناس فقط حينما يمشى فى الشارع ويشيرون نحوه بأصابعهم.. وإنما هو الذى يعرف الناس كلهم بأساميهم.. بتصرفاتهم.. وعادل إمام يعرف كل المصريين.. ولو مشى فى الشارع سيناديهم بأسمائهم.. سيسألهم عن الأحوال لأنهم جميعًا يرددون مثله فى (شاهد ما شافش حاجة) ده أنا غلباان.

تحياتى لهذا الغلبان الذى تجمع حوله كل الناس الغلابة وغير الغلابة فى المولد الذى يقام كل يوم فى روايته الجديدة فيسد شارع الهرم ومن قبله شارع عماد الدين.. فصارت هوايته أن يسد شوارع مصر بمظاهرات الحب والبهجة.. ولو فتح عادل إمام مسرحًا فى الصحراء الغربية لساهم فعليًا فى تعمير الصحراء.

أيام.. مع عادل إمام

عصبي.. قنبلة موقوتة.. يرضى جدًا ثم لا يرضى إطلاقًا.. ينبسط جدًا ثم ينفجر فى الغضب.. لا شيء بداخله سوى الفن.. حزمة من أعصاب كلها فن.. يعجبه الأفيه.. فيضحك كطفل.. يتنطط.. ويسرح ويتخيله.. ويضحك مرة ويضحك مرة أخرى كفك يا جو.. وقبلة.. ويجزل لى العطاء..مرة قلم حبر.. مرة حتة بطيخ ساقعة.. حجر شيشة جميل.. ثم لا تعجبه الجملة التالية.. ينفعل.. يغضب ويصرخ فى زهق: بعدنا قوي.. إيه اللى ودانا السكة دي.. أنا عاوز بودى جارد.. بودى جارد.. مش ده خالص.

أمزق الورق وأنا سعيد.. أنه يسحبنى خلفه إلى قمة.. قمة بعيدة لا أراها.. أعلم أنه مرهق جدًا.. متعب جدًا.. ولكننى مثله مولع بالقمم. يثير بداخلى التحدى ككاتب أتحداه بينى وبين نفسى أن ما سأكتبه سيعجبه.. ولكن المهمة صعبة.. مستحيلة فهو الذى قال كل شيء.. وفعل كل شيء فى الكوميديا.. ويطالبنى أنا بالجديد؟!

وما له .. أنا لا أحب الطرق الممهدة.. أعشق الطرق الأخرى المتعرجة.. المحفوفة بالمخاطر.. كنت أعتقد أننى سأكتب مسرحية.. مجرد مسرحية.. ولكنى علمت أنه يريدها بلوة.. فكتبت بلوة.

ولكنه كان هناك بعيدًا يفكر فيما هو أكثر من البلوة.. إنه يريدنى أن أكتب أسطورة.. كيف يا أستاذ؟ كيف؟ وأعود لنفسى لأجدها تقولى لي.. هذا حقه.. أليس هو نفسه أسطورة؟ تجربة مثيرة بالنسبة لى وإثارتها تكمن فيما شعرت به لأول مرة فى حياتى بعد الكتابة.. إن الكلام الذى أكتبه حينما أسمعه وهو الذى يقوله ينتابنى إحساس عجيب كأننى لم أكتبه فعلا.. أنا الذى كتبت قبل ذلك كثيرًا ووجدت كلامى بشعًا على لسان من يقوله.. وكم كتبت ولم أطق أن أسمع ما كتبت.. إنه يحول الكلمة التى أكتبها إلى نجمة.. تبرق.. تلمع مثله تمامًا.. قول يا

أستاذ إيه الروعة دي. وأموت على نفسى من الضحك (لا بصراحة بقى.. أنا محصلتش) وأروح البيت وأنا احتضن النص من فرط سعادتي.. وافتحه وأقرأ.. لأ.. ليس هذا الذى سمعته من عادل إمام.. ينتابنى وأنا أقرأ كلامى إحساس آخر أقل.. أقل بكثير إنها الكاريزما العجيبة لهذا النجم الفلتة.. واسمعوا نصائحه لكاتب المفروض أنه سيبدأ كتابة مسرحية له.. اسمع يا جو.. ما لكش دعوة بدوري.. ما تشغلش بالك.. اعمل لى كل الأدوار التانية بتفاصيلها.. أغزلها كويس.. اعمل الرواية وبعدين نتكلم فى دوري.

معقولة.. هل أكتب لعادل إمام ولا أفكر فى عادل إمام؟ حذروني.. قالولى إنك ستفصل له الدور على مقاسه.. وذهبت إليه ومعى الباترون.. لا يبقى إلا أن آخذ المقاسات ولكننى فوجئت به يعطينى مقاسات كل الأدوار الأخرى ويطلب منى أن أتمطع فيها.. وظللت لفترة لا أستطيع أن أفهمه.. إنه يكلمنى فى الأدوار الصامتة والشخوص الثانوية.. يبحث عن ملامحها عن سلوكها.. يريدها أن تخرج من الورق وتصبح لحم ودم.. نعم لم يكن هذا هو اللقاء الأول بينى وبينه.. عملنا فيلمنا جميلاً معًا وتلاقينا جدًا.. لكن فى المسرح بقى.. إنسى.. أنت تعامل شخصًا آخر.. سبعة أيام عنده فى العجمى نقوم وننام

ولا شيء سوى الرواية نتفق على فكرة.. نتبناها.. نصنعها ثم نلقى بها فى أقرب صفيحة قمامة.. ويجرفنا تيار آخر.. يستهوينا.. فنسبح فى اتجاهه.. ولكن فجأة نعود مسرعين إلى صفيحة القمامة.. ونخرج الفكرة الأولى.. وننفضها من التراب.. وننظر لها من زاوية جديدة.. وتعبت.. وزهقت.. وصرخت.. قال لى شريكى فى تأليف الرواية الكاتب الكبير العظيم سمير خفاجي.. تحمل.. تحمل يا يوسف.. قلت له أنا لا أكتب ولكنى أتحمل.. أجاب بابتسامته وهدوئه العجيب.. هوه عادل كده وعشان كده بقى كده وعشان تبقى كده.. لازم تعمل كده.. حد فهم حاجة يا اخواننا؟ ولكن المؤلف الشيطان الذى بداخلى بعناد وتصميم يقسم.. سأفعلها.. سأعجبه، لا بد أن أعجبه..

حتى لو بطلت الكتابة بعدها.. ونجلس أنا والأستاذ سمير.. وأكتب.. ويصله المشهد.. وأكلم الأستاذ سمير خفاجي.. وأسأله.. كلمك؟ يرد: لأ.. ما تعرفش الورق عجبه واللا لأ؟ يرد: لأ..

مفيش أى أخبار؟ يرد: لأ.. ثم يسألنى هو فى يأس؟ مش حتيجى تتغدا معايا.. أرد: لأ.. ويومان من القلق.. أنا لا أحب انتظار النتيجة.. أريدها أن تأتى فجأة.. نجحت.. سقطت.. بس أعرف.. كنا فى هذه الرواية أربعة أجيال نتصارع.. سمير خفاجى بتاريخه العريق ورواياته الخالدة وعادل إمام نجم نجوم الكوميديا فى العالم العربى كله بلا منازع عشرات السنين وأنا.. وشاب موهوب لم يكمل ٢٤ عامًا.. رامى إمام وهو عنيد أيضًا وله وجهة نظر.. ويحلم ويفكر ويختلف.. والأستاذ عادل يختلف.. عام كامل نختلف ونتفق.. ننفعل ونضحك.. نكتب ونشطب.. وفى هذه الرواية أصبت بمرض السكر فكان سمير خفاجى يعمل لى الخرشوف المسلوق مخصوص ويشخط فيا حينما أنسى ميعاد الدوا.. وأخيرًا فعلناها.. ويوم الافتتاح.. كان كما كان يتمنى عادل إمام .. أسطوريًا.. خرافيًا.. وصرخ من الفرحة وقال "we did it" .. وأقر وأعترف هنا أن تجربتى مع عادل إمام فى هذه المسرحية.. هى تجربة عمرى كله.

ما حدش شاف .. منير مراد !!

لا أكتب عنه فى ذكراه السنوية، ولا النهاردة عيد ميلاده.. ولا يرتبط اليوم بأى مناسبة تخصه، كما أنه ليس قريبى وهو لن يرفع سماعة التليفون غدًا ليشكرني.. ولكنه يطرح سؤالاً رهيبًا يؤرقني.. لماذا لم يصبح منير مراد أكثر أهمية من منير مراد هذا الذى نراه؟! ممثل فى منتهى الحضور وخفة الدم.. صوت جميل عذب تحس أن فيه مغنى حلوًا.. راقص لم تأت لنا السينما بمثيله.. ملحن رائع له صولات وجولات مع المطربين والمطربات.. وهو منولوجست أيضًا.. إنه كتيبة فنية متنقلة..

عاوز إيه سعادتك.. كوميدي؟ موجود.. جان أو شاب قمور تهيم به البنات؟! موجود الحقيقة منير كان بلوه فنية.. رقص تلاقي.. مغنى تلاقي.. تأليف.. تلحين.. إخراج.. كل حاجة.. شاهدت له فيلمين واحد اسمه!! (نهارك سعيد) والتانى اسمه (أنا وحبيبي).. وتسمرت أمامه.. تأملته وهو يؤدى الاسكتش الشهير الذى يقلد فيه عبد الوهاب وفريد وعبد المطلب.. وحتى أخته الراحلة الرائعة ليلى مراد.. إنه ينافس شكوكو إن لم يتفوق عليه.. إنه لا يقلد بل يقدم لك الحالة.. الحالة الفنية مبالغا فيها ولكنها تبدو كقطعة فنية مشغولة ومتكاملة وتأملته راقصا مع الفرقة الاستعراضية والبنات الخواجات وراءه فوجدت أمامى حاجة كده زى جين كيلي. والشيء الذى بهرنى فى منير مراد الممثل أن به عذوبة.. وطيبة.. ورغبة حقيقية صادقة من داخله فى إمتاعك.. لم يقدم لك أفلاما معقدة.. ولم يدخل التاريخ ولم يفز فى مهرجانات قالك نهارك سعيد- وقال أنا وحبيبي.. لايت كوميدى حقيقي.. أحضر معه عبد السلام النابلسى وزينات صدقي.. واعتمد على الله.. موضوعات أفلامه بسيطة وسهلة ولكنك لا تشبع منها.. أنها مثل ماء القلة.. يروى كالسلسبيل.. هل كانت مشكلة منير مراد أنه كان يفعل كل شيء.. إنها مشكلة فى بلدنا بالذات..

مشكلة حقيقية.. فى فيلم أنا وحبيبى كان يقوم بدور فنان مغمور فى تياترو شعبى وذهبت النجمة شادية ومعها المنتج الأليط دائما اللى مش طايق روحه.. عبد السلام النابلسى فوجدا منير مراد.. هو الذى يقطع التذاكر.. وهو الذى يجلس الناس فى مقاعدهم بالبطارية.. وهو الذى يغنى ويمثل ويرقص.. ويحلق للزبائن أيضا.. واستفز ذلك عبد السلام النابلسى ولكن هل استفزنا نحن؟!! سيلفستر ستالونى يمثل ويؤلف ويخرج.. وبيلعب حديد كمان.. ولا أحد هناك يهاجمه.. لماذا توقف منير مراد!! ما الذى كبح جماحه؟! لماذا بعد نهارك سعيد لم يقدم لنا.. نهارك فل.. ونهارك نادي.. ونهارك حليب.. ونهارك مش فايت.. ولماذا لم تصبح سلسلة.. لماذا ننظر للبساطة على أنها تفاهة.. ولماذا نستكثر على الموهبة أن تتنوع وأن تتشعب وإذا قعد ممثل مع نفسه ومسك ورقة وقلم وجرب إيده فى كتابة سهرة تليفزيونية لماذا يقاطعه المؤلفون فورا.. ويقول له أحدهم ساخرا ومهددا ومتوعدا فى نفس الوقت.. إيه إنت ناوى تكتب يا أستاذ وإلا إيه حكايتك؟! وإذا جرب مؤلف وأخرج.. يتهامس المخرجون ده ح يخرج بقى!! ما هو ده اللى ناقص.. ما تسيبوا الناس تكتب وتخرج وتمثل وترقص وتغنى وتعمل اللى هيه عاوزاه. الفن انطلاق..

جنون.. حرية.. طقطان.. كسر القاعدة.. الفن مالوش أى قاعدة.. إوعى تقول لى ليه خليت البطل يسيب البطلة.. إياك.. أنا حر.. أنت خليه يفضل معاها.. أنا عاوزه يسيبها.. نعود لمنير مراد.. وأتساءل.. هل فشلت أفلامه.. هل لم يتقبلها الجمهور أيامها؟! لماذا ترك الكاميرات والأضواء وانكب على عوده يلحن فقط.. هل هى صلة الأخوة بأسطورة السينما ليلى مراد التى جعلت الجمهور مثلاً يعتقد أنه مثل (بالواسطة)!! لا أعلم!! ولم تكن حالة منير مراد حالة خاصة.. سعد عبد الوهاب أيضًا مثل أكثر من فيلم فى غاية الروعة ولا ننسى كلنا.. (الدنيا ريشة فى هوا.. طايرة من غير جناحين).. ومع ذلك لم يستمر.. لأنه فى رأيي.. أنه برغم روعته.. لم يكن نسيجًا وحده.. كان المطرب العاشق الرومانسى الذى يحب فى صمت.. وكان ممثلاً معقولاً وأغانيه جميلة جدًا.. ولكنه كان شبه حد.. يشبه شيئًا ما رأيته قبل ذلك.. ولذا كان وجوده على المائدة الفنية مطلوبًا ولكن ليس حرافًا.. إلا هذا الأعجوبة.. منير مراد.. إنه لا يشبه أحدًا.. مأساته فى رأيى أنه طلع فى عصر ليس عصره.. فى أيام ليست أيامه.. ظهر فى وقت كان المولد منصوبًا.. كانت هيصة فنية أسطورية.. أفلام فريد وعبد الحليم.. وليلى مراد وأنور وجدى ويوسف وهبى وكان هو منيرًا فعلاً ولكن الأضواء

الساطعة التى حوله جعلت نوره يخبو.. فلم يشعر به أحد.. وكان نوره أشبه بأن تضيئ لمبات الشقة فى عز النهار معضلة الفن تكمن فى أن هناك شيئًا آخر.. خفيًا جبارًا ليس له حسابات وليس له قواعد.. بصرف النظر عما يقدمه الفنان وبصرف النظر عن قيمته الفنية هذا الشيء هو لحظة التوهج حينما تتدخل إرادة ربنا وتشير إلى هذا الفنان.. فيدخل القلوب بلا استئذان.. ومنير مراد دخل قلبي.. دخل قلوبنا جميعًا.. ولكن بعد فوات الأوان .

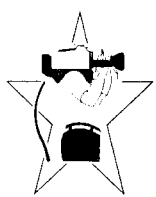

أصحـابى التخان !!

كفى بجسمى نحولاً أننى رجلٌ.

لولا مخاطبتى إياك لم ترني..

هذا هو البيت الذى يعبر أدق تعبير عن كاتب هذه السطور وبالتحديد فى البداية.. قبل الفلوس ما تجرى فى أيدى والعز يبان عليا.. كنت نحيلا.. نحيلاً إذا نفخنى أحد الزملاء أطير.. وكانت رأسى كبيرة ومبطحة مع عينين مفتوحتين لامعتين بهما بريق لا ينكر.. تتأملان فى إندهاش وحسد.. كل أصدقائى التخان والسمان والمكلبظين.

كانت رقبتى مثل علبة زبادى صغيرة تنوء بحمل هذا الرأس وذراعاى عبارة عن اثنين بقصمات من غير سمسم أما صدري.. فكان بالكاد مساحة تكفى للصق اثنين بقصمات معًا فإذا نزلنا قليلاً لنصل إلى البطن ستجد أمامك مفاجأة مفيش بطن

خالص. لا أشر لأى شيء سوى بعض الضلوع وتجلت معجزة الخالق سبحانه وتعالى فى أن يخرج من هذا الماكيت الصغير ساقان شبه الرجلين بتوع الناس بالضبط.. فكنت أضع الحقيبة على كتفى فتصل إلى آخر ظهرى ويصحبها بالطبع انحناءة كبيرة ليس احترامًا لجلال العلم وإنما لثقل الحقيبة نفسها.. وذات يوم كنت ذاهبًا إلى المدرسة وهبت عاصفة هوائية شديدة حملتنى كريشة فى هوا طايرة من غير جناحين ووجدتنى واقفًا فى فناء المدرسة قبل الطابور بنصف ساعة مع أنى نازل متأخر وفى مسابقات الجرى الشهيرة كنت دائمًا أول المتسابقين بشرط أن أجرى فى اتجه التيار.. وباعتبارى فردًا من أسرة متوسطة يتبادل أفرادها هدوم بعضهم بعضًا يرث فيها الأصغر هدوم الأكبر.. فكان بنطلون أخى الأكبر ينقسم بسهولة إلى بنطلونين حلوين بتنيه وكسر وكانت تفيض منهما قطعة معقولة من القماش تعملها لى أمى صديري.. وكان الشارع الذى فيه مدرستى اسمه شارع النخيل.. وقام أحد زملائى الأشرار بحذف النقطة من فوق الخاء فأصبح اسمه شارع النحيل وكانت تلك أول مرة يطلق فيها اسمى على أحد الشوارع بالعاصمة.. ولم يعوضنى هذا التقدير من الدولة فى

طفولتى ولم يجعلنى أكف عن أن أحسد أصحابى المتختخين الذين كانوا يملكون حضورًا عجيبًا ويقع الناس فى حبهم من أول نظرة أما طفل نحيف مثلى فيجب أن يبذل مجهودًا كبيرًا كى يحصل على دلعهم وابتسامتهم.. فكان ذهنى يشتغل طول الوقت كى أجد التعليق المناسب الذى ينتزع ضحكة ممن حولى ويبرزنى بينهم.. بينما يصل إلى ذلك صاحبى التخين بكل سهولة وبلا مجهود.. وهكذا كان لأصحابى التخان الفضل فى أن أحاول أن أكون كاتبًا كوميديًا.. ومع ذلك فأنا لا أنكر أن كل محطة فى حياتى ساهم فى صنعها واحد منهم فأولى مسرحياتى التى قدمتنى حمل عبئها وشالها على كتافه واحد من أظرف النجوم التخان فى القرن العشرين على الإطلاق.. إنه النجم الكبير جورج سيدهم ذهبت إلى بيته مع أخيه المنتج الأستاذ أمير سيدهم ومعى الرواية.. حب فى التخشيبة.. قال لى فى الأسانسير.. لو الرواية عجبت جورج.. خلاص.. أنت عديت.. وكانت أول مرة التقى به وجهًا لوجه..ورغمًا عنى.. ابتسمت.. أنت لا تستطيع أن تفعل شيئًا سوى أن تبتسم.. قبل أن يفتح هو بقه.. وبدأت القراءة فى جو متوتر لكاتب شاب لم يصبح كاتبًا بعد ولكن يد جورج السمينة المربربة كانت تربت

على كتفى كلما أعجبته جملة.. أما إذا أعجبته قوى فيقشر موزايه ويدفسها لى فى بقى إنه حنان الفنان وليس حنان التخان.. وعلى يد جورج.. أصبحت مؤلفًا مسرحيًا.

أما التخين الآخر الذى كان كلما يقابلنى يحضنى بقوة.. يبلعنى بقوة تكسر لى عظامي.. وبكل حب يخبطنى بيده الضخمة ويقول.. إيه يا بنى أنت.. الفلوس غيرتك واللا إيه وكما هو المعتاد فى هزار التخان تظل خبطته فى صدرى تسمع فى كل جسمى ثلاثة أيام على الأقل.. واتفاداه بكل الطرق.. لكنه يظهر لى فجأة من تحت الأرض وهات على سلسلة ضهري.. بحبك يا بن الإيه بأموت فيك يابن اللذينة أمك عاملة محشي؟! أنا جاي.. قوللها تعمل حسابي.. هات التليفون.. ألو.. أزيك يا ماما.. أنا جاى آكل عندك.. يدخل إلى بيتي.. هو لا يتعامل مع الكراسي.. أنه لا يثق سوى بالكنبة.. يتقدم نحوها بكل حب.. وهى تئن من مجرد فكرة جلوسه عليها.. ويريح عليها بكامل قواه الجسدية فتتحول الكنبة إلى قوس رأساه إلى أعلى.. إيه يا بنى مش ح نشتغل مع بعض واللا مش ناوى تحترم نفسك.. ونعملها.. نلتقى فى عمل كوميدى (شباب رايق جدًا) أول

مسلسل تليفزيونى أكتبه.. إنه (نجرو).. محمد النجار أخف مخرج بهذا الحجم رأيته فى حياتي.. يريد أن يصبح مهمًا ويخرج أفلامًا تذهب إلى مهرجانات.. وفعلها.. وعمل الصرخة وزمن حاتم زهران.. ولكن يا صديقى التخين أنت كوميديان أردت أم لم ترد.. شئت أم أبيت.. وإلا فما الذى جعلنى اتحمل رزالتك وأيدك اللى زى المرزبة والولائم التى تقيمها طوال كتابة المسلسل وتجبرنى على مشاركتك الطعام تسعة وجبات فى اليوم.. كل هذا تحملته لا لشيء.. إلا لأنك كوميديان.

وسعيد الفرماوي.. رسام الكاريكاتير الجميل.. والنياتى العظيم والشاعر الأعظم والفنان الفلتة وهو عكسي.. على فكره دماغه صغيرة لا تتناسب على الإطلاق مع كرشه الضخم الذى يضحك أولاً قبل شفتيه ثم أنه حينما يضحك.. يهتز كرشه هزات ريختريه ثم يميل بكل جسمه إلى الأمام حتى تلمس جبهته الأرض.. هو الذى عاش طفولتى كلها كان هو شابا محترمًا وسافر إلى لندن وتركنى فى السابعة من عمرى وعاد بعد كذا وعشرين سنة لنتبادل الأدوار.. أصبح هو طفلاً ضخمًا

وأنا صرت شابًا محترمًا آخذه على قد عقله.. ولكننى لا أستطيع أن أخذه على قد فنه.

والتخين التانى الكارثة.. المخرج نبيل عبد النعيم.. أستاذ الميلودراما فى البرامج التليفزيونية وصاحب النجاحات الساحقة.. أن اسمه على البرنامج يكفى لكى تبدأ فى النهنهة.. والتقيت به.. إن شكله ليس عاطفيًا بالمرة.. وقلت لنفسى سبحان الله.. هذا التخين صاحب الملامح الحادة.. يملك كل هذا الحس المرهف.. وهذه الرقة والحنان.. وأقسمت أن أحول مساره.. وأن أجعله يضحكنا يا للا يا نبيل.. نعمل برنامج مع بعض.. ولكنه سحبنى إلى عالمه هو.. وجدت نفسى أنا الذى أبكي.. منك لله يا بلبل..

أعزائي.. يبدو أن عقدتى انحلت.. ولم أعد أحقد على التخان.. لأنهم كانوا قوة الدفع لى فى مسيرتى ثم إن كرشى بدأ يظهر هو الآخر مبشرًا بأننى سأنضم إلى قبيلتهم فى القريب العاجل.

فتيات الأحلام

لكى نعيش يا أعزائي.. يجب أن نحلم.. فالحياة بلا أحلام ما تلذش ولهذا فلكل بنت فتى أحلام ولكل شاب فتاة أحلام.. وإذا تابعنا أجيال نجمات السينما مثلا لاستطعنا أن نكون تصورًا عن تطور شكل فتاة الأحلام من جيل إلى جيل.. فى البدايات مثلاً نرى راقية إبراهيم.. وماري كويني.. وعزيزة أمير.. وبهيجة حافظ.. تحس أنهن هوانم.. كلهن (ختف) جمع خنفاء يعنى الجيوب الأنفية بعافية شوية ويتكلمن بأنوفهن وكلهن فى منتهى الشياكة والألاطة والدلع (المرق) وأضم إليهن أسمهان أيضا وكان هذا يتناسب مع سينما القصور والباشاوات والهوانم.. ولما جاء كمال سليم ونزل إلى الحارة المصرية أتحفنا بطعم جديد لنجمة ساطعة فى أيامها وهى فاطمة رشدي.. بنت البلد اللى على حق.. يقبلها (حسين صدقي) فى بير السلم فتقول له فى ذعر.. سى محمد الجيران يشوفونا يا سى محمد ثم تقبله هى ونجح الفيلم نجاحا ساحقًا.. فآلاف من الشغالات

والبنات اللاتى يرتدين الشبشب الزنوبة ويقفن جنب الفرن وجدن أنفسهن فى هذا الفيلم.. ثم ظهرت فتاة أحلام جديدة رقيقة مغلوبة على أمرها.. منكسرة تقطع القلب فاتن حمامة.. ونام كل رجل فى هذا الوقت وقد تخيل بجواره على وسادته الخالية فاتن حمامة ويحلم بأن يخلصها من العذاب الذى تعيش فيه.. وبعدها ظهرت ماجدة أشهر وأخف دم مراهقة فى تاريخ السينما.. وسواء فاتن أو ماجدة كلتاهما يلعب فى منطقة (المقطقط) الصغنن يعنى إلى أن فجرت السينما بقه.. وظهرت البطلات اللاتى يملأن العين.. أيوه كده قول يا سيدي.. عندك هدى سلطان.. شادية.. ليلى فوزي.. هند رستم.. بسم الله ما شاء الله والله أكبر.. بطلة تخش الفيلم من دول تملاه.. يعنى بطلة تشيل فيلم لوحدها كده.. ولذا تكررت مشاهد فى أفلام هذا الوقت حينما يغرر الشرير فى الفيلم بالبطلة (الفرعة) قائلاً.. اتمشي.. وتتمشى البطلة ويحرص المخرج على أن ينقل لك كمشاهد يعني.. تضاريس البطلة وهى تتمشى.. والطريف أن البطلة وهى تتمشى والتى هى المفروض أنها طبقًا لأحداث الفيلم لا تريد أن تنحرف أو تمشى فى السكة البطالة.. تمشى بطريقة لا تعبر عن هذا بأى شكل من الأشكال وبعد ذلك ظهرت سعاد حسني.. هى (البنت النغشة) فى السينما.. الشقية.. الدلوعة.. وهى البنت الوحيدة

التى حملها الطلبة فوق رؤوسهم فى الجامعة ولفوا بها الحرم الجامعى لكى يقدموها لحسين فهمى فى مظاهرة مهيبة ويقول الواد التقيل الأمور.. زوزو؟! فترد الجامعة كلها صح برافو عليك.. ومع ذلك فإن سعاد حسنى لم يكن لها عشاق ومعجبون فحسب بل ومجانين أيضا.. وبعد جيل التضاريس وجيل البنت النغشة.. ظهر جيل شريهان وهو جيل الشعر الطويل.. فالبنات كلهن شعرهن طويل مثل شريهان.. وكلهن معذبات بشعرهن يا عيني.. فالبنت من دول تتكلم وهى تجيب شعرها لورا ثم تنزله على الجنب ثم تلقى به فى الهواء ثم تسحبه على الكتفين.. شغلانة.

وبرغم هذه الثوابت التى لا جدال فيها لفتيات الأحلام فى السينما المصرية.. إلا أن لكل واحد برضه فتاة أحلام خاصة كده.. يعنى أنا مثلا.. أموت فى (إيمان) التى مثلت مع سعد عبد الوهاب الفيلم بتاع الدنيا ريشة فى هوا.. كانت خجولة.. رقيقة ومثيرة جدا.. ويبدو لأنها كانت فتاة أحلامى لم تستمر فى العمل فى السينما وشطبت بدرى لا أعلم

لماذا.. همس لى صديق خلف زوجته الواقفة بجوارنا حينما سألتهم فى هذا الموضوع.. قال لي.. أوف.. آمال فريد.. ما حصلتش فاكرها اللى طلعت مع عبد الحليم فى فيلم أيام وليالي.. اللى قالت له أنا فص وانت فص.. قالت له زوجته.. بتقول ايه.. قال لها بسرعة.. بقوللله فتاة أحلامى أنا لقيتها خلاص.. وابتسم فى صدق مفتعل قائلا: انتى يا حبيبتى طبعا.. قالت الزوجة فى غلاسة.. آه.. باحسب.

ولا يوجد زوج يرى فى زوجته فتاة أحلامه.. لا أعلم لماذا.. ربما لأنه يحلم ويقوم من حلمه فيجدها نائمة بجواره مشغولة (استريو) وهى نايمة.. ذلك هو الواقع الذى لا مفر منه.. ويتحسر الزوج المسكين الذى كان يعشق زبيدة ثروت صاحبة أجمل عينين فى الدنيا.. ويقول لنفسه فى أسى.. أكيد زبيدة ما بتشخرش وهيه نايمة.. إنما أعمل ايه حظى بأه !!

وأنا للحق دخت بحثا عن فتاة أحلامى إياها.. إلى أن وجدتها فى فرح واقتربت منها قائلا.. الباشا متجوز فقالت لأ.. فقلت فى صياعة.. طيب حد متكلم.. مربط يعني.. فقالت فى خجل لأ.. قلتلها يعنى معكيش حد.. قالت فى براءة.. لأ.. معايا عيل.. وذهبت إلى أمى أبشرها بالخبر.. خلاص يا ستي.. ح أريحك وح اتجوز فانفرجت أساريرها فى سعادة.. وقالت بركة.. العروسة اسمها ايه فقلت لها فى سعادة.. اسمها أم عمرو .

البرىء والجميلات

فى كل مرحلة من مراحل حياتى كان لى فتاة أحلام.. بطلة.. تخرج من شاشة السينما لتملأ شاشة خيالى بأفلام أخرى هى لم تمثلها وإنما أنا الذى كتبتها وأخرجتها وأنا الوحيد الذى شاهدها أيضا.. ولم يكن حبى لبطلاتى حبا مستحيلاً لمعجب ولهان ينظر إلى نجمة فى السماء وإنما كان حبا حقيقيا بعياط ونهنهة وضرب وخناق وفراق.. وأحضان وقبلات.. وكانت أفلامى أعنى أحلامي.. أجمل بكثير من كل الأفلام التى تشاهدونها حضراتكم فأنا البطل.. والمؤلف.. والمخرج.. وأنا أيضا الرقيب.. ولا أنكر أننى كرقيب كنت مبحبها شوية وكانت باكورة إنتاج أحلامي.. وأنا طفل فى السابعة.. حلم بطلته كيتى الراقصة.. كنت مفتونا بها فى طفولتي.. هائما.. لا أعلم لماذا ربما لأنها كانت قصيرة.. أشبه بدمية.. وفى القصر أنوثة.. ولكن من أين لى أن أشعر بالأنوثة فى هذه السن.. أفتح كتاب القراءة الرشيدة أجدها أمامى تتمايل وتتثنى.. وتنهال عصا الأستاذ مدرس اللغة العربية

على ضهر أيدي.. سرحان فى أيه يا ولد؟ بالله عليكم ماذا أقول.. سرحان فى كيتي.. ولما كانت بينى وبين والدى يرحمه الله صداقة وطيدة.. ذهبت إليه واعترفت بحبي.. وانفجر الرجل ضاحكا وقال بس دى ماتت يا بني.. وتحجرت الدموع فى عيني.. ماتت!! وكانت أول صدمة عاطفية تواجه طفلاً فى السابعة.. وكانت صدمتى الكبرى أنها ماتت محترقة وكانت هذه هى الطريقة التى استغلها أبى فى أن أكف نهائيا عن اللعب بالكبريت.. لعبتى المفضلة فى هذا الوقت.. إحترامًا لذكراها فى نفسي.. وكان يجب أن أنسى كيتى فأنغمست فى علاقة حب جديدة بدأت وأنا فى رابعة ابتدائي.. مع أحلى وأشهى بطلة فى الوجود.. كاميليا .. كنت أشعر أنها مخلوقة من الحرير.. ناعمة.. مثل الغريبه.. وأعددت الشاشة.. شاشة ذهني.. والتيمه جاهزة.. أطرق الباب تفتح كاميليا.. تراني.. تندهش.. تأخذنى فى أحضانها.. ليس كطفل بالطبع فأنا فى أحلامى أبدو أكبر بكثير وأطول بكثير.. تنطق اسمى بشفتيها المعجزة.. يوسوف.. أفيق على وكزة من يد أبي.. الساعة بقت اثنين مش عندك مدرسة الصبح.. شوف الواد متنح أزاى للفيلم.. احنا ح نخلص من كيتى نقع فى كاميليا.. أقول لنفسي.. لماذا يا حاج تهين مشاعرى بهذه الطريقة.. ولكنه بكل قسوة يلقى بالحقيقة المرة.. دى ماتت.. وتحجرت الدموع فى عيني.. ماتت!! ويلقى أبى القاسى بقنبلته الثانية.. ماتت

محروقة.. وانفجر فى البكاء من هول الصدمة.. هوه أنـ كل ما أحب واحدة تطلع محروقة ؟! وصارت عندى من يومها عقدة من النار شعرت أنها تأكل الجمال وعليه كلما أعجبت بواحدة ملت على أبى وسألته دى نظامها إيه يا حاج فلم أعد أتحمل أى صدمات.

وكبرت وتزوجت.. وكأى زوج يبدأ حياته بالكذب أفهمت زوجتى أنها هى فتاة أحلامى التى تعيش فى شاشة خيالى طوال عمرى وذلك بالطبع حتى تكتمل الزيجة فهى كزوجة تعتبر أن إعجاب زوجها بأى مخلوق فى الدنيا غيرها جريمة لا تغتفر ومرت السنة الأولى من الزواج هادئة جميلة.. طالما أننى كلما ظهرت هند رستم فى فيلم أؤكد أنها ليست التيب الذى يعجبنى وكلما ظهرت مريم فخر الدين أو صباح قلت إن جمالهما من النوع الذى لا يثيرنى وأن شفايف كاميليا تشعرنى بالتقزز وأن نعيمة عاكف لها ساق أطول من ساق.. وظلت أكاذيبى هذه هى البلسم الذى يشفى ويجعل الحياة تمر بسلام.. إلى أن كلفونى فى الكواكب بكتابة هذا المقال عن جميلات الشاشة وشعرت أنها مؤامرة تهدد بيتى الآمن.. مبدئيًا بمجرد أن علمت زوجتى بنيتى فى الكتابة عن جميلات الشاشة.. تركتنى ثلاثة أيام بلا إفطار أو سحور فى هذا الشهر الكريم وكلما وجدتنى ممسكا بورقة وقلم.. قالت فى تحفز.. بتكتب عن مين؟ مديحة كامل. عاجباك مديحة كامل ؟! أمزق الورقة.. وأسكت.. وتحت ضغط

الجوع والحصار الاقتصادى اضطررت أن أقدم بعض التنازلات قلت لها متهللا.. خلاص.. عرفت ح أكتب عن مين قالت فى ريبة.. مين؟ قلت أنا لن أكتب عن جميلات الشاشة مادمت لا أرى فيهن أى جمال.. سأكتب عن رشدى أباظة إيه رأيك.. ابتسمت فى رضا وقالت أهو ده موضوع كويس وذهبت لتحضر السحور.. رشدى أباظة ما أروعه من رجل.. إنه النموذج فى الذوق الرفيع أسمع صوتها من المطبخ هايل ده يا يوسف.. دخول حلو قوى فى الموضوع.. أكمل ولكن فى سري.. ألم يتزوج وحده ثلاثة من أساطير الجمال اللاتى لا يختلف عليهن أحد.. تحية كاريوكا.. وسامية جمال وصباح؟!

توحة.. قال عنها كاتب إنجليزى زار مصر فى الأربعينيات إنها لا ترقص وإنما هى أشبه بساحرة من ليالى ألف ليلة .. وإن الليلة التى قضاها يشاهدها وهى ترقص كانت كأنها حلم أسطورى غريب هو نفسه لا يصدق أنه عاشه بالفعل.. امرأة قوية مهاجمة عنيفة تخشاها ولكنك تخشاها أكثر إذا هجمت عليك بحنيتها بطيبتها التقيت بها فى أحد أفلامى وجلست أمامها لا أصدق نفسي.. ربتت على كتفى وشجعتني.. كما شجعت إسماعيل ياسين من خمسين سنة وكما شجعت عبد الحليم من أربعين سنة. ومازالت تشجع وتطبطب.. وتدفع بالناس ولأول مرة أشعر أن الأنوثة ليس لها عمر وأن رائحة الوردة لا تفارقها مهما مر الزمن.

وسامية جمال الفرعونة التى بعثت فى الأربعينيات والخمسينيات.. كلما شاهدتها وهى ترقص ينتابنى شعور أن معبدًا فرعونيًا مهيبًا فى الخلفية وأن الكهنة ينثرون البخور والعطور عليها.. أحلى ذراعين يسبحان فى الهواء.. كأنها لا تحركهما وإنما يحركهما الهواء من فرط رقتهما وكأنهما يحلقان بعيدًا فيأخذانك عن التفكير فى الجسد.. كأنها تخجل أن تنظر إلى جسدها ولذا.. تظل سامية جمال تجبرك على أن تشاهد فنها وليس جسدها سمراء هي.. أم خمرية أم لون العسل.. أحبت رشدى أباظة وتزوجته يا بخته يا ريتنى كنت الرجل الثاني.

وصباح كمان يا رشدي.. صباح اللبنانية المثيرة.. الفائرة الأنوثة طول بعرض بجمال.. والتى أتت إلى مصر وقالت (فين سوق خفة الدم؟) ودلوها على السوق وذهبت.. واشترت السوق كله لتصبح ليست جميلة فقط ولا صوتها مثير فقط.. وإنما دمها خفيف أيضًا فهذا لا ينفع إلا بذاك.. وتغنى بأنوثة فائضة.. أنا هنا هنا هنا يابن الحلال.. ولكن يخطفها ابن الجنية رشدي.. وكأنها من فرط انبهارها بجمالها وأنوثتها أصرت على أن تتمسك بهما إلى الأبد فمضت السنين ولم تمض على وجهها وجسدها.. ظلت شمس الشموس نجمة الأربعينيات فى القرن العشرين نجمة ومتألقة حتى القرن اللى بعده كمان.. ولم يكتف رشدى أباظة بالتلاتة.. وإنما فى أفلامه استطاع أن يجمع بين كل فتيات أحلامى شادية وهند رستم ولبنى عبد العزيز وسعاد حسني.. ما سابش حد.

شادية أحببتها فى القبول - الإعدادى - حينما كانت تغني.. زى الطير ما اتعود عشه اتعودت عليك.. وفى الإعدادية كنت مغرمًا بلبنى عبد العزيز وفى أولى ثانوى همت حبًا بالمثلة إيمان الرقيقة الوديعة فى إثارة.. فى الثانوية العامة بأه.. أحببت هند رستم مما اضطرنى إلى أن أعيد السنة.. أما فى الجامعة فأحببت زوزو.. سعاد حسنى وأنهيت الجامعة وأنا بحبها.. وخلصت جيش وأنا بحبها وكتبت فى الكواكب وأنا بحبها وتزوجت مراتى وأنا بحبها الشيء الوحيد الذى غفر لى حبى لها.. أنها أيضًا تحبها.. سعاد حسنى هى التى لخصت كل جميلات الشاشة.. وهى أطول قصة حب فى شاشة خيالي.. وأبقى قصة حب وبالمناسبة نحن ننفق كثيرًا جدا من أعصابنا ومن مشاعرنا وهى بعيدة عنا.. هناك فى لندن فهل ننفق أقل بكثير جدًا لتعود.

وأخيرًا لقد وعدت زوجتى كما رأيتم أننى سأكتب مقالاً عن رشدى أباظة ولأننا فى رمضان.. والكذب حرام.. فأنا كتبته عن رشدى أباظة من وجهة نظرى أنا.. وليس من وجهة نظر المدام.

قصص وأهوال.. مع حسين كمال

كانت هذه أول مرة سألتقى به فيها.. فى الطريق هاجمتنى الأفكار وتجسدت أمام عينى نجاحات رهيبة حققها وتاريخ حافل فى الفن.. المستحيل.. البوسطجي.. شيء من الخوف.. أبى فوق الشجرة.. ريا وسكينة، وعلامات أخرى كثيرة جعلته لسنوات عديدة المخرج الأسطورة.. قالوا لى عنه إنه عصبي.. لا يسلم أحد من تعليقاته اللاذعة.. وقال لى آخرون ستتعب معه.. ستكره حياتك.. كان سبب اللقاء الإعداد لمشروع مسرحى كبير أكتبه أنا ومن إخراجه.. همس لى أحد الناصحين.. هذا إذا تم المشروع.. فهذا المخرج يزهق بسرعة ولا يعجبه العجب..

دخلت إلى الحجرة ومددت يدى مصافحا فاستقبلنى بابتسامة متكلفة رسمها على وجهه انفرجت شفتاه بمقدار نصف مللى وعاد وجهه إلى التجهم من جديد.. وقال لى فى خنقة.. أهلا يا أستاذ وزهق منى علطول..

استقبلنى بموشح عن الالتزام بالمواعيد وقال لى ياريت ما تحكيليش حكاية العجلة اللى ضربت فى الطريق ولا الإشارات الزحمة وياريت ما تقوللىش إن ماما كانت تعبانة شوية.. وأغلق أمامى كل السكك واستطرد قائلا.. هه.. اتأخرت ليه يا أستاذ؟!.. طيب أقول له إيه ده..

كانت هذه هى البداية.. غير مشجعة على الإطلاق.. وجلسنا.

سألنى بسرعة.. البطلة عندك فى الرواية شغلتها إيه؟!.. قلت له محامية.. فاكتأب وقال لى جايب بطلة حلوة زى القمر عشان تطلعها محامية وتلبسها تايير بكم طويل ونضارة قراية وتمسكها شنطة جلد.. كرهتها.. مش طايقها ما تقراليش الرواية.. مش عاوز أشوفها أنا علشان أخرج الرواية لازم أحب البطلة.. أموت فيها.. قلت له بسرعة طيب اسمع دي.. بنت غلبانة فى حارة شعبية بس زى القمر.. فبدأ يبتسم وقال لى

جميل وبعدين قلت له تبقى بعد كده أكبر نجمة إعلانات فى البلد كلها.. فقام واقفا من شدة السعادة وقال لي.. حبيتها.. أكتب يا أستاذ.. واتفقنا.. وقبل أن أخرج قلت له وايه رأيك فى الآخر بأنه تبقى محامية برضه.. فنظر لى نظرة كلها وعيد وتهديد.. وبدأنا العمل فى المسرحية.. نلتقى يوميا لنغزل معا حكاية هذه البنت الغلبانة التى صارت معشوقة حسين كمال.. يكلمنى فى التليفون فى أى وقت ولا يسلم على ولا يقول لى ألو حتى.. وإنما يبدأ حديثه معى قائلا.. اسمع أنا شفت البنت دى قاعدة على طشت غسيل ودايقة المر ومش لاقية بنى آدم تشكيله.. إيه رأيك.. قلت له جميل.. فإذا به يضع السماعة بدون تعليق وبعد خمس دقائق يكلمنى يقول لي.. بقولك إيه يا جو.. معقولة بنت زى لهطة القشطة مالهاش قصة حب.. قلت له الرواية ما فيهاش قصة حب.. مفيش حبيب عندنا يا أستاذ.. قال لى نوجده.. قلت له إزاي.. قال لى فى خيالها.. واحد هيه مستنياه.. اسمه صلاح وبتكلمه وبتأخذ وتدى معاه علطول.. قلت له سأكتب ونقرأ حينما نلتقي.. وأقابله فى المسرح.. وأقرأ له.. يوم يقول لي.. إيه ده فيه عبقرية كده.. أنا شايف سكر بينقط من الحوار.. كلامك له ريحة.. أنا شامم

بارفان فى الديالوج.. ويوم ثانى يقول إيه الزفت ده.. طبعا ما أنت مش فاضى شغال فى خمسين حاجة.. مسلسلات وبرامج.. ح تفضى للمسرحية إزاي؟! وبدأنا البروفات.. ووجدت حسين كمال يحول الحلم الذى حلمناه معا إلى حياة.. وأصبحنا أصدقاء.. فى يوم قال لى أنا واخد فيللا فى الهرم.. محصلتش.. عامل ديكور يجنن.. تخش تلاقى الريسبشن قدامك عربى مودرن.. ونافورة على شكل تمثال رومانى واحدة بتقولك اتفضل.. فى الخلفية بأه.. مفيش حيطة.. فيه قزاز بطول الريسبشن تشوف من وراه البسين.. وشاليهات صغيرة، كده للضيوف.. ع اليمين أوضه الغسيل وجنبها أوضة الشغالة.. وأخذ يصف لى الجنة التى صنعها فى فيللته الصغيرة.. وجاءت مهندسة الديكور نهى برادة.. فقلت لها يا مدام نهى.. كنت عاوز أقعد معاكى علشان ديكور شقتى الجديدة، فإذا به يقول.. سوري.. آسف يا أستاذ أنا حاجزها.. تخلصنى الأول.. وبعدين تشوفك.. قلت له أنت مش خلصت ديكوراتك.. قال لى أنا معملتش حاجة.. قلت له إزاى والوصف اللى قلتهولى ده.. قال لي.. أنا عايش فيه.. ده فى خيالى بس.. مفيش فيللا ولابسين..

ده كله هنا فى دماغى بحلم بيه.. وانفجرت فى الضحك.. وزدت إعجابًا بهذا الحالم العبقري..

ذات يوم كنا نتكلم عن الدراما.. قال لى اسمع دى يا جو.. كان فيه واحدة زى القمر حبت شاب أمور محصلش والاثنين من عيلة.. الولد اتقدم للبنت أهلها قبلوه.. وأهله بأه ما كانش عندهم أى مانع أو اعتراض عليها.. واتجوزوا وخلفوا ولد وبنت زى القمر برضه.. وسكت قليلاً ثم قال لي.. إيه رأيك فى الفيلم ده.. وقبل أن أجاوب قال لى بتفكر فى إيه.. اللى بقوله ده زفت.. يقرف.. أنا باكلمك عن ناس حلوين.. فين الفيلم بقه؟! خلى البنت تنحرف يبقى فيه فيلم.. الولد يشم هيروين.. يبقى فيه موضوع.. ثم استطرد قائلاً دراما يعنى فساد..

وأنا عاوزك تكتب لى شخصيات فاسدة.. الحلوين الطيبين الأمامير.. خليهم لك.. لما تيجى تقرأ لى ما تجيبهمش معاك.. ليه؟! الطيبين دمهم تقيل على قلبي. سم. ارحمنى منهم. قلت له إيه رأيك أنا عندى شخصية جديدة نوفي..

فابتسم قائلاً.. هايل.. شخصية إيه؟!

قلت له.. إيه رأيك.. فى شخصية محامية؟!

قال لى المخرج الكبير محمد عبد العزيز وهو رفيق رحلة ومشوار ثلاثين سنة معه.. قال لي.. إنه جاء له فى يوم وقال له.. محمد.. تعال أوريك حبي.. عشقي.. حياتي.. شيء محصلش.. إنسانة فوق التصور وفوق الخيال.. وذهب محمد عبد العزيز فى شغف وفضول ليرى تلك التى ألهبت قلب الأستاذ بهذا الشكل.. وفى وسط البلد.. وقف وأشار له عليها.. امرأة طاعنة فى السن تجاوزت الستين متخلفة عقليًا تضرب الرايح والجاى وتشتم المارة فى الطريق.. ونظر إليها حسين كمال فى هيام وقال.. محمد بذمتك شفت تيب كده فى الدنيا.. تهوس.. تجنن يا محمد..

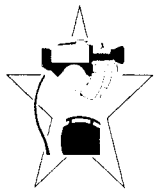

معلش يا زهـر

لم يكن عنده أى مشكلة.. ولا عندى ولا عندك إذا كنت تعرفه فهو كان بكل بساطة وفى أعقد الظروف يبتسم ابتسامته الرائعة.. ويقطب ما بين حاجبيه ويقولك فى طيبة وسلاسة ولا يهمك.. تتحل.. كان سعيدًا لدرجة تجعله يوزع هذه السعادة على من حوله لم يحقد على أى من أبناء جيله الذين صاروا نجومًا وسبقوه.. بالعكس أحبهم وأحب نجاحهم.. فأحبوه و ارتبطوا به ارتباطًا شديدًا.. لا قعدة بدونه ولا سهرة بدونه.. وكنت أسأل نفسى من كان صديق مصطفى الأنتيم (المقرب)؟ هل هو الفيشاوى أم الجندى أم عمر عبد العزيز أم صلاح السعدنى أم عماد رشاد؟! أم.. أم ترانى أنا!! كل فنان فى مصر كان صديقًا له.. وفوق كل ذلك كان أوسطى القعدات وكان يثريها بحكاياته الجميلة التى كنا نسخسخ من الضحك حينما نسمعها منه.. ولكنه بأدبه ولطفه الجم كان يترك الميكروفون لآخرين يستمع إليهم بإنصات وبحب حتى لو كانت حكاياتهم

أبوخ من حكاياته.. كان يربت على كتف الناس كلها ولا يطلب شيئًا من مخلوق.. وأنا أكتب مسرحيتى الأخيرة لم يوصنى على دوره كما هو المعتاد.. وإنما أوصانى أن أشد حيلى وأكتب الرواية.. أوصانى على نفسي.. وكان دوره فى الرواية قصيرًا.. ولكنه لم يعاتبنى طلع على المسرح وتحولت كلماتى على يديه إلى رعد.. كان أسدًا بحق على المسرح كما سمعت السيدة زوجته تصفه بإعجاب فى ليلة العرض الأولى.. كان يحكى عن معاناته الأولى حينما كان ممثلاً مبتدئًا حكايات ليس لها نظير ولم يستطع بحبه الخرافى الذى يلقى به يمينًا وشمالاً أن يفلت من عيون الحاقدين.. قالوا.. طبعًا ما هو زوج أخت عادل إمام ولكنه لم يعبأ بأحقادهم.. لم يلتفت إليها.. كان يعلم أن فى البيوت ناس تحبه وتنتظره فى أى دور يلعبه.. وانطلق.. كان مجنونًا بالتمثيل.. بالشخصية التى يلعبها.

سألته ذات يوم.. أنت لسه صغير لماذا لا تصبغ شعرك يا مصطفى؟!

ابتسم كالعادة - فهو يبدأ أى حوار بأن يبتسم - وقال لي.. أنا متعمد اسيبه كده.. أنا حاسس أنى حابقى (جرانـد) كويس قوي.. نفسى أعمل دور أب كويس إن شالله يكون أولادى أكبر منى فى السن.. ما يهمنيش انشاله أطلع أبو الفيشاوى ثم

التقينا بعد ذلك فى سبوع عادل رامى إمام.. وسألنى باسمًا.. هه.. ما لقيتش حاجة نعملها؟! قلت له شفت فيلم (معلش يا زهر)؟! واتسعت عيناه مندهشًا.. وقال لى يخرب عقلك دور زكى رستم فى الفيلم.. ده أنا ح أتجنن عليه.. الأب الطيب الموظف البسيط الذى يتعرض لوشاية كاذبة من زملائه الموظفين.. قلت له هو ده.. قاللى باسمًا برضه.. مش حاسيبك وحاطاردك فى كل حتة.. ده مشروع عمرى كله.. قلت له أنا اللى حاطاردك.. واتفقنا على موعد نبدأ فيه العمل فى الحلم.. (حلمنا المشترك) ذهبنا إلى بيتى ووضعنا الفيلم أمامنا وبدأنا نعيش مع بعض.. كان مبهورًا بزكى رستم.. كل شوية يقوللى ستوب. رجع الحتة دى يا جو.. يا ساتر يا رب أيه العظمة دي.. أنا ح أقدر أعمل كده.. أقوللـه ح تقدر طالما أنت بهذه الحالة.. ولمدة ثلاث ساعات كانت أجمل مرة أشاهد فيها هذا الفيلم الذى شاهدته مئات المرات.. كان الشيء الجديد فى الحكاية أننى أشاهده مع مصطفى.. وبعدها بأفتح التليفزيون بالصدفة على برنامج (نجم على الهواء) كان مصطفى متولى هو النجم.. وكانوا يعرضون مقتطفات من أعماله والشخصيات العديدة التى تألق فيها وكان التليفون لا يتوقف من عشاقه فى كل مكان.. وكلمته بعد البرنامج أهنئه على بساطته وتلقائيته وجماله فى الحلقة.. فقال لى أمتى بقى نعمل معلش يا زهر؟!

كانت عنده مقدرة سحرية غريبة فى إزالة أى خلاف.. وما أكثر الخلافات التى تحدث فى العمل الفني.. بمنتهى الطيبة والعقل والوقار كان يتكلم فتصفو النفوس وتهدأ.. والحق أننى بسبب أدوار الشر الكثيرة هذه التى تميز فيها كنت اندهش منه فى بداية علاقتى به.. أن بنيانه الضخم وعضلاته المفتولة وكتفه العريضة وأداءه الصارم.. كل هذا خدعني.. إلى أن اكتشفت أن ذراعيه المفتولتين لا تضرب وإنما تربت على كتفك بحنان بالغ وكتفه العريض هذا يحضنك بكل رقة وحينما جمعنا سهرة فى بيت أحد الأصدقاء كنت أنا فيها الغريب الوحيد.. كان يحنو عليا بكل رقة ويدخلنى فى الكلام بمناسبة وبدون مناسبة ربما لأنه شعر بغربتي.. إلى هذه الدرجة كانت حساسيته المرهفة النادرة.

وذات ليلة كنت أمر بسيارتى من ميدان لبنان بعد منتصف الليل عائدًا إلى بيتي.. فوجدت سيارة سوداء تمر بجوارى وصوت يخترق إذنى يهتف بي.. معلش يا زهر.

وعرفت طبعًا من الذى ينادى إنه هو.. ومن غيره ووقفنا.. وسألني.. أخبار الحلم أيه.. قلتله بدأت اشتغل ابتسم فى سعادة وقاللي.. يعنى نقرأ قريب.. قلت له قريب قوي..

وفجأة .. وبهدوء غريب.. تمامًا مثل ابتسامته.. رحل مصطفى متولي.. وتلقيت اللطمة مفجوعًا.. وانتابتنى حالة هيستيرية من البكاء المتواصل.. فمن يخرجنى من هذه الحالة.. من يواسينى ويربت على كتفى ويحنو عليا؟ من يهون عليا الفجيعة؟! كان هذا دور مصطفى.. فهو الوحيد القادر على ذلك ولكنه لم يعد هنا ليفعل ذلك أن دوره فى المسرحية سيظل خاليًا بالنسبة لي.. وسأظل أعاتب نفسى وأقول لو كان دوره أطول قليلاً!! وحلمه سيظل أمامى بين أوراقى انظر له وأقول فى حسرة.. لو كنت فقط انتهيت منه قبل ذلك قليلاً.. اعذرنى يا مصطفى كنت اكتب لك.. ولم أكن أتصور أبدًا أننى سأكتب عنك.. معلش يا زهر .

عليك نور يا نور

انفعل!! صرخ!! نسى أنه يعمل حوارًا تليفزيونيًا.. فلتت أعصابه وشعرت أنه ح يخرج من التليفزيون ويجيبهم من رقابتهم.. ثار ثورة عارمة.. وقال.. احنا سلبيين كده ليه!! ساكتين كده ليه.. وشعرت أننى سأدخل فى التليفزيون.. لأقبله.. مش أهديه!! لا. أنا مش عاوزه هادي.. أنا عاوزه متزربن كده علطول.. هزنى نور الشريف.. وأحسست أن الفنان يمكن أن يقود ثورة.. إذا كان صادقًا.. والقضية التى ثار من أجلها نور الشريف ليست قضية سهلة.. ده موضوع كبير قوي.. إنهم- أعنى الخنازير القذرة المعفنة- ولا أعتذر من الألفاظ السابقة.. وإنما أعتذر عن رقتها

وأدبها.. فهم يستاهلوا ألفاظ أبشع بكثير.. لكن برضه إحنا متربيين- هذه الخنازير فعلت فعلة تحتاج مننا إلى غزوة.. مثل غزوة بدر.. إنهم يسخرون من أكرم الخلق وخاتم النبيين فى رسومات حقيرة لا تستحق أن تنظر لها وإنما تبصق عليها بصقة كبيرة قوي.. إنهم لا يزالون يحاولون تقويض هذا البناء الخرافى المهول الذى أزعجهم ونكد عليهم عيشتهم.. وأشعرهم بضآلتهم ونتانتهم.. فلاش باك سريع لأعود لأيام كنت أعمل فيها مرشدًا سياحيًا.. ووقفت عند ميضأة جامع محمد على أشرح لهم الوضوء والطهارة عندنا.. أنت لا تقابل ربنا إلا طاهرًا.. وبرغم الصحراء القاحلة والمياه العزيزة، نحن نتوضأ.. وأنتم برغم الجاكوزى والبيسين.. وشلالات الأمطار.. لا تغتسلون الحكاية مش حكاية ميه.. علمنا سيد الخلق أن النظافة من الإيمان ولذا سنظل إلى أن تقوم الساعة.. أنضف أمة فى الدنيا كلها.. ولأننا مسلمون.. فنحن نتعفف.. فى كل شيء ولأنكم كفرة لا أخلاق ولا عفة ولا طهارة ستظل حظيرة خنزير أطهر من أطهركم، ستحاولون أن تصدروا الإيدز لنا بدافع من حقدكم والغل الذى يأكلكم ولكن لما تشوفوا حلمة ودنكم.. لن نستورده.. سنتركه لكم.. لتموتوا مثل الجيفة وفى يوم العيد سيمتلأ شارع جامعة الدول العربية أمام جامع مصطفى محمود بآلاف السراويل البيضاء التى تبرق مع نور

الصباح الجميل وسنشم رائحة العطور الجميلة وسنرتل جميعًا.. الله أكبر كبيرًا والحمد لله كثيرًا. وسيمسك أطفالنا القمر بالونات جميلة.. وح يفرقعوا بومب فى عينكوا.. وعين اللى ما صلاش ع النبى .

رسامة يهودية حقيرة واطية.. تعتدى هذا الاعتداء القذر على أشرف الخلق.. رسامة ليس لها أى قيمة.. يبدو أنها بدأت حياتها.. بترسم برضه بس على خلق الله. بعشرين دولار.. ولما فقدت قدرتها على أن تأكل بثدييها.. قالت أقلب عيشى فى حاجة تانية.. بعد أن ترهلت وبقت ما تسواش تعريفة.. فحينما رسمت.. رسمت نفسها، رسمت حقيقتها.. وبالطبع سيحاولون أن يدافعوا عنها.. ويعملوا لها حراسة واقترح أحدهم أن تعمل عملية تغير فيها شكلها حتى لا يعرفها أحد.. لكن ح نعرفها برضه عارفين إزاي.. من ريحتها.

ولا تتصور يا نور أن هذه الرسامة الحقيرة لها أى أثر أو قيمة.. إنها كلبة من الكلاب التى تعوي.. وقافلتنا البيضاء الطاهرة تسير.. وتلعلع وتحقق انتصارات.. وتبهر الدنيا.. رغم أنف الدنيا كلها، وعندنا بقى فراودة ح يطلعوا.. عينها.. فهى ليست لها دين.. عندنا مصطفى حسين.. ح يرسم وح يمسخرهم.. وعندنا جمعة وحاكم.. وعتاولة.. استنوا بس.. ما

تخافوش.. أحنا ملوك السخرية وملوك الكاركاتير والنقد اللاذع.

والساخر المعلم محمود السعدني.. ح يقعد كده مع نفسه.. وح يرزعهم مقال.. يضحك عليهم طوب الأرض والساخر العظيم أحمد رجب حيديهم نصف كلمة من بتوعه.. فيها الشفا.. وح نعمل أفلام نعرفهم فيها إحنا مين. ونوريهم فيها مقامهم.. والناس!! نسيتوا الناس؟! أنتم يا أعزائي.. ح تطلعوا النكت عليهم وح تمرمطوهم.. والا النكت بتاعتنا!! دى جننت يوليوس قيصر لما جه مصر.. قال عليا الطلاق ما آجى البلد دى تاني.. ونابليون هوه راخر ما استحملش وخد بعضه ويافكيك على بلده وكليبر كتر فى الكلام شويه.. خد واحدة على دماغه من سليمان الحلبي.. مراته اترملت وما صرفتش معاشها لغاية دلوقت. ومينو باأه وده فرنساوى كان جاى مع الحملة، ساب الحملة وسمى نفسه عبد الله.. قال يا روح ما بعدك روح.. ويريدون قال أن يشتركوا فى مهرجان السينما.. والكاتب العظيم سعد وهبة واقف لهم وقفة سودة.. قال لهم على جثتى مش ح تعتبوها.. ليه.. عشان الأمراض بس.

أيتها الفئران الحقيرة استعدوا للدى دى تي.. تخرجون من ثقب لتدخلوا فى ثقب آخر.. حاولتم أن تشوهوا صورة الإسلام.. وتطلعونا إرهابيين.. وأنتم الإرهاب.. والإرهاب أنتم..

ومع ذلك فشلتم.. حاولتم أن توقعوا بين المسلمين والمسيحيين.. فوجدتم أننا سمن على عسل وطنط أم لوقا جارتنا لسه باعتنالنا طبق عاشورة إمبارح عشان تذوق الست والدتي.. موتوا بغيظكم.. هذا الوطن وهذا الدين لا يمكن اختراقه..

مدينة الألف مئذنة التى تقف مآذنها شامخة فى السماء كالحراب المسننة.. لم تعد مدينة الألف مئذنة.. دى إحصائية قديمة يا حبيبى من أيام الفاطميين.. النهاردة فيها أكثر من مليون مأذنة.. وبيوتنا كلها مساجد.. أفرد المصلية.. واسأل أبويه.. القبلة منين يا حاج.. وأقول الله أكبر.. تستطيعون أن تضيقوا الخناق على فتاة مسلمة محجبة.. محتشمة ترتدى الحجاب الإسلامي.. فشكلها الملائكى الإسلامى يثيركم.. يضايقكم.. أما العاريات العاهرات على شواطئكم.. تنظرون إليهن بقرونكم وأنتم فى منتهى السعادة.. فالإسلام هو عقدتكم.. ليس من اليوم.. من زمان قوي..

اعتذرت يا نور لعصبيتك ولثورتك فى التليفزيون.. وأنا من هنا أقولك.. احنا مش قابلين عذرك. إوعى تهدأ.. إوعى تنام.. أنا اعتذر بالنيابة عنك عن اعتذارك.. لأننى أعلم أنك ستعمل لنا فيلمًا كبيرًا.. يعيش يؤثر.. يرد.. وعليك نور.

النجم فى الأتوبيس

امرأة سمينة بعض الشيء.. مرحة.. تجر كلبًا نظيفًا وتقترب من الجمعية الاستهلاكية.. تشترى جبتا وزيتونا وبسطرمة.. هذه المرأة البسيطة تعمل أزمة فى الجمعية.. ليست أزمة زيت أو سكر.. أزمة زحام.. يلتف حولها الناس يسعدون برؤيتها.. يشيلونها من على الأرض شيل.. يبادرها أحدهم بقوله ضاحكًا.. أنتى جايه اشتغلى إيه!! وينفجر الجميع فى الضحك.. هذه المرأة هى مارى منيب.. هكذا بمنتهى

البساطة نزلت لتشترى البقالة ولوازم البيت.. مشهد حقيقى لتلك النجمة الأسطورة.. ممتلئ بالعذوبة والجمال.. ورجل يركب الأتوبيس الفاضي.. الذى يسير فى الشوارع الفاضية.. السائق يضحك بمجرد أن يراه.. ويوقف الأتوبيس ثانية ليسلم عليه.. والركاب لا ينزلون فى محطاتهم سيستمرون معه حتى ينزل.. إنها فرصة لا تعوض.. حالة من البهجة والألفة فى الأتوبيس والنبى تغنيلنا حاجة.. وبكل تواضع يغني.. ادينى بقرش لب.. اتسلى عشان بحب وحبيبى شغل كايرو مفيش فى القلب غيره.. ويتمايلون طربًا.. هذا الرجل بيعت تماثيله بعد الحرب العالمية من فرط جماهيريته وكان نجمًا شعبيًا مهولاً.. إنه.. شكوكو طبعًا.

وزكى رستم.. الممثل الجبار.. يتمشى فى شارع قصر النيل ويسلم على المارة ببساطة شديدة إزى الصحة يا زكى بيه.. ويرد بتواضع: عال.. عال.. ومقهى فى عماد الدين يجلس عليه الريحانى والقصرى وشرفنطح.. والناس رايحة جايه.. سعيدة ياسى نجيب.. أهلاً يا سيدنا الأفندي.. ثانية واحدة ومن هذا المعجبانى الذى يتمخطر فى مشيته واضعًا الوردة فى عروة الجاكتة ويدندن وعايش مع نفسه.. محمد عبد القدوس.. قطعة السكر التى فى الأفلام..

أين ذهبت هذه الأيام؟! أيام هؤلاء النجوم الفطاحل.. وكيف كانوا بهذه السلاسة يتمشون فى الشوارع وينخرطون بين الناس.. هل كان النجم الذى فى عنان السماء يستأذن السماء قليلا وينزل إلى الأرض.. بين الناس.. هكذا بلا بودى جارد ولا مدير أعمال.. ولا أحد يحمل البالطو وآخر يولع السيجارة وثالث يرد على الموبايل؟! ولماذا بودى جارد والجمهور كله كان بودى جارد للفنان.. الشوارع جميلة.. والناس جميلة والألفاظ جميلة.. ومصر كلها كان فيها ست سبع عربيات.. لم يكن الفنان فى حاجة إلى هوجة تمشى وراءه.. لأنه هو نفسه كان هوجة فى حد ذاته.. ولكنه بعد أن يمثل يصبح بنى آدم عادي.. حقيقي.. ينزل إلى الشارع.. نفسه هفته على كوز دره مشوي.. ماشي.. شوب عصير قصب ما يمنعش.. أتصور مثلا.. أن تمشى مادونا أو شارون ستون وخلفها كتيبة من القوات الخاصة لحمايتها من الجمهور المتكالب عليها.. وهذا ليس من فرط حب الناس لأعمالها.. ربما لحمايتها من شر أعمالها.. فواحدة زى مادونا لو نزلت تحت الربع أو مساكن زينهم.. ح تتقطع.. من غير حتى ما يعرفوا أنها مادونا.. وظاهرة البودى جارد أصبحت موجودة فى العالم كله.. ربما لأن الدنيا معدش فيها أمان.. وأنا شخصيا بدأت أشعر بالخطر.. زلطة ترشق فى

دماغي.. حد يكعبلنى وأنا ماشي.. من يدافع عنى وأنا ليس فى يدى سلاح سوى القلم.. وفكرة البودى جارد.. فكرة مادية بحته.. فهو رجل يدافع عنك ويأخذ أجره.. لا يحبك ولا يخاف عليك.. ويحكى أن البودى جارد الخاص بكيسنجر كان جالسا واضعًا قدمًا على قدم فى ألاطه وكيسنجر معدي.. والبودى جارد قاعد فى مكانه لا قام ولا اتحرك.. وسأله أحد الصحفيين.. كيف يمر أمامك كيسنجر هكذا ولا تتحرك ولا تقف احترامًا وتفز من على الكرسي.. فأجاب البودى جارد ببرود.. الساعة ٦ دلوقت.. أنا الحارس بتاعه من ٩ صباحا لحد الساعة ٤ بعد كده إنسانى وخد عنواني.. وحتى المرأة اقتحمت هذا المجال.. وبدأنا نرى ستات يقفن خلف النجم.. مدججات بالسلاح.. يا ساتر يا رب.. وأنا شخصيا جال بخاطرى أن استأجر امرأة لتصبح الحارس الخاص بي.. لا لتحمينى من أحد.. وإنما لتحمينى من نفسى الأمارة بالسوء.. وصار البودى جارد مظهرًا من مظاهر الأبهة والفخفخة.. أى مطرب تنجح له غنوة.. يجيب البودى جارد بتاعه.. ممثلة ثانوية تعمل مشهد فى مسلسل.. تتفق مع البودى جارد فى الأول.. والشغلانة مربحة جدًا.. ولا تتطلب إمكانيات خاصة سوى أن تكون ضلفة باب.. عضلات مفتولة.. ونظرة ميتة تتجول فى المكان..

والشغل مش عيب.. أمريكا نفسها اشتغلت هذه الشغلانة مع الكويت.. المشكلة أنها حراقة قوى فى الفاتورة.. بس كل برغوت على قد دمه.. وأنا بصراحة.. على قد فلوسى كده.. استطعت أن أدبر لنفسي- من نفسي- بودى جارد على قدى كده على ما قسم.. يقف ورائى فى غموض.. فى كل مشوار أنا رايحه.. صحيح أنه ليس مفتول العضلات لكن حنين فى المرتب.. صحيح أنه لا يمتلك تلك النظرة الميتة المرعبة.. وإنما كان عنده للحق نظرة زائغة قريبة جدًا من النظرة الميتة.. صحيح أنه ليس ضلفة باب وإنما لا أنكر أنه لا يقل عن شراعة.. وأخيرًا.. أصبحت ممن يمشون ووراءهم تلك الهيصة المحترمة من الحرس.. ولكننى إحقاقًا للحق.. لم أتمتع كثيرًا بحارسى الخاص.. إذا كنا نقضى معظم اليوم فى قصر العينى فى عنبر ٣ إذ كان لا يتحمل الشمس ولا المشى ولا أقل مجهود وكان عنده أنيميا حادة.. باختصار بعد فترة من الوقت شعرت أننى أنا.. البودى جارد بتاعه..

آه يانى.. يا معجبانى !!

في حديث لي مع الراحل الساخر عبد الله أحمد عبد الله .. قال لي وهو يصف الفنان محمد عبد القدوس أنه كان.. معجباني!! فسألته يعني إيه معجباني.. هل هو المعجب بنفسه المتطاوس في مشيته قال لي لأ.. المعجباني هو المعجب بالحياة المحب لها وللناس ومحمد عبد القدوس.. كان يمشي يتبختر كده.. حاطط المنديل في جيب الجاكته والوردة في عروة الجاكتة.. والمنشة في إيده .. وماشي يدندن بكوبليه أعجبه من أغنية.. فإذا قلت له سالخير يا عم محمد. مش شرط إنه يرد عليك.. فهو عايش.. حابب الدنيا وبيتمتع بيها بيتمتع بإنه عايش بإنه شايف وسامع وحاسس بإنه في الروقان

يعني.. والمعجبانية هم الناس الحلوين من جوه.. ومن بره.. يدعون العصبية وهم في منتهي الطيبة.. يدعون الشدة وهم غاية في العطف.. فيصبح هذا الستار الكاذب من القسوة.. كالنعامة التي أخفت رأسها في الرمال.. وهيه كلها باينة.. وسليمان نجيب أيضًا كان معجبانيا.. وكان يشتم الخدم في الصباح قبل أن يذهب إلى عمله ويرفدهم وفي الظهيرة يعود إليهم ليصالحهم.. ولذا كان هناك اتفاق جنتلمان بين الطرفين هو يمثل دور السيد المرعب الرهيب الذي لا يرحم.. وهم يمثلون دور الخدم الذين يرتعشون لمجرد سمع وقع أقدامه.. ولا هم يخافونه ولا هو يرعبهم.. والمعجباني المتخاطر في مشيته هذا يحب الناس ويحب الدنيا.. ويحب نفسه كمان.. ويمشي هكذا يكلم نفسه.. يدلعها يعني.. اتخيله ماشيًا- سليمان بك نجيب- وهو يهمس لنفسه.. تشرب حاجة سائعة يا سليمان بك.. فيرد على نفسه أيوه والله الدنيا حر قوي خالص.. شايف الأموره اللي ماشيه هناك دي.. قمر.. قمر والله يا نجيب بك أكيد مخطوبة لولد عفريت وبيحبوا بعض.. ثم يتساءل بعصبية.. وما يتجوزوش ليه لحد دلوقت الولاد الملاعين دول.. والشارع ماله فاضي وهادي وجميل كده ليه.. حاجة بديعة صحيح.. ايه ده.. شحات!! بيعمل إيه هنا.. تعالى يا ولد..

بتشحت ليه.. خد.. خد دول وجيب لحمه وفراخ للهانم مراتك.. خلاص.. أمشي من قدامي.. مش عاوزك تدعيلي.. اتنيل.. أما بني آدم غريب قوي خالص وإيه الهدوم المقطعة دي يا زفت.. اجري خدلك سموكن من الدولاب عندي.. ياللا.. واستحمى يا أنا يا إنت النهارده..

كان هذا الكلام يعمله سليمان نجيب في الأفلام وفي الواقع أيضا تصوروا.. شخصية مثل قطعة الشيكولاته.. كان بحق معجبانيا.. ولهذا لم يتزوج.. ربما لأنه تزوج الناس كلها.. فأخذ ينثر من حنانه وطيبته هنا وهناك.. ولأنه أدرك أنه تزوج الدنيا بأسرها أصر على أن يحتفظ لنفسه بصورة الزوج (الجعجاع) الذي يشخط وينطر هنا وهناك وهو يذوب حبًا في بيته وأهل بيته وقبل أن يموت ترك شقته للطاهي وسيارته للسواق والتحف التي في بيته لدار الأوبرا.. إنه لا يريد شيئًا.. إنه معجباني!!

وعزيز عثمان.. هذا أيضا كان معجبانيا ولكن بسلطنة.. كان معجبانيته.. أدوارًا ومقامات وموشحات وطقاطيق.. وكان يغني على روحه مفتونًا بالفن وبالدنيا.. لا أنساه وهو يغيظ الريحاني ويقول له اترك البلبل يا خيبه للظرافة.. للطافه..

(يقصد نفسه طبعًا وعنده حق) وحتى حينما كان يمثل.. كان يستطعم الجملة ويقولها ببطء شديد وروقان شديد..

ولما كان يتزنق.. كان يغنيها..

ومعجباني آخر.. ولكن بلدي.. وهو عميد المعجبانيه الشعبيين.. عرفتوه؟! يا صفايح الزبدة السايحة.. ويمشي متخارطا كالبطريق.. كتفه يروح ويجي وكأنه عاوز ضبط زوايا.. عبد الفتاح القصري.. حالة نادرة وخاصة جدًا.. مفتون بالنساء وبالدنيا.. وبسذاجته وبساطته وفطرته.. خلق حالة من الهوس به.. إحنا مهووسين بالقصري ومع ذلك كانت نهايته ليست معجبانية بالمرة فقد بصره.. وفقد أصدقاءه وفقد فلوسه ولكنه لم يفقد أبدًا حبنا له و ارتباطنا به.. والسؤال.. أين هؤلاء المعجبانيه؟! راحوا فين!! والمعجباني هو شيء آخر غير النرجسي العاشق لذاته.. لا شتان بين هذا وذاك.. فالنرجسية والذاتية أكثر من الهم ع القلب أما المعجبانية فهي عشق الدنيا.. والناس.. وساعة العصارى.. والقلة التي أثلجتها الطراوة والمرأة التي هي غصن بان.. إنها القدرة على تذوق الحياة وتأملها في هدوء.. إنها (دندنة الأغاني بمزاج حتى لو كان صوتك وحش).

وأنا.. آه والله العظيم.. أنا عندي ميول معجبانيه.. وأعراضها أنني كثيرًا ما أتمنى أن آخد الدنيا بالحضن.. أن أزغزغ الناس اللي رايحه واللي جايه.. أغرق في تفاصيل الحياة الجميلة.. اتأمل كوز دره مشوي كثيرًا قبل أن أقرقض فيه وأشرب الشاي بصوت (أستلذ به وأنا أشربه) وهذا لا يكفي.. أريد أن أكون معجبانيًا حقيقيًا.. على أبوه.. ولكن كيف؟! أهم شروط المعجباني أن يتمشى.. أين أتمشى.. الزحام والضجيج والكلاكسات تفوقني.. تخرجني من حالتي.. تحولني إلى مقرفاني .. مخنوقانى .. مزهقانى.. العمارات القبيحة تشوه المنظر والأغاني البشعة التي بلا روح تزهق روحي.. تحولني إلى مكتئباني.. السعار المادي الرهيب والسماسرة في كل شيء.. مبروك.. فين عرقي يا باشمهندس!! وهو لم يعرق.. وأنا أيضا لست باشمهندس.. الفاكهة التي بلا رائحة.. واللحمة التي بلا رائحة والفراخ التي شوربتها مثل دواء الكحه بعد أن تنتهي فترة صلاحيته.

أنا لست مفجوعًا.. أو همي على بطني.. أنا نفسي مسدودة.. ولكن أريد أن أتمتع.. أريد أن أختلي بالجو بتاعي.. ونعيش لحظة حلوه.. وأقول لها في رومانسية.. شايفة القمر يا منال.. ستخلع منال النضارة الطبية السميكة وتتساءل.. أنهون؟! أقول

لها متشبثا بجمال اللحظة.. المدور اللي منور قوي فوق في السماء.. منال تبربش بعينيها.. ومعها حق.. التراب يملأ الجو.. وبعده ستار آخر من عادم السيارات.. سأقول لها في يأس.. سيبك من القمر شايفاني أنا!! أنا يوسف والله قاعد قدامك.. ولكنها تنظر لي باستغراب كأنني كائن غريب.. ولكن.. ياللمفاجأة.. أنا أسف معلش.. والله ما أخدت بالي.. اعذروني يا أعزائي.. طلعت مش منال!!

خلاص.. أنا لن أخرج من بيتي.. سأصبح معجبانيا من منازلهم.. سأعيش مع نفسى ا لحالة.. أدندن كده وانبسط.. يقطع دندنتي رنين التليفون اللعين.. وصوت لشاب واعد.. يقول لي (ينكن) دي أول مرة اتصل بيك.. فيها.. بس أنا (معجم) بكتاباتك.. (مونكم) أشوفك!!

فأرد عليه فيه غيظ.. مونكم طبعا.. ارجوكم دعوني أعيش في معجبانيتي الخاصة.. أنها ليست اليوجا.. يا ساتر.. اسمحولي.. سأمدد قليلا.. وأسرح .. من حقي أن أسرح في لا شيء.. في ولا حاجة.. حلو قوي ده.. وبعدين بقى.. تليفون.. صوت نسائي ايه ما بتردش علطول ليه؟ حد معاك؟! ايه عاوز تقفل!! مش عاوز تكلمني؟! لأبدأ أنا سلسلة من الاعتذارات عن جرائم لم اقترفها.. لا والله.. أصل معايا ناس.. كنت مشغول

شوية.. وأحسد عبد الوهاب.. كان يترك القعدة فجأة والناس والسهرة كلها ويقول لهم طيب أنا ماشي بقى.. يقولوله ما تخليك شوية.. فيجيب أصلي عندي موعد مهم.. يسألونه مع مين يقول.. رايح اقعد مع عبد الوهاب شوية.. كان يتمتع باختلائه بنفسه.. بهذه الخصوصية الجميلة.. وننحن محرومون يا أعزائي.. محرومون من المشي والتخاطر والدندنة والمزاج.. يتكلمون عن الأزمة الاقتصادية.. وأزمة السينما.. وأنا أرى الأزمة.. أزمة معجبانية.. أزمة الناس الحلوة فلم يعد للوردة مكان على عروة الجاكتة.. وإذا شتمت الخادم لن يصبر حتى تأتي في الظهيرة.. لتصالحه ح يلعن سنسفيل جدودك.. فهو يستطيع أن يقلب عيشه بعيدا عنك وفي كام شهر هو اللي يشغلك عنده .

وأخذت أفكر وأفكر.. ثم أفكر وأفكر..

ذهبت إلى العزاء أقدم رجلاً وأؤخر أخرى.. مات محمد عوض!! وموت الكوميديان يشبه موت الوردة المتفتحة.. والحزن في موته أكبر من الحزن العادي.. أنه يشبه فاتورة ثقيلة ندفعها في النهاية مقابل سنوات من البهجة والضحك والمتعة أعطاها لنا.. وفي الطريق إلى عمر مكرم.. فوتومونتاج يستعرض مشاهد كثيرة ومسرحيات وأفلام لعوض.. لا تريد أن تموت مثله.. ووجدت نفسي أفعل مثله.. أفكر وأفكر.. ثم أفكر وأفكر.. مات عوض.. ولكن هل مات عاطف الأشموني مؤلف الجنة البائسة ؟ هل مات مطرب العواطف!! وشرارة!! وناصح (في نمرة اثنين يكسب)

ووصلت إلى مكان العزاء .. كان الزحام رهيبا وكان المشهد أشبه بمسرحية رائعة.. الجمهور أمام السرادق في حالة وجوم من أين جاءوا.. لا أعلم وماذا يريدون؟! إنهم يريدون فقط الوقوف هنا.. دموع كثيرة متحجرة في العيون.. ينظرون في إتجاه السرادق وأستطيع أن ألمح سؤالاً.. هل هذا هو المشهد الأخير ياعوض؟! إنه هو بلا شك.. لأنه يبدو مثلك رقيقًا حانيًا.. وذو شجون.. بالداخل وفي نهاية القاعة كان يجلس يوسف عوف.. وصلاح يسري.. ومحمد يوسف الكبار.. رفقاء المشوار والرحلة الجميلة الطويلة.. كانوا يجلسون في صمت.. ولأول مرة هو ليس بينهم.. والذين صنعوا معًا ساعة لقلبك.. أراهم وهم يصنعون لأول مرة.. ساعة لأحزانك وأشجانك.. أراهم يحاولون أن يبدو متماسكين.. ولكن الحسرة التي على الوجوه تجعل محاولاتهم فاشلة..

وفي مقدمة العزاء الجيل الجديد.. أحمد سلامة وعبد الله محمود ومدحت صالح.. يقفون بجوار أصدقاء العمر.. عادل وعاطف وعلاء.. آل عوض.. التركة العظيمة التي خلفها محمد عوض.. مصمم الاستعراضات الموهوب عاطف عوض.. والمخرج الواعد عادل عوض.. والممثل الرائع علاء عوض.. الذي رأيت في عينيه رغم إحمرارها نظرة كلها إصرار وحماس أن يكمل

مسيرة الفنان العظيم.. أبيه.. وقف الثلاثة بكل رجولة.. بكل ثبات.. يأخذون العزاء وشعرت أنه عرس عظيم ولا أعلم لماذا خيل لي أنني رأيت محمد عوض.. يبتسم من بعيد..

لا يوجد مقعد واحد خال.. ولا مكان لقدم.. والغريب يتصور أن كل من بالعزاء أقرباؤه.. أحمد نبيل يجلس الناس والمخرج الكبير السيد راضي يأخذ العزاء.. وأرى المخرج الكبير حسين كمال جالسا وحده في صمت واشعر بصوت مدبولي يتسلل إلى أذني.. زمن الحلاوة جبر.. صدقني يا صاحبي.. صدقني..

كان بسيطا بصورة فريدة.. قال لي عنه المؤلف أحمد الأبياري.. هو أبويا الثاني.. وأسر لي أن أول رواية ألفها لم يكن عمره يتعدى ثمانية عشر عاما.. ذهب بها إليه.. واشتراها عوض منه مشجعا إياه ليقدم لنا مؤلفا بارعا وحكى لي عن أول مرة يزورهم فيها في البيت.. بمجرد أن دخل أخرج مسدسات (لعبة) يلاعبهم بيها.. هداياه لأولاد الراحل الفذ أبو السعود الأبياري.. كان يعشق حالة البهجة.. وكانت هذه رسالته حتى في عزائه.. كانت هناك حالة من البهجة.. وكم الحب الذي في المكان كان يكفي مصر كلها.

محمد عوض درس كبير لكل فنان.. درس حقيقي.. أنت لا

تستطيع أن تفصل مشاعره الداخلية وحقيقة أخلاقياته وتركيبته الإنسانية.. عن عطائه الفني.. فالناس يا أعزائي.. يتوغلون داخل الفنان ينفذون إليه.. فإذا حدث التماس اسكنوه القلوب.. ولن يطلع ولا بالطبل البلدي.

وأنت كلما نفذت بداخل محمد عوض تجده وقد أعد لك شيئا ما.. قطعة سكر.. بونبونايا.. إنه يحلي لك بقك علطول.. وحينما نكتب تاريخ الكوميديا في مصر سيحتل محمد عوض مكانا بارزا وفريدا وفي دولة الضحك سيصبح وزيرا للأداء الراقي الرقيق السهل الممتنع.. ومن أبدع أدواره التي قدمها على المسرح دوره في مسرحية جولفدان هانم.. حينما قام بدور المؤلف الذي كتب رواية (الجنة البائسة) وباعها لغيره فنسبت إليه تحت ضغط الزوجة صاحبة التطلعات الاستهلاكية.. وحينما نجحت الرواية.. أصيب بهستيريا.. حينما آل المجد كله إلى الآخر الذي لم يكتبها.. وأبكاني هذا الكوميديان الرهيب.. حينما خلع فانلته لتجده وقد كتب على صدره.. أنا عاطف الأشموني مؤلف الجنة البائسة.. وصارت (لزمة) جملة يرددها معه الجمهور.. من قلب التراجيديا وقمة المأساة أخرج لنا هذا العبقري لزمة كوميدية نحفظها ونرددها. وفي نمرة اثنين يكسب وصل محمد عوض إلى قمة الإبداع الكوميدي.. إنه يقدم لك عدة شخصيات مختلفة ومتناقضة.. فيدخل إلى المسرح وهو

ناصح العبيط الساذج والذي أتى لينفذ الوصية ويعود ليدخل وهو وجدي الأنيق الشيك الإنسان الذي سيكسب حب البطلة في النهاية.. ثم يفاجئنا بشخصية بيسو الحرامي.. وسوسو الأرناؤوطي الشاب المدلل.. كان في هذه المسرحية هو وحده نقابة ممثلين.. وخطفوه في السينما خطفًا.. وصار هو الورقة الرابحة.

كل هذا كان يدور برأسي وأنا جالس في العزاء.. ووجدتني يا لخجلي.. ابتسم.. ابتسامة عريضة كمان.. وحينما رفعت رأسي وجدت أن الكل مثلي.. كانوا يبتسمون هم أيضا.. انتهى المقرئ من قراءة القرآن.. أومأت عليه أقول له أحسنت يا مولانا.. شكرني بهزة من رأسه وأعطاني الكارت.. خرجت من العزاء.. ونظرت في الكارت فوجدت أن مولانا اسمه عمرو.. ولم ينس أن يكتب لي نمرة الموبايل والأي ميل بتاعه.. مقرئي اسمه عمرو؟! وعنده موبايل؟! وأي ميل؟! وانفجرت في الضحك.. يرحمك الله يا عوض.. لم تقبل أن أخرج من عزائك بلا ضحكة.. حتى تكون قد أديت رسالتك إلى النهاية.

أحزان كوميديان !

قال لي: صاحب نادي الفيديو.. أنا أسف يا بيه أفلامه كلها برة.. واندهشت وسألت إلى هذه الدرجة ؟ فأجاب.. الأسبوع الجاي أكون أتصرفت لك في واحد وخرجت وأنا أكلم نفسي.. هل يمكن أن يعيش إنسان في الوجدان لأكثر من نصف قرن!! وكل الذي قدمه في حياته (بؤو) وثلاثة أو أربعة أفيهات مكررة.. مرة نراه يرتجف من الرعب من الشاويش عطية ومرة أمام الغوريللا في حديقة الحيوانات ومرة أمام عفريت المصباح السحري أو تراه يقول في لحظة الذروة في الفيلم عند تعقد الأحداث.. أنا عندي الحل

فيقولان له في شغف.. هه فإذا به يقول (بوللن مستكاي ليبون ستكايني..) ما معنى ذلك؟! لا شيء لكن السينما تتكسر كلها من الضحك.. مثل خمسمائة فيلم بطريقة أداء واحدة وبمشية واحدة وبأفيهات مكررة ولكن.. ماذا تفعل له ابن الإيه.. يدخل القلب بعبقرية نادرة.

قال لي ذلك الرجل العجوز الذي يملك محلاً للمشغولات الفضية بالسويس والذي كان يعمل صبيًا عند عم ياسين والده.. لا لم تكن طفولته سعيدة على الإطلاق لقد ذاق المر من زوجة أبيه، وقالت لي عمته التي تشبهه إلى حد كبير، كان يأتي ليلوذ بأحضاني وبقطعة بسبوسة طرية، وتذكرت حكاية ذلك المريض النفسي الذي ذهب إلى الطبيب في إيطاليا وهو يعاني من اكتئاب حاد وأعطاه الطبيب دواءً ليعود بعد أسبوع ويخبره أن الدواء لم يفعل شيئًا ويزهق الطبيب منه ويقول له.. اسمع.. بجانب العيادة هنا مسرح الكوميديان العظيم توتو.. اقطع

تذكرة وتفرج على روايته الجديدة.. ستهلك من الضحك فإذا بالمريض يجيبه في بساطة.. أنا توتو..

الكوميديان حكايته حكاية.. إنه مثل مضحك الملك ليس له عمل سوى أن يتنطط ويتشقلب ويقول كل أنواع الأفيهات وإلا أمر السياف يقطع رأسه أو لسانه أو أي شيء يمكن أن يضحك الملك ويخرجه من حالة الزهق التي تلازمه.. ولم نسمع عن ملك عين مضحكًا ثقيل الدم.. بل سمعنا عن ملوك تحملوا تجرأ مضحكيهم عليهم وقلة أدبهم مقابل قدرتهم الفذة على الإضحاك.. وزبون المسرح صار كالملك يجلس متعنطرًا في الصف الأول واضعًا قدمًا على قدم وينظر إلى هذه المخلوقات الغريبة التي على الخشبة ولا يبتسم إلا بصعوبة شديدة.. وهو ملك من نوع خاص.. ملك لمدة ثلاث ساعات وميزانيته مائة جنيه هي ثمن التذكرة التي دفعها في الشباك.. وخفة الدم أهم من الجمال بل إن كاميليا الممثلة الجميلة كانت تستلف بعض النكات من

يوسف بك وهبي قبل أن تـزور الملك في قصره لكي تبهر الملك ليس فقط بحسنها الفتان وإنما أيضًا بخفة دمها..

والكوميديان إنسان مسكين في الحقيقة وهو محروم من المشاركة في المناسبات الجادة فإذا ذهب إلى عزاء كتم المعزين أنفاسهم عن الضحك لمجرد رؤيته يدخل السرادق.. ولأن الضحك معدي عادة ما تبوظ عزاءات وسرادقات بسبب محمد عوض أو وحيد سيف وغيرهم.. بينما وجود فنانة عظيمة مثل أمينة رزق في عزاء لهو مظهر مشرف للفن والفنانين فمجرد ظهورها يعطي العزاء هيبة ووقارًا وتسمع في الحال نحيب السيدات من الداخل احتفالاً بمقدم الست أمينة.. وفي الأفراح مصيبة أخرى إذ أنه لا يستطيع أن يجلس مثلما يجلس الناس صامتًا في حاله.. فدائمًا ما ينظر له الناس من آن إلى آخر ويتهامسون.. إيه ده.. ده ما بيضحكش.. هو عامل نفسه كده ليه!!.. إنه غارق في الهموم والأحزان.. أحزان كوميديان .

الست دى .. (عمتى) !

في تصوري أنه لم يعش طفولة سعيدة.. بل أستطيع أن أؤكد ذلك بالرغم من أنني لم أعش طفولته بالحلبو بل إنه هو الذي عشت معه طفولتي.. ولكن حدث أنني كنت أصور برنامجًا عنه في السويس وذهبت إلى من تبقى من عائلته.. وكانت عمته هي أيضًا على قيد الحياة كانت تجربة مثيرة أن أجلس إلى عمة إسماعيل ياسين لسببين أولاً لأنها كانت مذعورة من الغرباء.. وبصعوبة شديدة وبالمسايسة استطعت أن أجعلها تأمن لي.. فصورت معها بدون أن تشعر والكاميرا والمصورون خارج الحجرة وإلا كانت ستصبح ليلة سودا.. والسبب الثاني الذي جعل لقائي بها مثيرًا أنها الخالق الناطق إسماعيل ياسين حينما مثل دور عمته في أحد الأفلام.. قالت لي إنها كانت تعمل له (البانتسبانيه)- نوع من الحلوى السويسي وتعطيها له حينما يهرع إلى حضنها باكيًا وكان يحبها بجنون وعلمت لماذا كان كثيرًا ما يكرر هذا الإفيه.. حينما يلتفت فيجد غوريللا وراءه.. أو لصًا يمسك بسكين.. أو عفريتا.. عرفت لماذا كان يصرخ في

رعب.. يا عمتي.. لأنه كان يلجأ إليها هي فقط.. ولا أحد سواها وعليه فلنقل مثلا .. أنه لم يعش طفولته أو أنه أجلها قليلاً إلى أن أتت إليه الدنيا فأخرج هذا الطفل المؤجل بداخله- من القمقم وصار رجلاً بوجه طفل.. بتصرفات طفل.. بمشاعر طفل.. وكان هذا مكمن سحره وسر نجاحه.. ومن الأشياء اللافتة للنظر أنه مثل مع أكثر بطلات الشاشة إغراء وفتنة فهو الذي وقف أمام كاميليا.. وهند رستم.. وبرلنتي عبد الحميد وكيتي ومع ذلك لم نشعر للحظة أنه يرغبهن جنسيًا أو أن نيته وحشة إنه طفل.. مجرد طفل في حضن طنط.. فإذا ألقت له هند رستم بقبلة من شفتيها الناريتين ينط في حياء إلى الأرض ويقول اسكتي بقى أحسن أنا باتكسف.. وإذا حاولت كاميليا (صارخة الأنوثة) أن تجعله يخلع ملابسه معتقدة أنه زوجها في فيلم المليونير.. يجري منها ويقسم ألا تراه وهو يغير ملابسه.. لم أجد له قبلة في فيلم.. أو عناقًا حارًا وبراءته هذه هي التي جعلته يفعل كل هذا بعد رحيله ولذلك أحبه الأطفال حبًا جنونيًا وصار إسماعيل ياسين مطلبًا أساسيًا في أي بيت حتى يسكت الأطفال وحتى يذاكروا وحتى يسمعوا كلامنا.. في تصوري لو عاد إسماعيل ياسين إلى الحياة.. ورأى ما يحققه من نجاح بعد موته لما صدق على الإطلاق أنه اصبح هذه الأسطورة.. وأن تماثيله صارت بالشيء الفلاني.. وكتب ملونة

للأطفال ليس عليها شيء سوى صورته هو.. لم تكن حركة النقد التي عاصرته تدرك أنه شيء له قيمة.. اعتبروه فنانًا من الدرجة الثالثة.. وهو الذي كان مطلوبا من كل المنتجين فكان مديرو الإنتاج يتقاتلون عليه وينتظرونه في المحطات مثل عصابات المافيا.. واستطاع أن يخلق حالة بينه وبين الجمهور.. فإذا تعقد الفيلم .. يهمس إسماعيل ياسين لشادية في إذنها قائلاً.. أي كلام ما تعرفش ده اجريجي ولا إيطالي ولا تخاريف صيام.. حد فاهم أي حاجة؟! طبعًا لا. ولكنه الذي يقولها.. ولذا سنتقبلها لإنها منه.. ليستيبونا بقه وإلا مش ليستيبونا؟! كان يضحك ضحكة خاصة مثل حنفية بايظة لا تريد أن تتوقف وهو يمط بؤه للأمام وصار الأطفال يقلدونها حتى بعد ثلاثين عامًا من رحيله.. وكان يبكي مثلهم.. وكان لا يبدأ أي جملة إلا بكلمة.. يا ماما.. ولم يكن فقط كوميديانًا عظيمًا وإنما كان يحلو له أحيانًا أن يبكيك.. وآه على البكاء من الكوميديان متعة أخرى وهو كان يحب أن يفعل ذلك.. حته أو اتنين كده في آخر الفيلم يودع فيها العفريت في حزن قائلاً بأسى: مع السلامة يا عفركوش.. مع السلامة يابن الجن أو يودع فيها الحياة داخلاً إلى مستشفى المجانين مفضلاً إياهم عن العقلاء.. أو حينما ينهي فيلم (إسماعيل ياسين في البوليس) وصوته يتحشرج من البكاء مرتديًا الزي العسكري ويقول ما هو إحنا كده شغلتنا

لازم نسهر عشان الناس تنام.. وكان في صوته شجن رغم البهجة التي كان يشيعها في مونولوجاته الفريدة.. هل تعلمون أنه الذي ألف ولحن كثيرًا جدًا من هذه التحف الفنية.. كان موهوبًا بحق ولكن هناك علامة استفهام كبيرة في مشواره الفني.. فهو بدأ حياته بدور معقول مع علي الكسار في فيلم علي بابا والأربعين حرامي ١٩٤٢. وبعد ذلك يعمل دورًا قصيرًا جدًا مجرد مشهد لرجل سكير يعبر الشارع مع يوسف وهبي في فيلم الطريق المستقيم ثم يعود بأدوار معقولة جدًا مع الكسار مرة أخرى في نور الدين والبحارة الثلاثة ١٩٤٤ والمظاهر ١٩٤٥ مع يحيى شاهين ثم أفاجأ به بعد ذلك في دور صغير جدًا مع أنور وجدي في قلبي دليلي مجرد نمره في الحفل وكذلك في فيلم عنبر.. وبعد عنبر وفي عام ٤٩ يُعطى إسماعيل ياسين الفرصة لأول بطولة مطلقة مع ماجدة في فيلم الناصح.. ثم يرتد بعدها ليصبح سنيدًا مع محمد فوزي وفريد الأطرش.. وقفزة أخرى نحو أول اسم في فيلم فلفل وليلة الدخلة فيقتنع به أنور وجدي أخيرًا.. بعد أن نحته بما يكفي ويعمل له فيلم المليونير بطلاً مطلقًا.. يعمل دورين في الفيلم.. ولكن ماله يتراجع عن البطولة مرة ثانية ليصبح سنيدًا لكمال الشناوي في بشرة خير والحموات الفاتنات بل وسنيدًا لفيروز مع أنور وجدي أيضًا في عام ١٩٥٤.. كان لأول مرة يوضع اسمه على أفيش مرتبطًا باسم الفيلم (مغامرات

إسماعيل ياسين) ليوسف معلوف ثم (الآنسة حنفي) ليتربع تمامًا على عرش الكوميديا في مصر.. وبعدها (عفريت إسماعيل ياسين) ولكن ما هذا؟ يعود بعد كل هذا ليعمل سنيدًا مرة أخرى للكحلاوي في فيلم خليك مع الله.. ولشكري سرحان في الستات ما يعرفوش يكدبوا؟!! ولا يأتي عام ١٩٥٥ إلا وتبدأ سلسلة الأفلام التي تبدأ بإسماعيل ياسين في .. وحط أي حاجة.. بعد اسمه.. الفيلم ح ينجح.

عذرًا يا أعزائي أرهقتكم بالتواريخ ولكن.. كما ترون أنه برحيل الريحاني عام ٤٩ بدأت الحياة تبتسم لموهوب جديد في عالم الكوميديا هو الشاب البائس إسماعيل ياسين وعليه فالفن لا يتوقف عند مخلوق وكما ترون أيضًا أن هذا العبقري كان بسيطًا وعملاقًا في الوقت نفسه.. فكان في لحظة بطلاً.. ثم يعود بكل حب ليشارك كسنيد في نجاح فيلم آخر ليس عليه اسمه في الوقت الذي كان هو الاستثناء الوحيد الذي كان يسمح له بوضع اسمه على الأفلام.. فهل نتعلم من هذا الطفل العبقري بعض الدروس.. ليستبيونا بقه ولا مش ليستيبونا؟؟

روح وأنت حبيبى

بعد أن فقد الفن حتة السكر اللي اسمها عبد الفتاح القصري.. وهو ابن البلد الشهم في غشومية.. الجاهل في طيبة.. المتفلسف والعسل ينقط من بقه.. ذلك النوع من الشخصيات التي تعشق أخطاءها وتعشق كلامها.. ونظراتها ومشيتها.. إنها شخصيات تذوب فيها ولا تعرف بالضبط أنت تحبها منين.. من أي حتة بالضبط احببنا القصري؟! لا نعلم.. ورحل عبد الفتاح القصري وترك فراغًا مرعبًا.. في منطقته.. إلى أن تحولت القلوب والعقول والأبصار فجأة نحو ممثل تخصص في أداء

الأدوار الجادة فكنت تراه مرة ضابطًا ومرة وكيل نيابة ومرة أخرى محاميًا مرتديًا بذلة غامقة ومكشر علطول.

هذا الممثل فجأة انفتحت أبواب القلوب له وقالوا له ياللا.. روح وأنت حبيبنا.. وأحبوه.. رموا عليه يمين الحب.. وبدأ الفراغ الذي تركه القصري يمتلئ بالتدريج.. وظل يملأه هذا الممثل حتى ضاق به الفراغ.. وكأنه كان مصرًا أن يترك بعد رحيله فراغًا أكبر.. أكبر من أن يملأه أحد..

محمد رضا.. كان المشهد الأخير لي معه منذ شهر ونصف جلسة في أحد الفنادق.. كان المعلم رضا يتناول النارجيله مع كوب الشاى بالنعناع وكان الوقت عصرا والجو هادئا وصافيًا.. وكانت الحياة جميلة قوي وتبادلنا ابتسامة حانية على بعد زادت من جمال الحياة.. وشعرت أنه يريدني وكنت لا أريد أن اقتحم عليه جلسته.. ولكنه الذي دعاني إليه قائلاً ح أعطلك؟!

وجلست إلى جواره.. قال لي قرأت بعض الهجوم عليك وسعدت جدًا.. ودعوت لك ربنا يزيدك ثم أضاف قائلاً تعرف يا يوسف يابني.. أنا في عز نجاحي وأفلامي تحقق إيرادات ضخمة جاء لي ممثل زميل وقال لي أنت بتحاربني وبتحقد عليه فأجبته قائلاً: أنا لا أحقد عليك وهذا ليس بدافع من

أنني إنسان كويس ولكن لأني لا أملك وقتا لأحقد عليك.. أنني لا أتوقف عن العمل ٢٤ ساعة فمتى أحقد.. أعدك يا زميلي العزيز أنني حينما أقعد في البيت وأتعطل عن العمل.. أعدك أن أحطك في دماغي.. وأحقد عليك.. وضحكنا أنا وهو.

فقلت له باسما: بس برضه يا أستاذ.. حتى بعد أن أصبحت مقلا في عملك وقاعد في البيت معظم الوقت.. لم أشعر للحظة أنك حقدت على أحد.. بل لا أراك إلا محبا للخير لكل الناس.. فأردف قائلا:

ما أنا كنت أتعودت بقه على كده.

رحم الله محمد رضا.. الذي شهد نجاحات منقطعة النظير وحفر ببساطته النادرة طريقه إلى القلوب.. وصارت شخصياته بيننا حية ترزق.. عماشة.. رضا بوند.. المعلم رضا.. محمد أفندي رفع العلم.. حنفي الونش.. وكان طفلا ضخما بريئا تعشقه الأطفال ويعشقه الكبار.. واستطاع هذا الشخص النادر أن يحتفظ بصفحته ناصعة البياض طوال سنوات عمره المديد فلم أسمع في حياتي كلمة قيلت في حق المعلم رضا.. لم يشك منه أحد.. حتى الألسن الكثيرة.. المتبرعة التي تختلق وتؤلف

للنيل من الناس ونجاحاتها.. لم تجرؤ على أن تمس هذا الكيان الشديد النقاء .

وفي رثائه أنا مصر أن نبتسم.. سأذكركم بأفيه أو لازمه من لازماته الشهيرة في فيلم (٣٠ يوم في السجن) مع فريد شوقي وثلاثي أضواء المسرح.. كان المعلم رضا.. مسجونا معهم وسجن بسبب سرقته للغسيل.. وكان كما يقص حبال الغسيل يقص الكلام أيضا.. (لاحظوا الخيال الذي في اختياره للأفيه) فيقول له مثلا.. أنا باشتغل حرا.. يعني حرامي أو يقول له أنت فاكرنا أفا.. أفانديه يعني وهكذا..

أما حينما كان المعلم رضا يمثل دور العاشق الولهان بحجمه الضخم هذا وكرشه الجميل فكان يمتعنا ويبهجنا ويسعدنا.. وكان يتحول بسرعة من الضعف العاطفي أمام أنوثة المرأة إلى راجل الحتة وسبعها الهمام.. وكان في الخناقات باه له جمهور من المعجبين فكان يضرب هذا بكرشه فيطيره من فوق عمارة.. والناس تصدق وتتقبل وتضحك.. هل تعلمون لماذا صدقناه.. لسبب بسيط.. لأنه كان راجل تلقا.. تلقائي يعني..

الأعمار بيد الله

في فيلم شباب امرأة جلس الرجل العجوز السكير حسبو (عبد الوارث عسر) ينصح الشاب القروي الساذج إمام (شكري سرحان) بأن يبتعد عن شفعات (تحية كاريوكا) تلك المرأة اللعوب المتفجرة الأنوثة.. ولعلع عم عبد الوارث عسر في هذا المشهد وقال له: إمام يا بني.. إمشي من هنا.. انفد بجلدك.. أنا زمان كنت شاب زيك كده مليان شباب وصحة ورجولة والنتيجة أهوه.. بقيت اللي قدامك ده.. أنت مش مصدقني؟!

وجرى وأحضر له صورته وهو في ريعان شبابه ليثبت له أو لنا (كجمهور يعني) أنه كان شابًا صغيرًا موفور الصحة حينما وقع في غرام شفعات.. وإذا بالصورة لعبد الوارث عسر في عمر يناهز الستين أو يزيد.. ووجدت نفسي أتساءل متى كان عبد الوارث عسر شابًا.. هل ولد الرجل أبًا؟! أنا لم أره شابًا في أي فيلم من الأفلام كلهم شاهدنا مرحلة شبابهم إلا هذا الرجل.. رأيناه أبًا على فراش الموت لليلى مراد في فيلم عنبر وأبًا ليحيى شاهين شخصيًا في فيلم الأخوة الأعداء وفي أفلام عبد الوهاب نفسها لم يكن نصيب الرجل سوى دور الأب.. هل تحمل عبد الوارث عسر المسئولية منذ الصغر؟! وشال الهم بدري؟!

والشيء الذي أثر في نفسي حقًا أن الرجل كان يموت كثيرًا في أفلامه.. كانوا يقتلونه ويذبحونه ويطلقون عليه النار مئات المرات لدرجة أنهم أوقعوه ذات مرة من على السلم و هو يقود (بسكليته) ليتخلصوا منه.. ولذا بمجرد ما كان يظهر عبد الوارث عسر على الشاشة كنت أضع يدي على قلبي وأقول ربنا يستر .

ولأنني أملك شاشة ذهني.. أستطيع أن أتخيل ما أشاء.. أستطيع أن أؤلف أفلامًا وأخرجها وأعرضها على شاشة خيالي هذه بلا اعتبار للتوزيع أو الشباك.. فتخيلت عبد الوارث يقوم

بدور الفتى الأول- مرة من نفسه- ألبسته بنطلون جينز وتي شيرت وقصصت له شعره من الجانبين وأطلت سالفيه.. ومن بعيد وقفت فتاة شقراء تنظر إليه في هيام.. ومر بجانبها عم عبد الوارث بعد أن بص للبنت بصة سيبت مفاصلها قائلاً.. هيه.. أحلامي وآهاتي هيه.. أغلى من حياتي.. هيه أملي وذكرياتي.. هيه حبي للجنون.. ثم لقطة لهما معًا يتدفآن على النار.. ثم لقطة لهما وعم عبد الوارث يقود السيارة الجيب وهي بجواره محتمية بساعديه.. وهكذا إلى أن تقول له ارحل يا حبيبي أهلي ما يرضون.. ويذهب ليطلبها من أبيها.. وهنا المشكلة من الذي سيكون أبوها.. من الذي سيقوم بدور الأب لا أحد غيره.. عبد الوارث عسر..

وعندنا نجوم قاموا بدور الفتى الأول وهم يخلصون إجراءات الإحالة على المعاش.. ونجوم تجاوزوا الخمسين ويقفون في فناء الجامعة يمثلون أدوار الطلبة.. وتجده يبتسم لزميلته في رقة قائلاً: ممكن استلف كشكول المحاضرات؟! وإذا نظرت للتجاعيد التي في وجهه لفصلته على الفور من الجامعة وأودعته دار المسنين.

وفي مشهد آخر لفتى أول كان قد أتم الخامسة والخمسين وإذا به يجري في فرح ملقيًا بنفسه في أحضان أمه.. ماما.. ماما..

نجحت يا ماما باركيلي.. فترد عليه الأم في حنان يا ترى ح أعيش يابني وأشوفك دكتور؟! في الحقيقة أن المشكلة إن كان هو الذي سيعيش وليست هي.

ويستنكر الممثلون الآن دور الأب أو الجد ويقول أحدهم.. إذا عملت أب النهارده امال بكره أعمل ايه.. ولكن عبد الوارث عثر بدأها من النهاية.. بدأها أبًا عجوزًا.. مسنًا.. وعاش عمرًا فنيًا أطول منهم جميعًا.. جاء إلى جورج أبيض سنة ١٩١٧ يهوى التمثيل..ويطلب فرصة.. أخذه جورج أبيض إلى سطوح المسرح وفي الخلاء والهواء الطلق.. قال له مثل يا سيدي.. وريني.. وكان أول مشهد يمثله.. دور الحجاج بن يوسف الثقفي.. وتجلى عبد الوارث بلغة عربية فصيحة.. وأذهل جورج أبيض.. الذي أنزله من السطوح لينضم إلى فرقته.. وكان أول أدواره على المسرح دور كهل عجوز طاعن في السن.. مشهد واحد فقط يموت في نهايته .. طبعًا.

ولكن برغم تراجيدية الدور كانت الناس تضحك وهي تتفرج عليه.. وجن جنونه.. لماذا يضحك الجمهور.. ما الخطأ الذي ارتكبته؟! فقد كان الضحك أيامها.. خطأ لا يغتفر إذا كانت الشخصية تراجيدية وذهب إلى طبيب.. واستشاره.. حكى له الدور والشخصية وسنها.. قال له الطبيب.. أنت

ترتعش وأنت تمثل.. وليس شرطا أن يرتعش المسنون.. وأوقف الارتعاشة.. ولم يضحك الجمهور واستراح عبد الوارث عسر.

وصار بعدها ليس أبًا في الأفلام فقط.. بل أبًا روحيًا لكل الممثلين وفي فيلم غزل البنات.. كتب الريحاني وبديع خيري الحوار.. وكانت مشكلة ضخمة.. الحوار طويل مسرحي.. وأنور وجدي المخرج والمنتج العفريت لا يجرؤ على أن يواجه الريحاني العظيم بهذه المشكلة.. وكانت الأقدار محفوظة.. ولجأ إلى عبد الوارث عسر.. واتفقا على أن يمر عبد الوارث عسر بطريق الصدفة- المتعمدة- على جلسة قراءة السيناريو ربما استطاع أن يواجه الريحاني بهذا العيب.. وأتى.. وسمع الحوار ثم بكل رقة.. بكل أبوه.. قال له يا سي نجيب الحوار حلو قوي إنما.. السينما صورة.. وكل ما قدرنا نشيل كلمة من الحوار يبأه أحسن واقتنع نجيب.. فكلام الأب لا يرد.. لا لم يكن عبد الوارث عسر ممثلا قديرًا فحسب.. كان أديبًا حقيقيًا.. وكان شاعرًا.. وكان.. في البداية والنهاية أبًا بمعنى الكلمة .

لا أهلاوي ولا زملكاوي أنا كحلاوي

محمد الكحلاوي.. كان قنبلة الغناء الشعبي في الأربعينات وبداية الخمسينات مما رشحه لبطولة عدد كبير من الأفلام السينمائية حتى أن إسماعيل ياسين شخصيًا كان سنيدًا له في أفلام كثيرة منها خليك مع الله والذي كان استثمارًا لنجاح أغنية كانت ناجحة نجاحًا ساحقًا للكحلاوي، تقول الأغنية خليك مع الله واعمل الطيب.

والكحلاوي للحق كان ممثلاً رديئًا ولكنه كان يمثل برداءة وثقة في نفس الوقت فقد كان واثقًا من جماهيريته وحب الناس له فكان أحيانًا- يبص - في الكاميرا ويبتسم ابتسامة كحلاوية خاصة بعيدة عن الشخصية التي يمثلها وعن الموقف.. وعن الفيلم.. وأحيانًا أخرى.. يبص.. للمخرج أو للمصور وكأنه يقول.. ها أنا قد أنهيت المشهد مش ياللابأه.. عندي فرح.

ولما كانت كرة القدم هي اللعبة الشعبية الأولى والكحلاوي هو المطرب الشعبي الأول.. سارع المنتجون بعمل قصة فيلم يكون فيها الكحلاوي لاعبًا يجمعوا فيه بين الحسنيين.. وكان الفيلم

(كابتن مصر) ولا نريد أن نحكي قصة الفيلم البسيط الممتع وإنما اسمحولي أن آخذكم إلى مشهد النهاية حيث الكحلاوي بعيدًا عن اللعب.. وحيث المباراة النهائية التي يلعبها الفريق في ظروف صعبة لن يحلها بالتأكيد إلا مجيء البطل - الكحلاوي- في اللحظة المناسبة ليحول الهزيمة إلى انتصار ساحق.. ويدخل الكحلاوي الملعب فيهتف له الجمهور واللاعبون ويحيونه.. ولا يسأل أحد هل هو مسجل في قائمة الاحتياطي أم لا.. ليس مهمًا.. ما دام جه.. يبقى ح يلعب.. وحينما يسأله المدرب طيب ح تلعب إزاي بالبدلة والكرافاته يا كابتن.. ينظر له الكحلاوي نظرة مليئة بالإخلاص والحب ثم يبص للكاميرا ثم للمخرج وكأنه يستأذنه أن يبدأ المشهد وتكون المفاجأة حيث يخلع البدلة والكرافاته في مشهد ميلودرامي مثير لنجده مرتديا الفانلة والشورت تحت البدلة ويقول له والدموع تترقرق في عينيه.. أنا عمري ما قلعتهم يا كوتش فريق مصر جوايا مهما حصل يا كابتن.. ولم ألحظ في الحقيقة هل كان الكحلاوي يرتدي البدلة على جزمة رياضية أم لا.. لإن المخرج ما جابش الجزمة في الشوت.. وينزل الكحلاوي ويحرز أهدافا بالجملة وينتصر الفريق.. وهذا الانتماء الكحلاوي الكروي كان لقطة مصرية صميمة.. فكل زعماؤنا وشعراؤنا ومطربينا غنوا لمصر وباسوا تراب مصر.. وفي مدرجات الدرجة الثالثة ابتدع الجمهور هتافات وشعارات ساخنة صارت فلكلورًا.. قاعدين ليه ما

تقوموا تروحوا.. آها.. آهو قال إيه عاوزين ياخدوه.. وابتدع لاعبو الكرة طقوسًا انفعالية جميلة أحبها الجمهور.. فهم يقرأون الفاتحة قبل المباراة وهم يحتضنون بعضهم بعضاً وإذا أحرز أحدهم هدفًا يبوس الفانلة أو يوطي على النجيلة ويقبلها في تأثر شديد.. وهذا الإحساس الوطني أو الديني انتقل بدوره إلى الجماهير التي توصي اللاعبين قبل المباراة كأنهم يقدمون على معركة تحرير القدس ربنا يوفقكوا يا كباتن.. ربنا معاكو.. الشيخ حسن معانا أهوه بيدعيلكوا.. إدعي يا شيخ حسن.. والشيخ حسن مجذوب أعمى يرتدي عددًا كبيرًا من السبح ويمسك بمبخرة.. وبالمناسبة لقد وقع الشيخ حسن عقدًا في أمريكا وهو يظهر هناك في المباريات بين المشجعين بزيه الأزهري وهي حيلة أمريكية خبيثة لها معاني وأغراض.. وهكذا صارت كرة القدم مثل المولد أو ليلة ذكر نعيش فيها حالة من الدروشة المختلطة بالحب والوطنية وبعد المباراة تنهال اللقاءات التليفزيونية على اللاعبين ولا أعلم لماذا يردون جميعًا بصوت مبحوح.. ويبدأون جميعًا كلامهم بالبسملة.. بسم الله الرحمن الرحيم احنا موتنا نفسنا عشان خاطر الناس دي.. الجمهور اللي جالناده مش عاوزينه يرجع زعلان.

وبدأت الدنيا تتغير.. وأصبح الانتماء موضة قديمة لا تتناسب مع روح العصر الجديد فلا استعمار ولا حروب ولا التفاف حول فكرة وأصبح موقف الكحلاوي في فيلمه كابتن

مصر موقفًا كوميديًا فجأة بقدرة قادر ولم تعد أغنية عليا التونسية - ما تقوليش إيه اديتنا مصر لأقول ح ندي إيه لمصر تعني أي شيء.. أو ربما صارت تعني العكس فالذين أخذوا القروض والملايين من مصر وهربوا هم الذين صاروا يساومون.. هم الذين صاروا يغنونها ما تقولش أخدتوا إيه من مصر.. لأقول ح تسددوهم إزاي؟

وبظهور نظام الاحتراف تغيرت النظرة العاطفية الانفعالية للأشياء وابتلعت الملايين شلالات المشاعر الإنسانية فالذي يملك هو الذي يستطيع أن يؤثر وبالتالي أنا لن أشجع فانلة أو لونًا أو ناديا وإنما سأجلس في بداية كل موسم مع نفسي وأعيد حساباتي وأدرس موقف كل نادي اشتري مين من اللاعبين؟! وكيف أعد نفسه للدوري والكأس؟ واشجعه.. وعليه أنا لست أهلاويًا ولا زملكاويًا ولا اسمعلاويًا.. وإنما أشجع الفريق الذي أتصور أنه لن ينكد عليا.. وإذا خذلني في منتصف الموسم.. سأخذله أنا أيضا بكل هدوء ولن ينحرق دمي ولن تنقسم الجماهير في ا لمدرجات هذا مدرج للأهلي وهذا للزمالك لأن الجمهور نفسه سيتغير في المباراة الواحدة فهذا أهلاوي رايح يشجع الزمالك وهذا زملكاوي رايح على مدرج الأهلي وعليه لن تجلس الجماهير في المدرجات وإنما ستمشي فيها حسب الحالة.. وهكذا لن يقضي الاحتراف على الانتماء فقط وإنما على التعصب أيضا.. وعلى فكرة.. أنا بقالي أسبوعين سنغالي .

على أبو شادى.. صاحبي

نحن تربينا على الرقابة.. منذ نعومة أظافرنا ونحن نشعر أن ثمة شخصًا ما يراقبنا فأمي مثلاً تراقبني منذ كنت طفلاً أحبو. وأمشي تاتا تاتا فإذا تمردت على المساحة التي تسمح لي فيها بالمشي والحبو وعملت حركة صياعة وقلت لنفسي لماذا لا تحبو وتكسر يمين تشوف فيه إيه في الأوضة الثانية؟ إنها الرغبة في الاكتشاف والمغامرة.. كولومبس على صغير يعني.. ولكنني أسمع صرختها تخرق أذني.. رايح فين يا واد..

اتسمر في مكاني.. لقد ضبطتني.. ويدخل أبي عليا وأنا أذاكر ويتصفح كراريسي وكشاكيلي وكتبي مثل البوليس السياسي أيام الاحتلال الإنجليزي لا ينقص إلا أن يسألني.. تعرف واحد اسمه إبراهيم حمدي؟! (عمر الشريف في بيتنا رجل) وفي الامتحانات يعينون علينا مراقبًا في اللجنة. دائمًا وجهه كشر لا أعلم لماذا.. تأتي ورقة الأسئلة. أقرأها وأفكر في السؤال.. أنظر للسقف تلك هي عادتي.. فتخرق أذني برضه صرخته.. أنت باصص فين.. بص في ورقتك..

هل يمكن أن أكون حاطط برشامة في السقف!

ومع تكرار الفكرة وتأكيدها في الوجدان ترسب بداخلي شعور بأنني حرامي.. برغم أنني لم أسرق شيئًا في حياتي مما أورثني حالة عصبية تجعلني دائمًا أبص ورائي بسبب وبدون سبب.

في كلية الألسن.. كانت الدفعة كلها بنات أما البنين فكانوا قلة قليلة جدًا لا تعد على أصابع اليد الواحدة فكانت أيام الامتحانات هي في ا لواقع مسابقات ملكة جمال أكثر منها امتحانات.. بنات زي القشطة جايين على سنجة عشرة يمتحنوا.. وفي اللجنة التي تضم عشرين ملكة جمال.. كنت أنا

الطرزان الوحيد.. ولذا كنت أعامل أسوأ معاملة من المراقب الذي يراقب علينا ومعه حق.. فأنا طالع له كده فردانى شيطاني.. على حد قول الأبنودي.. عود دره وحداني في غيط كمون.. فمنظر بنطلون وسط ٢٠ جيبة.. لا شك أنه ليس مرغوبًا فيه.. فكان المراقب يحلل مرتبه في مراقبتي أنا وحدي.. وكانت نظرة حلوة من إحداهن.. وبسمة لطيفة من أخرى.. ترفع عنهن الرقابة نهائيًا.. برغم أن ملابسهن لا تسمح بها الرقابة على الإطلاق وعلمت وقتها لماذا عمل الأخ سيد عملية جراحية ليتحول إلى سالي.. أكيد كان قاعد في لجنة زي دي.

وفي أحد الأيام .. جاءت لنا مراقبة مش مراقب.. واحده ست يعني.. وحامل في السابع ومش طايقة روحها.. هنا لم أتردد.. قلت لها أنا عاوز أقولك كلمة ربنا يقومك بالسلامة ابتسمت وقالت.. قول يابني.. قلت لها أنا مضطهد.. المراقبون كلهم يتحيزون للبنات في اللجنة وأنا زي ما إنتي شايفة.. هنا نظرت لهن الرقيبة بغل.. وقالت لي ولا يهمك وحياتك لأوريهم.. وظلت مراقبتي الحامل تضيق عليهن طول فترة الامتحان.. ولكنها من آن لآخر كانت تتحفني بابتسامة رقيقة.. وتظل تحملق في وجهي حتى خيل لي إنها بتتوحم

عليا.. هذه المادة رسب فيها كل البنات اللاتي في اللجنة وجابوا ض.ج وأنا جبت امتياز والست المراقبة جابت يوسف.. أقصد يعني سمت ابنها على اسمي.

ومن أيام الدراما اليونانية والرقابة شغالة.. ويقال إنهم اعترضوا على رواية كتبها سوفوكليس.. لأنه كان يعبر في أحد مشاهد الرواية عن وجهة نظر الأعداء.. ورفضت الرقابة أن يقول العدو على لسانه أنه يدافع عن قضية أو أنه يحب بلده.. يعني لو كتبنا رواية عن إسرائيل ومصر.. نجيب الإسرائيليين و هما بيهتفوا المصريين أهمه.. وطنية وعزم وهمه.

وإخناتون حينما اهتدى إلى الأتونية والوحدانية خاف من رقابة كهنة آمون.. فأخذ ورقة وبرداياته ومراته (نفرتيتي) وديله في سنانه وساب لهم طيبة كلها. راح المنيا.. وعمل عاصمة جديدة عشان يعرض فيها أفكاره.. ولم يتركوه.. هدوا عليه القصر وشطبوا كل أفكاره من على جدران المعبد مثلما نشطب في الأفلام القديمة صور الملك فاروق من وراء عبد الوهاب وهو يغني في غزل البنات.. والمقريزي والجبرتي كان يكتبان التاريخ مرتين.. مرة للرقابة نسخة معدلة ظريفة.. ونسخة تانية يقول فيها كل منهما اللي ف قلبه.. وألف ليلة وليلة انقضت عليها الرقابة مؤخرًا.. وحينما قرأوها قالوا يا نهار أسود..

كانت تايهة عننا فين دي.. شيل يابا.. شيل.. وعملوا نسخة مهذبة لو عديتها تيجي خمسميت ليلة وليلة بالكثير.. ومفهوم الرقابة مفهوم مطاطي.. فأي كلمة يمكن أن تعطيك إيحاء ما.. فإذا قالت زوجة لزوجها.. اسخن لك الأكل يا حبيبي يهرش الرقيب في رأسه ويتساءل.. تقصد ايه الوليه دي!! ثم يعود ويفكر ويقرر. احتياطيًا نشطبها.. في وقت ما كتبت مسرحية اسمها (لأ.. لأ بلاش كده).. واعترضت الرقابة على الاسم.. وأصروا أن نشطب (لأ) منهما وعدت أنا الذي أهرش في راسي.. وأتساءل يا ترى يقصدوا انهي لأ فيهم الأولانية ولا الثانية؟! قلت أسأل ضميري.. نيتي.. أنت قاصد حاجة قبيحة في (لأ) الأولانية والا (لأ) الثانية؟! فوجدت أنني نيتي وحشة فيهما هما الاثنتين وشكرت الرقابة أنها تركت لي واحدة.. كتر خيرهم..

والرقابة موهبة ومتعة أيضا.. كتب العقاد فصلاً كاملاً في رواية سارة.. أسماه الرقابة و مضحكات الرقابة.. حيث كلف أحد أصدقائه أن يراقب حبيبته ساره التي يشك في سلوكياتها ولم يكن صديقه هذا موهوبًا في الرقابة فدوخته ساره وراءها.. ولم يظفر بأي نتيجة.. ومراقبة المرأة أصعب بكثير من مراقبة الرجل.. فالمرأة عندها قرون استشعار تجعلها تحس بأنها مراقبة أما الرجل مننا واكل داتوره.. تبقى البلد كلها بتراقبه وهوه ولا هنا..

والسوابق حينما يخرج من السجن يظل تحت الرقابة لمدة ثلاثة أشهر.. للتأكد من حسن سيره وسلوكه.. ولا أعلم لماذا ثلاثة أشهر بالذات وهل هذه لها علاقة بشهور العدة؟! ولذا فإن الرقابة يجب أن تبدأ بالشك أو بالاتهام.. وهذا هو حال المؤلفين والمخرجين في مصر.. كلنا سوابق.. ولا أعلم لماذا يخيل لي أن الرقيب يمسك جرنال مقطوع ويلبس بالطو أصفر وهو يقرأ لي رواية.. وذات مرة قرأت خبرًا بالأخبار.. أن الرقابة رفضت نصًا للمؤلف يوسف معاطي لكثرة المشاهد الجنسية والمثيرة التي تخل بالآداب العامة وتخدش الحياء العام.. يا كسوفي.. يا عرقي.. أودي وشي من الناس فين وجريت على حمدي سرور مدير الرقابة السابق . قلت له.. كيف يحدث هذا يا أستاذ حمدي وتخيلت نفسي عائدًا فأوقفتني لجنة على كوبري أكتوبر.. وبجوار الضابط الذي يتأكد من الرخصة.. رقيب.. عرفني على الفور وقال لي.. هات النص اللي معاك.. قلت له أنا لسه باكتب فيه.. ما خلصتوش فسحبه مني بعنف وجلس يتصفحه.. ثم قطع منه كام صفحة خارجين وكام مشهد وأعاده لي وقال.. اتفضل اطلع.. ما توقفش الناس.. وأخذت بقايا روايتي وجريت.. وكانوا بدأوا التفتيش على حسام حازم وسمير الجمل ما هم كانوا في العربية اللي ورايا.. وعملت نفسي ما أعرفهمش يا عم.. أنا مالي.. دول سوابق.

والشيء الظريف هذه الأيام.. أنني كلما وقعت عقدًا لسيناريو فيلم عند أحد المنتجين.. أسأله وماذا ستفعل مع الرقابة يقول لي في ثقة وهدوء.. ما تخافش أنا على أبو شادي صاحبي لو حصل أي اعتراضات ح نروح له ونخلص الموضوع الراجل هايل ومتفهم جدًا وفنان.. ما تقلقش أنت.. ويعرض عليا أحد النجوم فكرة.. أقول له وهل ستقبلها الرقابة.. إنها فكرة جريئة فيرد النجم مبتسمًا.. ولا يهمك.. نكلم علي أبو شادي ونروح له ونتكلم معاه.. ده صاحبي وأشفقت على الرجل والله.. كل دول أصحابه.. وهل سيقرأ الرجل المسكين كل الأفلام والمسرحيات والأغاني ويشاهد كل الأفيشات.. وأين الآخرون.. الذين هم ليسوا أصحابنا.. ولماذا لا يصبحون أصحابنا.. ولماذا أرى في عيني الرقيب نفس النظرة التي كان ينظرها رئيس كهنة آمون لإخناتون.. لماذا أشعر أنه يفتشني ولا يراقبني.. يزغر لي بعينيه ويقول لي بمنتهي الفتاكة.. أنت فاكر أني مش فاهم اللي أنت كاتبه يا أستاذ.. لا معلش تقدر تقوللي العمدة اللي قتلوه في البلد ده يبقى مين؟! مش تقصد السادات.. ما تقول تقصده وإلا لأ لحسن تفتكر إن أنا مش واخد بالي.. والرجل المجنون اللي عمال يشتم الناس في الشارع ويقول ياولاد الكلب.. ياولاد الكلب.. يقصد مين.. بقولك إيه.. أنا معديلك أول عشر مشاهد بمزاجي.. أعزائي زملائي في

الرقابة.. اللصوص في الأفلام لا يعلمون الناس السرقة.. والعاهرات لا يعلمن الناس الفجور كما أن الناس الطيبين الذين يقولون خطبًا في المبادئ والمثل لم يحولوا الناس إلى ملائكة.. وفي التليفزيون تصر الرقابة على ألا يختلي ممثل وممثلة في المكان إلا إذا كان معهما ثالث (محرم).. كيف بالله عليكم يعني لو سمير غانم ودلال.. ماشي إنما لو سمير وجيهان.. لازم أحط معاهم جورج!! وإلا.. هناك حل آخر.. لو مصر أن يختلي البطل بالبطلة لا تترك باب الحجرة مغلقًا.. الشيطان شاطر.. افتح الباب أو واربه.. افتح أي باب بالله عليكم!! إحنا في استوديو فيه خمسين عامل كلهم محرم.. والخيانة الزوجية ممنوعة والقتل ممنوع.. والدراما ممنوعة.. ما هذا يا إخواننا دول هما سنتين وحنقول ألفين وكذا.. القرن الواحد وعشرين جاي والأنترنت في كل الدنيا.. نريد أن نتنفس ننطلق.. لم يعد الجمل وسيلة المواصلات والله.. فيه طيارات وصواريخ.. وبيجو سبعة راكب.

أعلم أنني بعد هذا المقال سيرفض أي نص لي أقدمه إلى الرقابة وأعلم أنني طينتها على دماغي.. لكن مش مهم.. أنا علي أبو شادي صاحبي.

الدنيا عاملة زى إيه

هكذا هي الدنيا.. تأتي نحوك وتقبل عليك في الوقت الذي لا تريد أن ترى وجهها فيه.. وتجننك وتذيقك الأمرين حينما تلهث وراءها.. فما هو أدق وصف للدنيا.. قال لي صديقي وهو يشد نفس المعسل باستمتاع: شوف يا حبيبي.. الدنيا دي عاملة زي الرقاصة يوم تديك وشها.. ويوم تديلك جنبها.. ويوم تديلك ضهرها.. والتفت زميله الذي حشر نفسه في الموضوع.. وقال يا عم ما سمعتش الأغنية بتقول إيه.. دنيا غرورة وكدابة.. زي السواقي القلابة.. ومر بائع الخضار أمام المقهى.. وقال لي: الدنيا دي عاملة زي الخيارة.. يوم في إيدك وتقسم لغيرك.. الشاطر بقى.. اللي يخش دنيا في الزمن ده ويلحقها.. عشان هي ما بتستناش حد.. أوعى تضحك عليك.. وتلاقي الزمن عدا.. ولا حسيت بيه.

ووجدت نفسي أسرح في كلام الرجل البسيط.. فلا أعلم لماذا شعرت أنني أكلم العقاد شخصيًا برغم الهوة المهولة بينهما..

ولكنه العقاد.. حينما سئل لماذا لا تتزوج.. لماذا عشت حياتك عازبًا.. أجاب نفس الإجابة.. قال: حينما توافرت الرغبة لم تتوافر الوسيلة.. وحينما توافرت الوسيلة لم تتوافر الإرادة وحينما توفرت الإرادة فقدت الرغبة والوسيلة.. وبرناردشو الكاتب الساخر العظيم عاش الفترة الأخيرة من حياته على خطبه ومحاضراته الفكاهية في كل مكان وكسب كثيرًا.. ولكنه لو توافر له هذا في بداية حياته.. ربما ما كان أصبح ساخرًا من أساسه.. وسلفادور دالي الرسام السيريالي.. دعوه ليلقي محاضرة في نادي العراة.. وذهب ليلقي المحاضرة وقبل أن يبدأ اعتذر لخمس دقائق وذهب إلى غرفة قريبة من القاعة وخلع ملابسه بأكملها إذ إنه أصر على أن يلقي محاضرته عاريا كما ولدته أمه.. تحالفا مع أعضاء النادي العراة.. وحتى لا يشعروا بالحرج منه.. وهو الوحيد الذي يرتدي ملابسه.. وعاد إلى القاعة عاريًا تمامًا.. ولكنهم.. كانوا قد ارتدوا جميعًا ملابسهم مراعاة لمشاعره هو.. وأكمل محاضرته عاريا وحده أمامهم جميعًا.. والكاتب البريطاني (سومرست موم) عند بلوغه سن الثمانين أقيم احتفال له بهذه المناسبة وكان الاحتفال رهيبًا ومؤثرًا.. وبدأ (سومرست موم) خطابه بالتحية العادية لمستمعيه.. ثم تردد برهة قبل أن يقول: إخواني.. هناك مزايا كثيرة جدًا

تتوافر للمرء.. عندما يتقدم به السن زي حالاتي.. وتوقف (سومرست موم) عن الكلام.. ثم بلل شفتيه.. ونظر حوله طويلا ثم نظر إلى أسفل وأخذ يتمعن في المفرش الموضوع أمامه على المنضدة.. والحقيقة أن الحاضرين أصابهم قلق شديد.. وبدأوا يتساءلون هل هو مريض؟! هل يستطيع أن يكمل خطابه.. وأخيرًا.. نظر (موم) إليهم وقال: إنني أحاول أن أتذكر هذه المزايا الكثيرة..

ودوت القاعة كلها بالضحك والتصفيق الحار لسومرست موم.

ويبدو أن الدنيا مثل البنك.. يقرضك كل ما تريد من النقود.. إذا استطعت أن تثبت له أنك في غير حاجة إليها .

العشرة النوابغ

كان لها شأن عظيم في مطلع القرن العشرين، أعني الصحافة الأدبية وكأن مصر كلها كانت أدباء ومفكرين.. فالمادة التي كانت تقدمها المجلات الأدبية الشهيرة.. كالزهور- وأبوللو- والكاتب المصري وغيرها، مادة فخمة غاية في الرقي، ترجمات وموضوعات أدبية وشخصيات ومعارك رائعة حول فكرة ولم يكن المبدع هو فقط عظيمًا، المتلقي كان أعظم ويقول (جيراردين)، إنما ينشئ الجريدة مشتركوها وقارئوها، لا محرروها.

وقد اقترحت مجلة الزهور على قرائها أن يذكروا أسماء عشرة يصح تسميتهم بنوابغ مصر في أيامهم أعني سنة ١٩١٢، وها هم العشرة الأوائل أحمد شوقي بك ٣٧٠ صوتا وحافظ إبراهيم وجورجي زيدان ويعقوب صروف وسعد زغلول وولي الدين بك يكن والدكتور فارس نمر، وأحمد زكي باشا وخليل أفندي مطران والسيد علي يوسف، وتلاهم آخرون مثل

إسماعيل صبري باشا والمنفلوطي وأحمد لطفي السيد وجورج أبيض في التمثيل والشيخ سلامة حجازي في الموسيقى وسمعان صيدناوي في التجارة، وقد ذكر بعض الظرفاء على سبيل الفكاهة ممن يعدون نوابغ في نوعهم، مثل حافظ نجيب النصاب الشهير والحاتي، الكبابجي الأشهر، وحينما كنت في بيروت وجدت قصيدة رائعة كتبها شوقي بك يمتدح الحلواني الشهير (البحصلي) يشيد فيها بإبداعاته العبقرية في البسبوسة والزلابية والكنافة والجلاش، أما (الهلوتي) الفسخاني الشهير فقد صنع تاريخًا بحق ومجدًا ليس له نظير فيما يختص بالملوحة والفسيخ والرنجة، ولا شك أنه يعد نابغة هو الآخر ولكن هل إذا نحن فعلنا مثلما فعلت الزهور من تسعين سنة وطلبنا من القراء أن يعدوا لنا عشرة من النوابغ في عصرنا نحن هل سيستطيعون؟!! أشك..

فلا أحد اليوم يريد أن ينبغ في شيء.. فهذا قالولي أنه يعمل (كشري) عظمة، ولكنه في زقاق ضيق متفرع من حارة، وشددت الرحال وذهبت إليه، ليس جريًا وراء بطني بقدر ما هو بحث عن أي شيء متميز، وذهبت إليه وقلبي يدق من الفرحة، في انتظار الطبق و.. ولكن.. ليس له طعم.. لا أستطيع أن أضمه إلى موسوعة النابغين.. نحن في عصر الدعاية- فلا

تصدق كل ما تسمع، وأنا لن أقول لكم عن النوابغ السالفي الذكر فأحمد شوقي لا ينتظرني حتى أتكلم عنه ولا لطفي السيد ولا غيرهما، سأكلمكم عن النصاب المحتال الذي أشرت إليه هذا.. حافظ نجيب، يقال إنه الذي باع الترماي.. ويقال إنه احتال ونصب على عدد مهول من البسطاء بطرق عبقرية، وتراكمت عليه الأحكام ودخل السجن ولكنه بعبقرية أخرى هرب من السجن إلى الوجه البحري ودخل أحد الأديرة وادعى أنه راهب اسمه غبريال جرجس، والتف حوله الأخوة المسيحيون في حب يعترفون ويطلبون البركة، وأخيرا، احتال الراهب غبريال على رئيس الدير وأخذ مبلغ ستمائة جنيه واختفى ثم جاء إلى القاهرة وعمل درويشا، وطب عليه البوليس وهو في حلقة ذكر وحينما قبضوا عليه ادعى أنه الشيخ عبد الله إبراهيم من المنوفية، وحينما هرب إلى مصر القديمة انتحل شخصية جديدة وتزوج إحدى جاراته ورزق منها بطفلة اسمها عزيزة، ولم تعرف زوجته ولا ابنته بأن هذا الأب الحنون هو النصاب الشهير حافظ نجيب، وذات يوم قصدت مطبعة المعارف سيدة اسمها وسيلة محمد وعرضت على صاحب الدار كتابا اسمه (روح الاعتدال) ورأوه جديرًا بالنشر وتناولته الصحف والأقلام بكلمات الإطراء وقررت مدارس كثيرة تدريسه

بين مناهجها، ثم عادت وسيلة بعد فترة وجيزة بكتاب آخر اسمه (غاية الإنسان) وكان لها دوي في الوسط الثقافي لا يقل عن الأول، ثم قدمت لهم الجزء الأول من كتابها الجديد (الناشئة) ولكن السيدة وسيلة الأديبة لم يكن يبدو عليها أي ثقافة، مجرد ست بلدي منكسرة وغلبانه وعلى نياتها فكيف كان لها هذا الأسلوب الرائع وهذا الفكر؟! حينما قبض البوليس على حافظ نجيب لم تستطع وسيلة أن تقدم الجزء الثاني من (الناشئة) الذي كان يكتبه حافظ نجيب وينشره باسم زوجته وهي لا تدري شيئا هو وكل الكتب السالفة الذكر.

وقد أهدى حافظ نجيب (على لسان وسيلة) الكتاب إلى ابنته العزيزة، عزيزة ولنقرأ معًا هذا الإهداء الذي كتبه النصاب الشهير حافظ نجيب.

(ابنتي.. أنت اليوم طفلة في المهد تسرك ابتسامتي ويكفيك حنوي، والزمان متقلب والغد مجهول فقد لا أكون إلى جانبك إذ ذاك فترجعين إلى هذا الكتاب فتؤثرين العمل بما فيه من الآراء السديدة على ما يحدو إليه نزق الشباب وجنون الصبا وطيش الرعونة.. الدهر عبر والحياة سير والنفس بينهم لا تستقر فمن تتقي الأيام تأمن عبرها ومن تعرف الحياة تتحمل سيرها

والحوادث جائية ذاهبة والأعمار فانية ناضبة فالحياة لا تدوم أسعدت أم أشقت).

وأكتفي بهذا القدر للدلالة على مقدرة حافظ نجيب الفذة في الكتابة الأدبية وذكائه النادر وإذا كان هذا النصاب قد باع الترماي يومًا ما فهو حين كتب لم يبع لنا الترماي ولا العتبة الخضراء، وإنما أهدانا قطعة أدبية بديعة، يا ليت كل النصابين بهذا العمق وكم من كتاب وأصحاب أقلام باعوا لنا الترماي، وضحكوا علينا ، ماذا حدث لنا يا إخواننا يبدو أن عصرنا هذا ليس عصر النبوغ .

اقترب مني صديقي وهمس لي، عرفتلك بقى واحد بيعمل فول وطعمية، حكاية، ما تعرفش بيحط فيهم إيه.. عبقري.. أستاذ.. وقمت من مكاني فورًا وقلت له.. ياللا بينا ماذا أفعل يا ناس؟! لا زلت أبحث عن النبوغ .

أنا لا أسكت ولكنى أتكلم

يقول أديسون في دفاعه عن الصمم الذي أصيب به ولم يمنعه أن يصبح ذلك المخترع العبقري إن الصمم أهون بكثير من العمى.. بل ويرجع عبقريته هذه إلى صممه الذي وفر له حالة من الهدوء الخلاب جعلته يواصل العمل ساعات طويلة بلا عناء بل كان هو الدافع الذي جعله يخترع أشياء عجيبة كلها لها علاقة بالأذن مثل الفونوغراف والتليفون.. ولم يشعر أديسون بعقدة لافتقاده لهذه الحاسة المهمة إلا في الريف حيث افتقد أصوات العصافير وحفيف الأشجار.. أما في المدينة بضجيجها وضوضائها فكان الصمم نعمة.. ومن المعجزات العجيبة أن بيتهوفن مثلاً استطاع أن ينجز في رحلة صممه أروع السيمفونيات التي لم يسمعها هو شخصيًا.. والتي لم يستطع أن يقوم بها ذوو الأذن الحساسة المرهفة.. مما يجعل المثل الشهير (فاقد الشيء لا يعطيه) مجرد عبث وهراء ويجعلني أغير المثل قائلاً: (فاقد الشيء يبدع فيه) وحينما غنى فريد الأطرش لمحبوبته اسمع.. اسمع.. اسمع لما أقولك.. ثم يعود ويكرر اسمع.. اسمع لما أقولك في رأيي أن الحبيبة في الأغنية سمعت وأجابت

ولكن الأطرش هو الذي لم يسمع.. وهذا التوسل العاطفي للمحبوبة لكي تسمع لا يرجع إلى تقل الحبيبة .. وإنما إلى تقل في ودان الحبيبة هذا ما جعل فريد يتراجع حتى لا يحرجها ويقول (ولا أقولك مش ح أقولك ما أنت عارف يا حبيبي قصدي إيه من غير ما أقولك) على أساس يعني إذا كان بيتك من زجاج لا تلقي الناس بالحجارة.

وكما يدافع أديسون عن الصمم ويعتبره أهون بكثير من العمى تجد الصفدي يقول: (قل أن يوجد أعمى بليدًا ولا يرى أعمى إلا وهو ذكي).. والسبب في ذلك أن ذهن الأعمى وفكره يجتمع عليه ولا يعود متشبعا بما يراه ونحن نرى الإنسان إذا أراد أن يتذكر شيئا نسيه أغمض عينيه فيقع على ما شرد من ذاكرته وفي المثل (أحفظ من العميان) والعميان فيهم سخرية وفلسفة عميقة.. وابتسامة لا تفارق الفم.. ولو تخيلنا للحظة أن شاعرا فذا مثل أبي العلاء كان مبصرًا لما أذهلنا بما قال.. أما أبي العيناء الساخر الرهيب والمعاصر للجاحظ فيدافع بقوله عن ابتلائه بالعمى في بيتين من أروع ما قرأت:

إن يأخذ الله من عيني نورهما
ففي لساني وسمعي منهما نور
قلب ذكي وعقلي غير ذي خطل
وفي فمي صارم كالسيف منثور

والظاهر أن أبي العيناء عاش أغلب حياته فقيرًا لأنه سأل كثيرًا ممن اتصل بهم وشكا إليهم عوزه وحينما مرض ابنه مرضًا شديدًا ذهب إليه أبو العيناء وسأله ما أمنيتك يا بني؟.. فأجاب ابنه الساخر مثله.. نفسي اباه يتيم قبل ما أموت ورد أبو العيناء وأنا نفسي أشوف اليوم ده.

ولا يعد العمى عائقًا أمام الحب.. فكما قالها كامل الشناوي بالهمس باللمس بالآهات وجعل النظرات هي الرابعة في توصيف لحظة الحب كفاية الثلاثة الأولانيين والحقيقة أن الحواس التي نتكلم عنها هي وسائل الاتصال بين البشر.. وهي في الوقت نفسه سر عذابات الإنسان وكثيرًا ما يقول أحدنا ساخطا.. مش عاوز أشوف حد.. أو مش عاوز أسمع صوت.. أو مش عاوز أكلم حد والجمل السابقة كلها هي رغبات إنسانية في الاختلاء بالذات والتأمل والتصالح مع النفس أو على حد تعبيرك تقعد مع نفسك شوية.. وهؤلاء العظام الذين فقدوا هذه الحواس قعدوا مع نفسهم كثيرًا فأعطوا الإنسانية ما لم يعطه كل بني البشر ذوو الحواس.. وكل العيوب الخلقية التي يبتلي بها الإنسان تحتاج إلى فلسفة خاصة في التعامل معها.. وأروع الفلسفات هي السخرية فهذا الشاعر الأحول حينما أحب فتاة وكان يراقبها رجل من أهلها.. اعتبر أن حوله هو طوق

النجاة الذي أنقذه من الرقيب المتربص بهما.. في بيت من أظرف الأبيات الكوميدية وهو لأبي العيناء أيضًا.. ويبدو أنه بدأ بالحول قبل أن ينتهي إلى العمى.. يقول الأحول العاشق:

حمدت إلهي إذ بلاني بحبها
على حول يغني عن النظر الشذر
نظرت إليها والرقيب يظنني
نظرت إليه فاسترحت من الغدر

وهكذا لولا أن الرقيب اعتقد أنه يبص له هو لكانت ليلة سوداء على الحبيب الأحول وفي محاولة الساخر أبو العيناء، في نقد المجتمع المادي.. وأثر الفلوس في تغيير الذمم والضمائر تجده يعبر عما يسمعه ولا يراه بالطبع فلم يصف الثراء والقصور والعز وإنما انتقد قوة المال في فرض الكلمة ومصداقيتها.. اسمعه وهو يقول :

من كان يملك درهمين تعلمت
شفتاه أنواع الكلام فقالا
وتقدم الفصحاء فاستمعوا له
ورأيته بين الورى مختالا
لولا دراهمه التي في كيسه
لرأيته شر البرية حالا

إن الغني إذا تكلم كاذبًا
قالوا صدقت وما نطقت محالا
وإذا الفقير أصاب قالوا
لم يصب وكذبت يا هذا وقلت ضلالا
إن الدراهم في المواطن كلها
تكسو الرجال مهابة وجلالا
فهي اللسان لمن أراد فصاحة
وهي السلاح لمن أراد قتالا

والحقيقة السؤال الذي يشغلني كيف استطاع هذا الأعمى أن يرى وتمتد بصيرته وتتسع فيرى بوضوح ليس فقط ما يحدث في عصره هو وإنما ما يحدث في أيامنا نحن.

وهكذا نرى أن هؤلاء الذين فقدوا حواسًا مهمة استطاعوا أن يروا ما لم نره نحن وأن يسمعوا ما لم نسمعه فقالوا ما لم نقله وإذا كان لنا أن نتعلم منهم شيئًا.. فلنا أن نرشد استخدامنا للحواس التي أنعم بها الله علينا ولا نهدرها في الفاضي والمليان وفي التوافه من الأمور.. فإذا كنت ترى أغمض عينيك قليلاً لترى عوالم أخرى.. وإذا كنت تسمع أغلق أذنيك بعض الوقت.. وإذا كنت تتكلم اصمت قليلاً فالصمت نعمة لا يعرفها إلا من حرموا منها.. وبعد إذنكوا بقى.. عشان عاوز أقعد مع نفسي شوية.

برء الساعة

بدأها بعزف العود.. وبعد أن تسلطن.. ترك العود وانكب على الفلسفة ومنها إلى المنطق والهندسة ثم الطب حتى برع فيه واشتهر به هو أبو بكر الرازي طبيب المسلمين الأول بلا منافس ولم يكن يملك من الخمسة عين - أعني العربية والعيادة والعمارة والعروسة والعزبة- أي واحدة منهن بل إن عينه راحت من جراء أبحاثه العلمية.. وقيل عنه في المثل (كان الطب معدومًا فأحياه جالينوس وكان متفرقًا فجمعه الرازي).. وكان الرازي ينكر على الأطباء في زمانه ممن يتخذون من علمهم طريقًا لابتزاز أموال الناس بالباطل.. لم يكن عنده سماعة ولا سونار ولا أشعة.. كان يسمع دقات القلب بأذنيه ويجس الجرح بأصابعه ولم ينس فوطة ولا مقصًا في بطن مريض ولم يعلق يافطة كبيرة كتب عليها إنه زميل الكلية الملكية بادنبره. ولما وجد بعض أطباء عصره يمطون في العلاج يريدون بهذا المط والتطويل الذهاب والمجيء إلى المريض وأخذ الشيء منه.. وهو ما نسميه الآن بمتابعة المرضى.. إذا به

يؤلف كتابًا ويسميه (برء الساعة) وفيه العلل والأمراض التي تبرأ في ساعة.. ويقول الرازي إذا جالك صداع في مقدمة الرأس والجبهة فإن ذلك يكون من فضل الدم وعلاج ذلك أن يخرج شيء من الدم إما بأن تربط دماغك جامد أو بالفصد أو تشم شيئًا من الأفيون المصري الجيد- ح يودينا في داهية الرازي ده.. أربعة اتمسكوا بيتعالجوا م الصداع.. ويضيف الرازي في علاجه الفوري للصداع أن تأخذ لك قليلاً من العناب مع شيء من شوربة العدس تسف بعدها شيئًا من الكزبرة الجافة.. أما إذا كان الصداع في وسط الرأس فيجب أن تبل خرقة كتان بدهن الورد والخل وتلصقها على الموضع ثم تأكل من لب الخيار- طبعًا يقصد خيارهم هم وليس خيارنا احنا- وإذا كان الصداع في مؤخرة الرأس عند القفا.. عليك بماء الفجل وماء الشبت حتى تتقيأ كل ما في جوفك فتبرأ على الفور أما الزكام الذي هو أصعب العلل فعلاجه عندي يقول الرازي في ساعة واحدة- على المريض أن يصب على نافوخه ماءً حارًا شديد الحرارة فإذا صرخ برأ من ساعته أو أن تضع خرقة من الكتان بعد أن تحمي على النار على النافوخ وهي سخنة نار.. وادعيله. وفي محاولات الرازي في كتابه (برء الساعة) أن يشفي أصعب العلل في ساعة واحدة وجدت نفسي أسأله.. وماذا عن الأمراض المزمنة يا دكتور؟ المثل يقول وجع ساعة ولا كل ساعة.. مد الرازي يده

الخبيرة وتحسس رأسي ثم وضع يده على زوري وقال: حاسس بايه.. قلت له عندي اكتئاب يا دكتور.. قال في غيظ مرض جديد هذا لم يسمع به الرازي!! قلت له عندي بقالي خمسين سنة.. ظنني الرازي أسخر منه وقال أنت نفسك لم تصل إلى هذه السن؟! قلت له ولكنه مرض صار وراثيًا.. فيروس اسمه صهيونونزا.. وباء يقتل الأطفال ويدنس المحرمات لم أجد له علاجًا في برء الساعة.. قال لي إن رغبة المريض في الحياة ومقاومة المرض هي أول كورس في العلاج.. جردوا سيوفكم وأقلامكم.. اهتموا بالمناعة.. اتحدوا ولا تسمحوا لأحد بأن يضعف الجسد.. أجلوا خلافاتكم وصراعاتكم فالفيروس يقوي داخل الجسد الضعيف.. قلت له في حزن :

لا السيف في مصر يرضيني ولا القلم
كلاهما في يمين الحر منثلم
جردت سيفي وأقلامي وبي أمل
واليوم أغمدها يأسا وبي ألم

قام الرازي غاضبًا وقال: التهويل.. اليأس.. الإحباط.. الشعارات.. أنتم لا تتغيرون.. الصهيونونزا فيروس تافه أقل خطورة بكثير من الانفلونزا الذي عالجته في برء الساعة.. قلت له أعطني روشتة.. اكتب لي حاجة.. قال ساخرًا.. اكتب أنت.. وها أنا قد كتبت .

تلاتة .. تلاتة بس

لست أدري ما الذي حدث لي في هذه الأيام.. بقدر ما هي مسدودة نفسي عن الكتابة- بقدر ما هي نهمة ومهبولة على القراءة بصورة لم تحدث لي من قبل.. بصورة يمكن أن تخرب البيوت.. أكداس من الكتب.. أمامي وحولي وفوقي وتحتي.

والمسألة ليست مسألة كتاب شدني أو موضوع جذبني لأن أبحث فيه.. يا ريت.. كانت تهون.. الكتب المفتوحة أمامي حتى الآن يربو عددها على الثلاثين.. كلها على مصراعيها.. مثل فرخة مشوية على الفحم وتنتظر الأكال.. ولا علاقة بين هذا الكتاب وذاك.. وقد صاحب الإدمان المفاجئ للقراءة.. أن اتناول باللاوعي الخساية الكابوتشي الصغيرة المكلبظة دي والتي قشرتها لي زوجتي وأنا منغمس لشوشتي في القراءة.. ولا أعلم لماذا ذكرني منظري وأنا نازل لغ في الخس والجرجير ومنكفئ على الكتب بحلول عيد الأضحى المبارك خصوصًا حينما دخلت

عليا وقالت لي في عطف احط لك مية.. ولاحظت تغير معاملتها لي تمامًا.. بعد أن تركت ذقني.. وعشت في محراب كتبي راهبًا.. نباتيًا.. اقرأ كل شيء ولا أكل إلا الخس.. وللحق وجدت منها رقة وتفاهما أكثر من مذهل.. فهي تربت على كتفي.. تحنو عليا.. إذا قلت عاوز شاي.. في ثانية أجده يغلي أمامي.. كل شيء رائع بيننا.. سوى جملة عابرة سمعتها تقولها لأختها في التليفون.. احنا لازم يوم الجمعة نجيب شيخ يقرأ في البيت.. ربنا يشفيه..

عذرًا لا أرد على التليفون.. وهذا الاختراع اللعين.. إذا رن أيضًا شيلوه من أمامي.. أين كنت.. آه. مع اينشتين.. وشابلن.. وداروين وآخرين.. ناس لطاف.. ذوق.. ذوق.. ذوق.. كان نفسي أعرفهم بيكوا لولا علمي بأن الكلام مع دول لا يمكن يسلي القارئ.. عمومًا نبدأ بهذا العبقري اينشتين.. بتاع النسبية اللي محدش فهمها في الدنيا غير تسع أنفار يوم أن طرحها على العالم وأنا مش منهم طبعًا.. ونظرية النسبية هذه جلبت لأينشتين شهرة تقترب من التقديس.. أصبح أسطورة حية.. وبطلا شعبيا لدرجة أن شارلي شابلن في أوج عظمة هوليوود.. دعاه لحفل افتتاح فيلمه أضواء المدينة.. والناس اتلمت ع العربية إيه.. نمل.. وكله جاي يشوف عم

اينشتين، هنا التفت اينشتين إلى شابلن متسائلاً في حيرة.. هوه فيه إيه.. فأجابه شابلن بمرارة.. وغل.. مفيش .. شاور لهم ياخويا.. أنا كان إيه اللي خلاني أعزمك بس.. ويقال إنه أي العبقري الفذ صاحب النسبية بدأ النطق متأخرًا عن سنه الطبيعي وحينما تكلم.. نطق بأفكار غريبة.. ولم يكن على حد وصفه خطيبًا مفوهًا أبدا وكان يميل للعزلة بطبيعته.. كنت أقرأ وصف ملامح شخصية إينشتين وأنا في شدة الدهشة.. إذ أن عكس هذه الصفات كلها تنطبق عليا تمامًا فأنا تكلمت بدري قوي.. يمكن مفيش كام شهر كملتهم في الدنيا وكنت باناقشهم في البيت في كل كبيرة وصغيرة. وكنت أخطب في الفصل كله بكل جراءة وبلا أدنى توتر.. بل إنني أحيانًا ما كنت أحس أن الفصل كله متوتر وأنا أتكلم فأحاول أن أزيل توترهم هذا.. ولم أكن أميل للعزلة إطلاقًا.. باختصار كنت على النقيض من اينشتين.. وهذا الذي أوصلني إلى هذه الخيابة.. فلا اخترعت شيئًا.. ولا اكتشفت نظرية.. كنت أحلم بالعبقرية.. ولكنني فعلت مثل الذي اكتشف علاجًا ليس له مرض..

وإذا كان إينشتين قد اكتشف النسبية.. فإن شابلن قد اكتشف الإنسان.. بل الإنسانية كلها..

كنت في طفولتي أحبه.. وبعد أن نضجت قليلاً.. تغيرت نظرتي لهذه المشية وهذه الملابس والشارب الذي يشبه طابع البوستة.. وبدأت أحس أنني تجاوزته فكريا.. وحينما كبرت قليلاً شهقت.. كأنني أراه لأول مرة.. كان هو الذي تجاوزني هذه المرة.. معجزة هذا الرجل.. الفيلم الواحد.. يتغير في عينيك كل عشر سنوات.. إنه المايسترو.. والفيلسوف.. والمفكر.. سيظل لقرون طويلة هو رمز الفن في الدنيا كلها.. وحينما عملوا مسابقة.. لأكثر شخص يشبه شابلن.. ذهب شابلن نفسه إلى المسابقة بدون أن يخبر أحدًا.. وتقدم كأحد المتسابقين وحصل على المركز الثاني.. هل كان شابلن شكلاً.. إطارًا خارجيًا؟! إطلاقا كان مضمونًا.. وعقلاً.. وفكرًا جبارًا ولهذا سيعيش شابلن.. لقد وجدوا في المسابقة شخصا يشبه شابلن أكثر من شابلن نفسه.. ولكن الفنان الذي بداخله حالة في التفرد والندرة والخصوصية غير متكررة وليس لها أي شبيه .

وشيء آخر قرأته بخصوص تعداد السكان.. منسوب إلى عالم اسمه تشارلز داروين.. وهو حفيد داروين الكبير بتاع النشوء والارتقاء والتطور.

وقد لاحظ هذا الداروين.. الحفيد.. أن تعداد السكان في العالم يتضاعف كل قرن من الزمان.. وبعملية حسابية معقدة

للغاية على نص القرن اللي جاي سيصبح متر الأرض من اليابسة.. ما بنتكلمش في زراعة ولا مباني.. بالشيء الفلاني.. وبعد عشرة قرون لن يستطيع الإنسان الحياة إلا واقفًا.. وإنه إذا أحب أن يمدد رجله أو يتثاءب أو يتمطع.. لابد وأن يستأذن من الواقف بجواره.. واقترح أن تكون العمائر رأسية.. يعني العمارة مساحتها ٢ متر في ٣ متر.. بحجم غرفة واحدة.. والشقة حجراتها تكون فوق بعضها.. المطبخ في الدور الرابع والحمام في الخامس وأوضة النوم في السابع وننشر هدومنا رأسيًا.. فانلة وفوقيها قميص.. وفوقيها بنطلون.. وهكذا.. والحقيقة أن عيلة داروين دي عاملالي قلق في دماغي.. الراجل الكبير- الجد- طلع بحكاية الإنسان أصله قرد.. وشككنا في بعضينا والموز ولع في السوق.. وآدي الحفيد طالع بحكاية إنفجار السكان والحياة ع الواقف.. عشان الأراضي تولع أكثر ما هي مولعة.. أينشتين.. وشابلن.. وداروين.. ثلاثة عقول فذة.. وقعت بإمضائها على الحضارة الإنسانية وتركت بصمتها على التاريخ.. باختراعات وابتكارات.. واكتشافات.. وأنا.. تصوروا أنا اكتشفت ايه !!

اكتشفت أني على لحم بطني م الصبح.. مفيش حاجة نأكلها يا مدام.

اكتب اسمك يا أخى

في كتاب الأستاذ رجاء النقاش (نجيب محفوظ صفحات من مذكراته وأضواء جديدة على أدبه وحياته) مئات القنابل الأدبية والفنية بل إن هذا الكتاب العجيب لا تمر منه صفحة إلا وتتوقف عندها قائلاً لنفسك يااااه.. وبين كل هذه الياهات التي قلتها لنفسي نقطة استوقفتني كثيرًا حينما نصح الكاتب الكبير كامل الكيلاني الأستاذ نجيب محفوظ بضرورة ألا يعرف أحد أنه أديب وأن يعمل في صمت وإذا سأله أحد عما إذا كان هو الأديب الذي تنشر له الصحف قصصًا فينبغي أن ينفي ذلك فلقد شرب كامل الكيلاني (السم) لأنه أديب ولم يسلم من التعليقات الحادة ومن الحقد والسخرية منه لأنه كاتب أطفال.

وأدب الأطفال في بلادنا بالذات مظلوم ظلم بين برغم أنه القاعدة الأساسية التي تنشأ عليها الأجيال الجديدة ولا تزال حركة النقد الأدبي تتعامل مع أدب الأطفال على أنه لعب عيال وأنا شخصيًا كتبت مسرحيات كوميدية للكبار وعوملت أحسن

معاملة فيما يختص بالأجر والاسم وحين كتبت مسرحية للأطفال لم يعبأ بها أحد وبتعبير أكثر دقة.. أخذوني على قد عقلي..

وفي طفولتي المبكرة كان عم حمام بائع الجرائد هو الذي أنتظره بشوق ولهفة صباح كل خميس من كل أسبوع لكي يأتي لي بمجلة ميكي وبالألغاز.. وكان عم حمام رجلاً مسنا ولكنه موفور الصحة- يتنقل بسرعة من مكان إلى مكان والجرائد والمجلات تحت إبطه وكأنه لا يمشي وإنما يطير وكان عم حمام يدرك أهمية دوره الثقافي بالنسبة لي .. وفي الأيام التي كان يتعذر فيها أن أدفع ثمن المجلة أو اللغز.. كان يتركه لي ويمر بعد ساعتين ليأخذه بعد أن يوصيني ألا تطبع أصابعي على صفحات الكتاب.

وارتبطت بالألغاز وكان أولها لغز الكوخ المحترق للمغامرين الخمسة الذين صاروا كأنهم أفراد من أسرتي يعيشون معي- تختخ ومحب وعاطف ولوزه ونوسه وهم أولاد في مثل سني تقريبًا كما وصفهم المؤلف وظلوا بالنسبة لي هكذا حتى بعد أن كبرت وصرت شابًا ورجلاً لا يزالوا كما هم في مثل سني تقريبًا.. يتنكرون ويتغلبون على أعتى العصابات بذكاء نادر وهم يسكنون في المعادي تلك الضاحية الجميلة التي كلما ذهبت

إليها - حتى هذه اللحظة- تلفتت حولي ربما لمحت واحدًا منهم.. وارتبطت باللغز ارتباطًا كبيرًا بالغلاف الذي عليه عدسة وبصمة أصبع ولكن.. أين اسم المؤلف؟ ليس على الغلاف وإنما مكتوب على استحياء في أول صفحة تأليف محمود سالم.. وكبرت ورأيت أسماء المؤلفين كلها توضع على الغلاف بحجم يصل إلى حجم اسم الكتاب نفسه وأحيانًا أكبر إلا في ألغاز الأستاذ محمود سالم.. وصار هذا في حد ذاته لغزًا. ومن فرط إعجابي بالألغاز كتبت في بداياتي ألغازًا ساذجة على قدي متأثرًا إلى حد كبير بكتابات الأستاذ محمود ولم أكتب اسمي على الغلاف أنا أيضًا.. وكأن الألغاز لا يجب أن يوضع عليها اسم المؤلف برغم أن القاعدة في الروايات البوليسية في الدنيا كلها أن يوضع اسم المؤلف فقط مثل الفريد هتشيكوك وأجاثا كريستي.. ثم وجدت محاولات تقلد الأستاذ محمود بمغامرين آخرين غير الذين تعودت عليهم ولكنها أقل بكثير إلى أن لفتت نظري ألغاز جديدة اسمها الشياطين ١٣ .. وهي محاولة عربية وطنية في غاية الروعة لمجموعة من الشباب من كل الأقطار العربية يشتركون معًا في حل أصعب القضايا.. وكنت أسأل نفسي لو كان الشياطين هؤلاء يلتفتون للقضية الفلسطينية حيحلوها حقًا ولأعادوا الأرض المحتلة.. ولكن مرة ثانية أين اسم المؤلف

العبقري.. لا يزال هناك بالداخل ليس على الغلاف.. إنه الأستاذ محمود سالم أيضاً.. الذي لولاه ما كنت أحببت القراءة ولا عشقت الكتاب ذلك المؤلف الذي يصر على ألا يضع اسمه على الغلاف ولا صورته ولا تاريخ حياته كما يحلو لكثير من المؤلفين أن يفعلوا.. إنه يذكرني بالرجل الغامض رقم صفر الذي يحرك الأحداث من بعيد ولا يظهر أبدًا مثل إحدى شخصياته في الشياطين ١٣.

وأخيرًا..

إن استعمار المؤلفين الكبار للحياة الثقافية والأدبية وأعني هنا المؤلفين الذين يكتبون للكبار هو مظهر من مظاهر التخلف والظلم الفادح فلولا محمود سالم ما كنت قرأت للعقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم ويوسف إدريس.. ولكننا ننسى.. أو لا نعطي الرموز قدرها فنجعل كامل كيلاني يخفي أنه كامل كيلاني ومحمود سالم لا يأخذ حقه وما يستحقه من التكريم والشهرة.. أستاذي الفاضل محمود سالم.. اكتب اسمك يا أخي.. فقد مضى عهد الاستعمار .

قلم إحسان عبد القدوس

لا يزال فى جيبى !

أتساءل.. هل.. هي صارت سبة أو وصمة يتبرأ منها الكثيرون؟ كان صاحبنا يقولها لي باستنكار شديد مدافعًا عن نفسه.. إيه يابا.. أنت فاكرني تلميذ؟.. أنا مش تلميذ.. أتوقف عند الجملة.. أشرد وأراجع على الفور المعاني والانطباعات التي ترد إلى رأسي حينما أتأمل الكلمة.. تلميذ يعني إيه تلميذ؟! إنها كلمة توحي بالاجتهاد.. والبداية.. والمعرفة والاحترام.. كما تعني أيضًا أن هناك أستاذًا.. يا عيني.. أجلس بين يديه أو عند قدميه حتى.. وأهتف بخشوع قول يا أستاذ.. إن كلمة تلميذ تعني أن أجهزة السمع والاستقبال عندي

تعمل بكامل كفاءتها.. قول يا أستاذ.. فأنا لا شيء قبل أن تقول.. ولن أصبح شيئًا إذا لم تقل.. إنها متعتي الكبرى أن أمشي خلف الأساتذة الكبار.. وكم مشيت.. وكم أصغيت.. لا أكتفي بالمحاضرة التي كان يلقيها الأستاذ.. كنت أخرج وراءه ألاحقه بالأسئلة فإذا ذهب إلى مكتبه بالكلية.. أنا معاه.. وإذا طلع ليأخذ سيارته أنا بجوار السيارة.. وقبل أن يدير المحرك أسأله فجأة.. هل شكسبير سرق أفكار رواياته يا دكتور؟ يبتسم.. إن سؤالا كهذا لا يمكن الرد عليه ببساطة.. أركب بجواره.. أعلم أن الطريق إلى بيته بعيدا جدا عن بيتي أنا في المهندسين وهو في آخر مصر الجديدة.. ولكنه في الطريق سيتكلم إنها الفرصة قول يا أستاذ.. تتحول السيارة في الطريق إلى صالون أدبي متحرك.. وأخيرًا يصل الأستاذ إلى بيته.. أسلم عليه في خشوع و.. اكتشف أنني في آخر الدنيا ح أرجع إزاي.. ليس مهمًا.. اطلبوا العلم ولو في آخر مصر الجديدة.. أتشعلق في أي أتوبيس وأشبط في أي ميكروباص محتفظا بثبات رأسي لا أريد أن تفلت منه كلمة مما قاله الأستاذ وكان أستاذي هو الدكتور رمسيس عوض العظيم أحد قمم الفكر والأدب في مصر ولكنه قمة خجول متوارية.. رأسه كلها أدب فلم تتسع لأن تحتوي مدير دعاية يروج لها.. فاختار أن يصبح راهبًا وكان يستطيع أن يكون قائدًا.. دخلت عليه مكتبه في الكلية وكان يهم بإرسال

آخر مؤلفاته للكاتب الكبير إحسان عبد القدوس.. قال لفراش الكلية.. يا قرني.. تروح توصل الكتاب ده للأستاذ إحسان في الأهرام.. واخترقت أذني الجملة.. قرني يذهب إلى إحسان ما هذا الظلم.. أنا أحق من قرني بهذا الشرف وشعرت أن قرني هو المنافس الأول لي في هذه المعركة الأدبية.. لا يا قرني لن أدعك تنالها.. وصرخت.. أنا أوديه يا دكتور.. أنا أوديه.. قال الدكتور رمسيس.. ولكن يا بني.. أنا لا أريد أن أتعبك قلت له في لهفة..اتعبني أرجوك اتعبني.. وأمام إلحاحي كتب اهداءه لإحسان على الكتاب ووضعه في مظروف.. قال.. طيب خذ.. تلقفت منه الكتاب بسعادة.. وجريت من أمامه قبل أن يرجع في كلامه ولم أنس أن أنظر إلى قرني نظرة الشماتة والانتصار.. استوقفوني عند مبنى الأهرام ولكن الكتاب كان بمثابة تصريح دخول.. لا لم أركب الأسانسير.. أخذت السلالم ركضًا.. كنت أشعر أن الأسانسير سيعطل مجيء اللحظة التاريخية على السلالم كنت لا أصدق أنني سألتقي بهذا العبقري الذي لا ينيمني الليل كان هو نجمي المفضل ولكن هل سأستطيع أن ألاحقه بأسئلتي كما ألاحق الدكتور رمسيس.. أعرف شكله جيدًا .. ولكن هل هو في الحقيقة بهذا الجمال؟ هل حديثه مثل كتاباته؟؟ هل.. وهل.. الأسئلة تتلاحق.. ووصلت إلى مكتبه قبل الأسانسير.

أخيرًا.. ها هو مكتبه السكرتيرة قالت لي سيب الكتاب وأنا ح أديهوله وهل هذا يعقل يا مدام هذا ينفع مع قرني الذي قهرته وانتصرت عليه إنما معي أنا أنسي قلت لها كاذبًا.. الدكتور رمسيس قاللي أنني يجب أن أسلمه له يدا بيد لأنني سآخذ منه شيئًا أوصله للدكتور رمسيس هكذا لا مانع أن أبدأ حياتي الأدبية بكذبة.. بعد ساعة ونصف انتظار سمعتها تقول.. تفضل.. يا خرابي.. أجمل كلمة سمعتها من امرأة في حياتي وتفضلت طبعًا نتوقف هنا قليلاً لأصف لكم شعوري حينما وقعت عيناى على إحسان عبد القدوس فلا مجال طبعًا لوصف شعوره هو فأنا بالنسبة له لا شيء سوى مجرد طالب في الجامعة يحمل كتابًا.. أما أنا فتأملته بشعره الفضي وابتسامته التي هي تكشيرة أيضًا في الوقت نفسه كل شيء فيه أنيق.. أنفه أنيق.. حاجباه.. أذناه شفتاه وتسمرت في مكاني.. أصابني شلل مؤقت.. قاللي.. اقعد.. كنت أريد منه توجيهًا لكل حركاتي.. أقعد قعدت.. تشرب إيه قلت بسرعة شاي لماذا شاي لأنه سيأتي ساخنا وسيأخذ وقتًا في الشرب.. الليمون بارد ينتهي بسرعة.. أما الشاي فهو طوق نجاتي على الأقل سينتظرني حتى أكمله وفي هذا الوقت بالتأكيد سيحدث حوار وسيقول الأستاذ وهذا ما أتمناه قول يا أستاذ ولكن الأستاذ لم يقل شيئًا فقط أخذ الكتاب وتصفحه.. وأنا سبعتلاف سؤال في رأسي لا أعرف بأيهم أبدأ

ولكن فجأة جاء الشاي يا ساتر يا رب على طول كده وعلى رأي المعلق الرياضي الوقت الأصلي خلص وبنلعب في الوقت الضايع.. أخذت ربع رشفة من الكوب.. وإذا به يقطع أسئلتي وصمتي وشللي وشايي ويقول أنت شاعر؟! صدمت.. تعجبت ثم أجبت في خجل.. باحاول.. قال لي: الدكتور رمسيس كاتب لي على الإهداء أنك شاعر ستفخر به مصر وأسقط في يدي وارتبكت أكثر.. فعلها الدكتور رمسيس كتب بنفسه بداية المشهد المثير.. أضاف الأستاذ إحسان .. سمعني حاجة قلت لنفسي غير مصدق لما يحدث.. ما هذا.. شاي وشعر مرة واحدة؟! وأخذت ربع رشفة أخرى من الشاي حتى يتحرك لساني قليلا.. وبدأت ألقي القصيدة.. لن أحكي لكم عن ضربات القلب وارتفاع الضغط وبوادر السكر العصبي فأنت تلقي قصيدة لإحسان عبد القدوس.. نسيت بيتا أو بيتين ربما أربعة كأعراض طبيعية لزهايمر مبكر.. المهم هنا ليس في إلقائي للقصيدة المهم في رد فعله هو.. نكبة!! لا ابتسامة ولا استحسان ولا أي تعاطف ولا أي مشاركة وكأنني ألقي القصيدة أمام صورته التي تنشر في الأهرام بل إن الصورة أحن كان ينظر لي بملامح جامدة لا تعبر عن شيء أحسست أني أتصبب عرقًا وأني أريد أن أنهي هذه الموقعة الفاشلة بأسرع ما يكون وأنهيت القصيدة وسكتُ ويا للكارثة هو أيضًا سكت.. لحظة صمت بشعة.. ياريته قالي

وحشة.. ياريت قالي اطلع بره.. وبهدوء شديد أمسك سماعة التليفون وقال اديني القسم الأدبي.. غريبة؟! لم يطلب قسم البوليس أو الأمن وخيل لي أنني سمعته يقول فيه ولد شاعر هايل.. اسمه.. اسمك ايه ؟ ولهول المفاجأة والصدمة نظرت ورائي ثم عدت وقلت له: اسمي.. اسمي أنا ؟ أيوه اسمي يوسف ايه؟ أيوه معاطي قال بهدوء لمن يكلمه على السماعة الولد قالي قصيدة بديعة عن مصر تنشروهاله.. ووضع السماعة وقال لي تكتبها وتنزل توديها للقسم الأدبي معاك قلم؟! قلت له وأنا أكاد أسقط من طولي من الفرحة والدهشة.. لا ليس معي قلم.. لكنه قال بسرعة في استنكار ودود شاعر ومعاكش قلم؟! افرض جالك خاطر في أي مكان ح تعمل أيه؟! ثم مد لي قلمه وقال: امسك القلم ده تكتب القصيدة وتوديها وترجعه تاني قلت له حاضر.. حاضر يا أستاذ ومشيت خطوتين ثم ثم توقفت وعدت قال إيه تاني قلت له.. اسمح لي ولكنك.. قصدي يعني.. لم يكن ظاهرًا على وجهك أي إعجاب بالقصيدة.. أنا مت من الرعب أنا ريقي نشف ابتسم أروع ابتسامة رأيتها في حياتي وقال لي.. أنا يا يوسف كالجواهرجي إذا رأيت قطعة ألماظ أو خاتمًا من الماس.. لا أندهش ولا أتعجب أستطيع فقط أن أحدد قيمتها فهمت ؟! أومأت برأسي وأنا مذعور.. وجريت خارجًا ولبست في الباب بكامل جسمي واعتذرت وخرجت.. أين

أكتبها.. المكاتب مشغولة ولا أستطيع أن أتطفل على أحد صحيح أن معي قلم إحسان عبد القدوس.. لكن لا أحد يعلم ذلك بعد.. جلست على السلالم الباردة النظيفة في مبنى الأهرام أكتب القصيدة.. الأحذية طالعة ونازلة بجواري تدب كأنها تضبط رتم أو إيقاع القصيدة وكتبتها.. وسلمتها إلى القسم الأدبي.. وعدت جاريًا كان يومي كله جريا وصدمات وفرحة وإحباط ثم سعادة مذهلة عدت إليه إلى الكاتب الكبير لأعيد له القلم.. تقدمت منه وأنا ألهث لم توقفني السكرتيرة ما هو أنا خلاص أصبحت م البيت.. ومددت يدي بالقلم ولم أجد أي عبارة تناسب الموقف ماذا أقول له أشكرك.. ما أشكرك هذه؟! لن أنسى جميلك؟! كلام عادي تقليدي هو لا يقوله ولا يكتبه.. ضحك من طفولتي وارتباكي وقال إيه ده قلت له.. القلم.. قال في حنان رائع.. خده ده علشانك اوعى تمشي من غير قلم وخرجت من مكتبه وأنا شخص آخر.. وظل قلمه على حد تعبيره في جيبي وكتبت بعد ذلك مسرحيات وأفلامًا ومقالات كثيرة كثيرة.. وظل قلمه حتى بعد أن فرغ من الحبر.. ممتلئا جدًا ولكن بالمعنى.

إنها متعة كبرى متعة التلمذة والشعور بأنك زلطة صغيرة تنظر إلى قمة جبل.. ولذا حينما قالها لي صاحبنا باستنكار.. أنت فاكرني تلميذ؟! قلت له بمرارة.. يا ريت يا أخي .

إبراهيم عبد المجيد

أعتذر مقدمًا.. أنا مقصر.. أعترف بأنني حينما قابلته لأول مرة في لقاء تليفزيوني لم أكن أعرفه ربما كنت أعرف اسمه فقط وليس كافيًا بالمرة أن تعرف أسماء العباقرة وحينما أهداني روايته التحفة (لا أحد ينام في الإسكندرية) لم أكن قد قرأتها (بس اتصرفنا) على طريقة عادل إمام تكلمنا في الأدب بصفة عامة.. وصورنا الحلقة والليلة عدت.. وخلاص.. في البيت وضعت روايته المهداة في المكتبة في الدور في دورها في الطابور فأمامي عدد لا بأس به من الكتب.. أستعين بها كمضادات حيوية لأواجه فيروسات الجرائد الصفراء والكتب التافهة الرخيصة.. إن رواية لنجيب محفوظ أو مسرحية لتوفيق الحكيم أو كتابًا للعقاد.. مرة كل ٨ ساعات هذا يكفي جدًا للقضاء على التفاهة والسطحية والتخلف.. وظلت رواية صاحبنا في دورها في مكانها قابعة في أدب تنتظر في استسلام لحظة القطف إلى أن حانت ووجدت يدي تلتقطها أخيرًا من

على الرف فشعرت أنها امرأة جميلة أوقظها من نومها العميق فتتمطع في لوم وعتاب رائع.. وتأملت الغلاف.. والعنوان (لا أحد ينام في الإسكندرية) إبراهيم عبد المجيد.. قلت لنفسي وما الجديد في ذلك يا إبراهيم.. لا أحد ينام في الإسكندرية؟! ما أنا لسه جاي من هناك فعلاً.. قلنا الجملة دي ميت مرة.. الناس سهرانة على الكورنيش وع القهاوي لحد الصبح.. محدش بينام في البلد دي.. ولكن ما سبب أرقك أنت يا إبراهيم.. ما الذي لا ينيم إسكندريتك أنت؟

وفتحت الرواية و.. انسوني بعد كده.. ماذا فعل بي إبراهيم عبد المجيد؟ هل حدث لك أن نمت على مرتبة من ريش النعام موضوعة على بحيرة من الزئبق طبعًا لأ.. أنا حصل لي.. هل هبطت على سطح القمر فوجدت نفسك معدوم الجاذبية فتطير ولا تطير كالبالون يسبح في الفضاء.. أنا شعرت بذلك.. هل فقدت السمع والتركيز والشعور بمن حولك لدرجة أن تنادي عليك زوجتك تسع مرات وهي تصرخ أعمل لك شاي معايا.. ولم ترد أنا فعلتها.. وأنا أقرأ قصة الإسكندرية التي لا تنام هذه. القصة ببساطة هي قصة (مجد الدين) الرجل الريفي الطيب حامل القرآن ذلك الذي أعفاه من الجهادية.. مجد الدين المسالم الذي يفر من القرية هو وزوجته حينما عاد العمدة لينبش من جديد في الثأر القديم.. ويهرب بالفعل الشيخ مجد من نار الثأر بالقرية إلى جحيم الإسكندرية.. في

فترة الحرب العالمية الثانية.. وهناك في الإسكندرية تطلع لنا عفاريت وشياطين إبراهيم عبد المجيد.. هذا الكتاب الفذ الذي استطاع أن يجعلك ترى وتسمع وتعيش أكثر مما تقرأ وتتابع.. القنابل التي في روايته حقيقية والغارات والجثث لها رائحة.. إنها حالة.. حالة مرعبة من الفن والأدب والتاريخ.. إنه يستحضر أرواح شخوص هذه الأيام ويقرأ جرائد هذه الأيام.. إنه يعود بخياله إلى هذه الأيام فيضيع هناك.. يتلاشى مع الشخصيات.. والعجيب أن كل الروايات التي نستطيع أن نسميها تاريخية.. تعتمد على أحداث حقيقية تميل في الغالب إلى الإسقاط.. واللعب على المفارقة بين الحاضر والماضي.. إلا هذه.. إنها قطعة فنية فريدة متشامخة لا يعنيها الزمان ولا المكان.. وضعت القصة جانبًا مقلوبة على الصفحة التي وصلت إليها.. وسرحت.. هل أنا قابلت هذا الرجل.. كاتب هذه السطور.. وماذا قلت له.. أهلا بيك.. ما رأيك في الحياة الأدبية في مصر.. ماذا تود أن تحقق.. وأي من الروايات تميل لها أكثر.. ما هذه السطحية والتفاهة وشعرت أنني أتصبب عرقًا من الكسوف.

إن شخصية (البهي) أخو عبد المجيد وحدها كافية لتضع هذا الرجل على رأس قائمة المبدعين في الرواية.. ونروح بعيد ليه.. من هو البهي؟!

يقول عنه الكاتب (لقد كره البهي كل محاولة لأن يتعلم حرفًا في الكتاب أو الزاوية أو البيت ولم يكره شيئًا مثل كرهه

للفلاحة والفلاحين.. قالوا ذلك لوسامته.. وقالوا لهيبة في قلبه وقال الأب دائمًا والحسرة في عينيه (هكذا هو خلقه) اختارت له الأم اسم (البهي) لأنها ولدته في ليلة السابع والعشرين من رمضان لقد رأت وهو ينزلق منها طاقة نور تخرج معه تضيء الحجرة وتمشي على الجدران وبكت القابلة (الداية) وهي تلفه في القماط وتقول لأمه أن تخفيه عن العيون فهو فضلاً عن طاقة النور التي خرجت معه.. ولد مختونًا.. إنه ولدطاهرًا من البداية منذورًا لخير عميم.. وانتقل خبره إلى القرى المجاورة فصارت النساء والفتيات يأتين ليجلسن على الترعة التي تفصل البلد عن الحقول ينتظرن مروره تفزع إليه صاحبات الحاجة.. تلمسه.. تفزع منه الفتيات الصغيرات.

لا.. لا يمكن أن تحكي القصة.. ولا يمكن أن تصفها وصعب أن تقرأها فقط.. بالأمر يجب أن تعيشها (لا أحد ينام في الإسكندرية) رواية بديعة.. جاءت في وقت (لا أحد ينام في مارينا). لأن القطط الأربع الفوركاتس مصهللين ورايقين ويملأن مارينا كلها صخبًا وهيصة ولأنهن يتصدرن أغلفة الجرائد والمجلات.. أختلف معك يا عزيزي الرائع.. لا أحد ينام؟! بالعكس.. نحن نائمون.. ومشخرون وفي سبات عميق ولا نشعر بأي شيء.. وأنا نائم أيضًا مثلهم لا أنفي عن نفسي التهمة.. فقط.. روايتك هي التي أيقظتني.. سامحك الله يا أخي.

افتح يا سم سم !!

١ - لا نلتقي.. وليس بيننا تليفونات.. ولكنني أرتجف من سطوره من فرط الضحك والرعب.. فهو ساخر ولكنه جلاد في يده سوط له مائة ذراع إذا خدتلك واحدة على ضهرك.. يا حفيظ.. الشيء الغريب أن هذا الساخر الرهيب.. لا أعلم لماذا كلما وجدني في طريق سطوره.. وضع كرباجه جانبًا وبيد حانية ممتلئة بالحنان.. يطبطب عليا.. هذا.. هو حسام حازم..

٢ - من على فراش المرض.. يكتب.. من غرفة الإنعاش يكتب.. يرتفع السكر.. ينخفض الضغط.. إن سخريته أقوى من نفسه ومننا.. ومن الحياة نفسها ولذا كثيرًا ما ينتابني شعور أننا جميعًا في الإنعاش.. وأنه الفايق الوحيد.

٣ - ما هذا الرغي الذي أكتبه.. ما كل هذا الدش.. مالي أبحث وألف وأدور حول المعنى كأنه عيلة تايهة يا ولاد الحلال..

برغم أن هذه العيلة التائهة نفسها.. تذهب إليه من تلقاء نفسها وببساطة شديدة.. لتتحول في يديه إلى قنبلة ..

٤ - المجلات كالسيدات لها طلة.. وكل امرأة لها منطقة بريق.. فهذه تستوقفك عيناها.. يا نهار أسود.. إيه ده.. وهذه شفتاها.. ارحمني.. وهذه نهداها.. يا عيني.. أما معشوقتي الكواكب هانم.. أول ما يشدك لها بحق.. أن تنظر لها من الخلف.. لتقرأ آخر كلام حسام.

٥ - الشوارع كالناس بينها الغبي الثقيل الظل.. وبينها الذكي خفيف الروح.. الطريق الصحراوي مثلاً.. أنيق.. رشيق.. ذكي.. لكن ذكاءه يخونه أحيانا.. فيفقد أناقته ورشاقته وخفته.. ويتحول إلى صورة جامدة لا تتغير من الرمل والأسفلت.. ويكرر نفسه.. وحينما تأملت حسام حازم وجدت أنه لا يصلح ليكون شارعا إنه .. مدينة .

٦ - المرة الوحيدة التي التقيت به فيها.. أوصلته إلى باب بيته.. عزم عليا أن أطلع معه.. اعتذرت بأدب.. قال لي.. نلتقي في المكتب لماذا لا تأتي.. اعتذرت مرة ثانية.. أنا لا أريد أن أقابله في بيته.. أو في مكتبه.. أنا أريد أن أقابله هنا في (صفحته) الصفحة الأخيرة.

٧ - قارئة أرسلت لي خطابا تسألني عنه.. لماذا لم يعد يكتب للمسرح ده دمه شربات.. لم أستطع الرد.. ولكنني أعتقد

أنه لا يزال يكتب للمسرح.. ولكنه مسرح من نوع خاص.. هو بطله ومؤلفه ومخرجه.. والضحك للركب كما يقولون في الإعلانات ومسرحه لا يغلق تسعة أشهر في السنة.

٨ - كل محاولات تقليده فاشلة.. لأنه هو نفسه لا يقلد نفسه.

٩ - ألعب معه لعبة لا يعرفها.. أقرأ أول الفقرة والقط اسم صاحبها.. وأغمض عيني.. وأحاول أن أتوقع النكتة.. (الإفيه) أضع ثلاثة احتمالات ثم أفتح عيني وأقرأ.. الاحتمال الرابع طبعًا.

١٠ - يقولون إنه أحيانا يشط.. يكتب بجرأة.. بجنون.. لا يراعي أي شيء.. وماله.. الفن مثل الأسد.. ينبغي ألا تحبسه في أقفاص من المذاهب والنظريات والتوجيهات بل يجب أن نتركه في غابته ينطلق على طبيعته لنشعر به.. نشعر بخطره وقوته وقدرته على أن يثير فينا الدهشة والنشوة والاستعداد لمقاومة الأخطاء والأخطار.

١١ - إذا حبسنا الفن ومنعناه من انطلاقه فإنه سيصبح موعظة ربما كانت حسنة.. ولكن قلتها أحسن .

١٢ - تولى رئاسة تحرير إحدى المجلات.. رفع سماعة التليفون وطلبني.. يوسف ترجع تكتب تاني في المجلة.. وكنت قد توقفت عن الكتابة فيها.. قلت له أسباب ابتعادي.. وقال لي

حيثيات رجوعي.. وتبادلنا حديثا تليفونيا منطقيا للغاية.. أفحمني فيه بحق.. وعدت لأكتب.. وهو.. استقال في اليوم التالي ..

١٣ - قوية.. براقة .. ساخنة.. مشتعلة تلك العبارات التي يكتبها من بنات أفكاره.. يخيل لي أحيانا.. أن قلمه يتعاطى الفياجرا..

١٤ - كلاهما كاتب أصدر عشرات الكتب.. صاحبنا يتحداك بأسلوبه أن تقرأه والآخر يتحداك بأسلوبه ألا تقرأه.

١٥ - المتحف.. هو المكان الطبيعي للذين لا يطورون أنفسهم في فن الضحك بالذات الغريب أنه هو بالذات سيظل دائماً في السوبر ماركت فريش.. ولا يوجد تاريخ انتهاء الصلاحية..

١٦ - أقول لك أجمل وأغرب ما فيك ؟

إن ٩٠ في المائة ممن بهدلتهم بلسعاتك الحراقة يحبونك جدا والعشرة في المائة الباقون يحبونك جدا.. جدا..

١٧ - اسمح لي وأنا لأول مرة اكتب عنك.. أن أقلدك.. فالفورم الذي صنعته في الكتابة كان يتطلب مني أن أرتدي يونيفورم.

سؤال للدكتور سمير سرحان

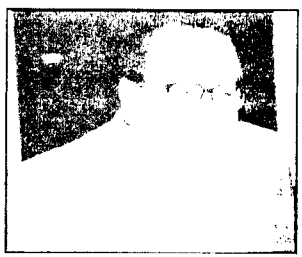

من شارع إلى زقاق ومن زقاق إلى عطفة.. والدنيا ضلمة.. كحل.. إلى أين أنا سائر؟! لا أعرف.. ما الذي أتى بي إلى هنا؟!.. لا أدري.. رجل عجوز يجلس أمام باب بيت قديم متداعٍ ينظر في ساعته ويقول.. أهلا اتأخرت ليه؟! ثم يأخذني من يدي وأنا مسحور.. ويدخلني إلى بدروم متسع.. ياااه.. ما كل هذا؟! آلاف الكتب القديمة.. متناثرة أمامي.. الأغاني للأصفهاني كاملة الأجزاء.. وبدائع الزهور لابن إياس!! والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي وما هذا أيضا.. لا.. لا.. أصدق عيني.. نهاية الأرب!! يبتسم الرجل العجوز في طيبة ووداعة ويقول شيل اللي أنت عاوزه.. قلت لنفسي.. يا لطيف اللطف يارب.. أشيل إيه ولا إيه!! أنا لست قنوعا مثل علي بابا..

أنا قاسم الطماع الذي أراد أن يحمل المغارة كلها.. لا.. بل أنا الأربعين حرامي مجتمعين.. قلت له في طفاسة: أنا عاوزهم كلهم يا حاج.. كلهم.. قال لي شيل وبدأت أشيل.. ولكن كيف!! أنا عاوز عربية نقل تشيلهم.. ولكن من أين لي بعربية نقل في هذه الحتة المقطوعة!! سأحمل ما أقدر عليه وأخذت أشيل وأحمل فوق رأسي وعلى كتفي وقبل أن أخرج.. أنظر.. فأجدني لم أظفر بنهاية الأرب للنويري.. كيف يفوتني يا ناس معقولة أمشي وأسيبه؟!! أحاول أن أضعه فوق البلاوي اللي أنا شايلها فيسقط كل ما أحمله من الكتب على الأرض، وأعود- منهكًا- لأحملها مرة أخرى وأنا في غاية التعب والإرهاق.. فتسقط فوق رأسي مئات الكتب التي كانت على الرف.. وأسقط على الأرض وأصرخ.. آه تستيقظ زوجتي على صوت صراخي.. مالك فيه أيه.. اللهم اجعله خير.. تجري لتحضر لي كوب ماء.. إذن كنت أحلم.. قالت وهي تناولني كوب الماء.. خير .. حكيت لها الحلم فقالت في غيظ طيب ابأه اتغطى كويس.. نام .. الجعان يحلم بنهاية الأرب.. ولكن من أين يأتي النوم؟ خرجت إلى مكتبتي وأخذت أتأملها.. كلما زادت وامتلأت أحسست بنقصانها.. أخرجت بعض الكتب ورتبتها ثم أعدتها إلى مكانها على الرف.. على فكرة.. هذه الحالة ليست ترتيبًا للمكتبة.. إنه بعيد عنكوا مرض.. مثل اليهودي البخيل حينما يعد نقوده وهو يعرف عددها جيدًا.. إنما متعة هيستيرية.. إدمان وباء في أسرتي كلها

فكان أبي لا يهديني ولا يفاجئني إلا بكتب.. لم يفعلها يومًا ويهديني عجلة أو قطارًا أو دبدوبًا.. وكان أخي عادل يأتي إلى المنزل وعلى وجهه انفعال غريب وحالة من الدهشة المصحوبة بالفرحة العارمة.. ويهمس لي في أذني.. عارف جبت إيه.. أقوللك إيه؟! يقول هامسًا.. صبح الأعشى.. أصرخ من الفرح صبح الأعشى يصرخ هو فيا.. وطي صوتك أنا جايبه بالعافية.. ويدخل أخي محمد وهو يصرخ فينا.. وسعوا.. حاسبوا.. فنتفرق من أمامه بسرعة.. لا لم يكن يحمل زيتًا إنه يحمل الأعمال الكاملة لشكسبير.. ونضرب له سلام طبعًا.. وأخيرًا أدركت ما الذي جعلني أقع فريسة لهذا الكابوس.. إنه (نهاية الأرب) للنويري الذي دوخني السبع دوخات.. روحت سور الأزبكية قالوا لي إنسى.. ومع ذلك لم أيأس.. وذهبت إلى هيئة الكتاب وأنا أقدم رجلاً وأؤخر أخرى وقابلت الدكتور سمير سرحان.. الكاتب الكبير والناقد الكبير مهندس المشروع الأسطوري الذي وفر الثقافة للجميع والذي ترعاه السيدة الفاضلة سوزان مبارك ذلك المشروع الذي أكمل عامه العاشر فالطفل الذي كان في العاشرة وتعامل مع الكتاب أصبح الآن شابًا في العشرين وقد توافر له ما لم يتوافر لغيره من هذا الكنز الخرافي من المعرفة.. وأفسح لي الدكتور سمير سرحان برغم مشغولياته الكثيرة وقتًا.. فالكاتب والمثقف الكبير الذي بداخله يتغلب أحيانًا على رئيس الهيئة.. لم أشأ أن أضيع وقته أكثر

من ذلك.. قلت له.. لي أمنية فهل تحققها لي أجاب بحب وحنو رائع.. عاوز إيه.. قلت له نهاية الأرب يا دكتور فقال.. ربما لن تجد أجزاءه كاملة.. عمومًا اذهب وشوف.. وفتح لي الأبواب المغلقة.. وذهبت إلى المكتبة فوجدت الأجزاء من ٢٢ إلى ٣١ فقط.. قلت لنفسي إذن هذه ليست نهاية المطاف ولا نهاية الأرب وكيف أحصل على باقي الأجزاء.. همس أحدهم في أذني وأنا أتسكع بين مكتبات الأزهر.. أنت عاوز نهاية الأرب عندي اللي يجيبهولك.. قلت له كمدمن مخدرات محترف.. والتسليم فين؟! وعلمت بعدها أن ثمنه كاملاً ألف وخمسمائة جنيه وهذا يعني أن البيت اتخرب بنهاية الأرب.. ووجدتني أسأل نفسي.. لماذا لا تتوافر كتب التراث لكل مواطن.. لقد نجحت تجربة سليم حسن (مصر القديمة) نجاحًا ساحقًا.. بل إن الطوابير التي كنت أراها لمن ينتظرون الكتاب كانت أبلغ تعبير عن تعطش المجتمع للثقافة الحقيقية.. ولم أشأ أن أدخل مرة ثانية إلى الدكتور سمير سرحان وأعطله.. وأسأله- هل يمكن أن تتبنى مكتبة الأسرة طباعة كتب التراث كاملة؟! فهو برغم سعة صدره معي ومع غيري مشغول.. مشغول.. والمثل يقول.. إن كان حبيبك عسل ..

الأبنودى.. أول مرة

أول قصيدة قرأتها في حياتي .. كانت له.. واحدة من الجوابات البديعة التي كتبتها فاطمة أحمد عبد الغفار لحراجي القط.. ولم أستطع أن أنام قبل أن أكمل الجوابات كلها ووجدتني عاشقًا لفاطمة.. متيمًا بحراجي ووجدت نفسي أتلقى القصيدة بشكل غريب.. فإذا بي.. أتعجب.. ثم أضحك.. ثم أسخسخ على نفسي من الضحك.. ثم تدمع عيناي.. ثم يعتصر قلبي الحزن.. وصدقت.. صدقت لدرجة أن سذاجة طفولتي قالت لي.. هوه يعني الأبنودي عمل إيه؟! دي جوابات

باعتاها فاطمة والحراجي بيرد عليها وحين نضجت قليلا.. أدركت أنه هو نفسه فاطمة وحراجي وأحمد سماعين وإبراهيم أبو العيون ونقلت ملكية قلبي منهم.. إليه هو نفسه.. الأبنودي.. كنت أذهب وأقف بين الجموع الغفيرة في وكالة الغوري التي جاءت من آخر الدنيا لمولد سيدي عبد الرحمن الأبنودي.. يمسك الميكروفون.. يا ساتر يا رب فزع.. حالة غير متكررة من احتواء الآلاف الواقفين.. ذراعاه تستطيلان فجأة.. وتلف كل منهما علينا جميعًا فيأخذنا كلنا في حضنه.. ياه.. إن الكتابة عن هذا الرجل صعبة.. صعبة جدًا فهو الذي يكتب.. ونحن نقرأ .. هو الذي يقول.. ونحن نسمع.. فيظل أي شيء نقوله عنه أو نكتبه.. أقل بكثير مما يجب أن يكون.. وأول مرة أشتغل مذيعًا تليفزيونيا.. كانت معه.. في القناة الرابعة.. لم أكن قد وقفت أمام كاميرا من قبل.. ولا أمسكت بميكروفون.. وحينما سألني الأستاذ حسن أحمد حسن رئيس القناة الرابعة وهو يحثني أن أبدأ طريقي كمذيع.. أول برنامج ح تعمله.. مع مين؟! قلت كأنني أحلم : نفسي أقابل عبد الرحمن الأبنودي.. وبطريقة حسن أحمد حسن الرائعة المفاجئة الحاسمة رفع السماعة.. وكلمه.. ويا نهار أبيض!! قاللي إنه وافق على التسجيل.. وشعرت بحجم الكارثة التي أنا مقدم عليها أنا كان

إيه اللي سحبني من لساني بس؟! وذهبت إليه وأنا أشعر أنني لا أبدأ حياتي كمذيع وإنما أنهيها.. وبدأ الحوار ونسيت وأنا أكلمه.. أن أضع الميكروفون أمام فمي أنا.. كنت أضع (المايك) أمامه وأتكلم.. وصوتي لم يطلع طبعًا.. وما أهمية صوتي؟! كان بيني وبينه ونحن في وكالة الغوري ثلاثة آلاف بني آدم.. الآن.. أنا أمامه.. ليس بيننا سوى (المايك) ساعتان مع الأبنودي على شاطئ الإسماعيلية وبين أهله هناك.. قطعة فنية بديعة لم يعطها لأحد غيري.. ربما لأنه بقرون استشعاره كشاعر أحس بأنني جزء منه.. أو ربما لحني يوم ذهبت إلى وكالة الغوري!! وأول مرة أسجل حلقات برنامج الست دي أمي.. كانت معه.. تكلمنا عن قنديلة أم الأبنودي.. الذي اصر على أنطق اسمها كما ينطقه هو.. جنديلة.. ومرة أخرى يفتح لي المغارة ويقدم لي أشولة من الحب والصدق والفن.. كان خارجًا من أزمة صحية ولكنه كعادته لم تكن عنده أزمة في العطاء.. وحينما تكلم عن أمه.. كأنه فتح الباب.. أعطى الضوء الآخر لكل الذين تكلموا من بعده وابتسم لي ابتسامته التي أعشقها وقال لي.. ح ينجح البرنامج يا خال.. واتوقف هنا عند ابتسامة الأبنودي قليلا.. فهي ابتسامة بها حياء صعيدي جميل وبها طيبة متناهية.. وبها ذكاء رجل ابن نكتة.. كما أن بها شيئًا غامضا أستطيع أن

أسميه بعدًا تاريخيًا فهو حين يبتسم لي أشعر وكأنه يذكرني بموقف فطسنا من الضحك عليه سويًا منذ ثلاثين عامًا.. ولا أستطيع أن أرد ابتسامته بأحسن منها.. فلا يوجد في الدنيا كلها أحسن منها.. أعود وأقول أول مرة.. أول مرة أسمع فيها صوت الأبنودي.. كان في الراديو.. وكانت أيام سوداء بعد النكسة وأنا من مواليد السويس والسوايسة يعلمون جيدًا طعم ولون هذه الأيام هاجرنا واتشحططنا وتركنا بيوتنا.. وجئنا إلى القاهرة والراديوهات على آذاننا.. وكانت أمي الطيبة.. تسكتنا وتزجرنا.. إذا سمعته في الإذاعة (وجوه على الشط) وبدأت أشعر بالغيرة منه.. فهل أقبل أن تحبه أمي؟! صحيح هي في سن أمه.. لكن الطفل منا يشعر أنه يمتلك أمه.. ثم لماذا لا يثور أبي (يرحمه الله) ويشاركها الاستماع بإنصات وبحب.. إذن لاسمعه أنا الآخر يبدو أنه أخي وأنا لا أعرف.

وأول مرة ألقى فيها شعرًا أمام جمهور.. كنت في السابعة من عمري وكنت نحيلاً وقصيرًا..

احضروا لي كرسيًا لأقف عليه.. لا لأجلس.. حتى يراني الناس وقلت شعرًا لا أذكره طبعًا.. إنما الذي أذكره أنني كنت متقمصًا شخصيته.. وطريقته في الأداء.. أنه يخفي كلمة من البيت في القصيدة.. ويسكت ويأخذ نفسًا.. ثم يلقي بالكلمة.. قنبلة.

كنت نحيلاً.. نحيلاً جدًا.. وحين عايرني أحد زملائي السمان.. في المدرسة الابتدائية أنني مثل عود القصب.. قلت له بفخر.. ومعيلة في نفس الوقت.. هي مش بالتخن.. ما الأبنودي رفيع!!

وأخيرًا.. أريد أن أقول.. اثنان في حياتي آخذ برأيهما بشكل مطلق.. ولا أناقشهما إذا قالوا يمين يبقى يمين و إذا قالوا شمال يبقى شمال.. أمي.. وابنتي..

فإذا كانت أمي قد قالت رأيها.. فابنتي لم تكمل سوى ستة أشهر فقط.. ولكنني لا أعرف لماذا أشعر أنها عاشقة للأبنودي.

ومـــــات.. ..

مات التهامي قبل أن يحكي لي روايته.. حرمني منها.. وأخذها معه ورحل.. بكل أدب سمع روايتي وعاشها بكل تفاصيلها ورسمها وصورها كما رآها ولما جاء دوره ليحكي لي روايته هو اعتذر وانصرف من الدنيا.. جاء لي خبره بنفس الطريقة التي تعرفت بها عليه.. وعن طريق نفس الشخص.. كنت أسلم المقال الأسبوعي والتقيت بالزميل سمير أحمد.. بعد أن كلمني في كل الموضوعات التي في الدنيا.. قال لي بشكل عابر.. مش عم تهامي تعيش أنت.. وخجلت من سمير وهو يرى دموعي لأول مرة وهو لم يرني إلا باسمًا.. ربت على كتفي وقال لي كلنا لها يا أستاذ يوسف.. متعملش في نفسك كده.. قلت له أنا لم أعمل في نفسي شيئا.. تهامي هو الذي عمل.. كانت بداية التلاقي رواية كنت أكتبها ويرسمها التهامي.. وفي كل حلقة كنت أندهش وأتعجب وأشد في شعري.. كيف استطاع أن يكون حقيقيًا وصادقًا إلى هذه الدرجة.. إنه لم يلتق بالشخصيات التي كنت أتكلم عنها في روايتي كما أنه لم يلتق بي أنا أيضًا..

كيف رآهم من خلال السطور وجسدهم بهذه الدقة.. بكل هذه التفاصيل.. وكان سمير أحمد برضه ..قلت له عاوز أقابل التهامي.. أخذني سمير إليه.. في كوريدور الدور الثاني في دار الهلال كان سمير كعادته يوجز لي في طيبة.. عم تهامي ده أصله راجل طيب وغلبان قوي.. بس هو يعني مخه يعني. راجل كبير وبيقولوا اتظلم قوي.. طول عمره كده كلامه قليل.. بس فنان.. فنان قوي.. ظروفه المادية منيلة بنيله.. ودخلت لأسلم عليه.. في حجرته الصغيرة العتيقة بدار الهلال أصابعه كانت سوداء من الحبر الشيني.. لا يرسم إلا بالأسود.. بدلته عتيقة ومتسخة.. ارتبك حينما دخلنا عليه شعرت إنه لم يتكلم من سنين طويلة وشعرت أنه يبذل مجهودًا كبيرًا ليتذكر الكلام بتاع الناس.. اللي هو من نوعية أهلا وسهلا اتفضل.. هذه الأشياء كانت بالنسبة له في هذه اللحظة.. مشكلة عويصة.. برطم ببعض الحروف التي لا تحمل أي معنى وأنا اعتبرتها تحية ودعوة للجلوس معه.. أثنيت على فنه ورسوماته وقلت له أنا منبهر.. لم يعلق.. لم يبتسم حتى.. كأنني شتمته.. كان ينظر لي من تحت لتحت.. متوجسًا كأنني آت إليه من كوكب آخر اقتحمت عليه خلوته ثم لاحظت في نظرته أنه يربط بيني وبين الرواية التي يرسمها لي.. ثم فتح الدرج المليء بكل الكراكيب التي في الدنيا.. وبحرص شديد أخرج بونبوناية

عتيقة.. أعطاها لي بعد أن اتسخت بالحبر الشيني الذي ينقط من أصابعه وقال لي.. كل دي.. كل ملبس.. طول ما أنت قاعد تاكل ملبس.. قلت له شكرًا يا عم تهامي.. مقبولة.. فككت الورقة وألقيت بالبونبونايـة في فمي. قال لي.. أنت بتتعب ودماغك شغاله علطول.. الملبس يديك طاقة.. عشان فيه سكر.. ثم همس لي كأنه سيدلي لي بمعلومة خطيرة.. وقال لي.. ما تخليهمش يضحكوا عليك. اطلب منهم فلوس.. عشان تأكل لحمة وتقدر تشتغل، وتركت التهامي ومشيت.. ولكن التهامي لم يتركني لم يغادر رأسي فبعض الناس كالكتاب المفتوح.. تقرأه في ربع ساعة.. وبعض الناس كالمجلات.. يكفي أن تفرها بسرعة.. ولكن هناك آخرين كالتهامي كالكتب المغلقة.. الصفراء القديمة.. كتب مجهدة.. عاوزه قعدة.. وعاوزة قطاعة ورق.. لتفكيك الملازم من بعضها.. وقررت أن أفك طلاسم التهامي.. وعلمت أن التهامي كان سيصبح رسامًا عالميًا وأن ديزني أرسلوا في طلبه ولكن حظه كان أسود مثل رسوماته.. وعلمت أنه كان معارضًا لشكل برج القاهرة عند بنائه.. وكان يراه قبيحًا وكان في خياله برجًا آخر وأعلن عن رأيه هذا وذاق الأمرين فلم يكن مسموحًا في هذا الوقت أن تختلف مع برج أو غيره أو حتى مع كشك سجاير طالما أن عليه ختم الدولة..

وعلمت أيضا أن في حياة التهامي.. حكاية.. وقصة حب فاشلة وحياه مروعة!!

وحينما رآني الأستاذ رجاء.. شغوفًا بالتهامي.. متسائلاً عنه طول الوقت.. قال لي بطريقته اسمع بقى يا بني أنت.. بلاش كسل.. خد كاسيت وروح أقعد مع التهامي.. شكلك ناوي يكتب روايه.. قلت له.. سأفعل.. وأخذتني الحياة.. أخذني العمل وأكل العيش ونسيت التهامي.. أنا أيضا نسيته.. ولست أول من نسيه.. فهل غفر لي التهامي نسياني له كما غفر للدنيا كلها أنها نسيته؟.. وحينما بكيت أمام سمير أحمد لم أكن أبكي موت التهامي.. وإنما كنت أبكي نسياني له.. أبكي أنني أرجأته.. أجلته.. والتهامي حالة فريدة لا تتكرر ولا تتأجل.. كان يعاني ضائقة مادية رهيبة.. وكان يسأل يوميا عن شيك بميتين جنيه.. لرسومات رسمها وتأخروا في إرسال أجره إليه.. أتخيله وهو المتحدث الفاشل.. يتكلم في التليفون كل يوم ويقول.. الو.. أصل المتين جنيه يعني.. أصل الظروف يعني.. ياريت يعني.. في حديث التهامي ١٧ يعني.. ووضع السماعة.. أتى شاب إلى دار الهلال يسأل عن التهامي بعد موته وفي يده شيك بميتين جنيه.. عرفت بقى لماذا بكيت يا سمير؟! لأنني كنت مثل هذا الشيك الذي أتى في الوقت غير المناسب.

الدهن فى العتاقى ..

أنا أموت في هذا الجيل.. جيل الكبار.. المخضرمين.. اللي ضحكوا طوب الأرض، خلصوا النكت وسابونا يا حول الله (ننأنأ) في عالم الكوميديا، وجيل الكبار من كتاب الكوميديا مثل (بديع خيري) و(علي الزرقاني) و(أبو السعود الأبياري(جيل يدهشك حقًا وأنا أتابع الحوار والموقف الدرامي اللي يهبل الذي نسجه أي واحد منهم لا أجد نفسي إلا صارخًا يخرب بيته.. أو إلهي ينتقم منه.. أو ده مجرم وهي طريقة مصرية في التعبير عن السعادة والإعجاب.. لأن الكاتب الكوميدي لم يسعدك فقط وإنما (عورك) لمس جروحًا جواك.. ضحك عليك وقال (كلام كبير قوي) وهو متظاهر بالبساطة والابتسام.. وهي عبقرية الضحك الراقي.. وكان من حسن حظي أن ألتقي بواحد من جيل الكبار ارتبط اسمه على طول بالضحك الذي لا يرحم وهو عمنا وأستاذنا (يوسف عوف) .. كنت ألتقي به في برنامج

تليفزيوني وجاء الأستاذ على سنجة عشرة وإحقاقًا للحق أنا لا أعلم إلى هذه اللحظة لماذا ارتبط هذا التعبير (سنجة ١٠) بالأناقة؟!

فإذا قلنا مثلاً إنه لابس اللي على الحبل فالحبل مرتبط بالغسيل ومن ثم بالملابس النظيفة المكوية.. وإذا قلنا إنه لابس الحتة الزفرة.. فمن الممكن أن يرتبط هذا أصلاً بجاكيت جلد النمر أو جلد التمساح وهذا أصل الزفارة .

وإذا قلنا مثلاً إنه جاي (عاملهم) فهي إشارة مبهمة لشدة اهتمامه بنفسه ومن هنا تأتي (متأنتك). و(متشيك).. وفي الأحياء الشعبية يقولون (مروش نفسه).. إلا سنجة عشرة هذه.. فالسنجة على حد علمي مرتبطة بالترام القديم وكانت دائمًا ما تقع السنجة وينزل الركاب ليساعدوا الكومساري في رفعها إلى وضعها الطبيعي.. كان هذا طبعًا في العصور الغابرة.. حينما كان الناس يعاونون بعضهم بعضًا وقبل ظهور تعبير (وأنا مالي يابا) الذي أصبح من الألفاظ الشائعة.. هذا بالنسبة للسنجة.. أما بالنسبة للرقم عشرة بالتحديد.. فلا أدري مغزاه.. وهل إذا كان مثلاً على سنجة ٩ يعد هذا إقلالاً من شأن الشياكة.. هذه يجيب عنها الأستاذ (يوسف عوف) لأنه هو السبب في انسكاب هذه الأفكار الغريبة وغير الطبيعية في مخي

لحظة أن رأيته على سنجة عشرة.. وأصر الأستاذ أن يتصور واقفًا وقال لي هامسًا.. حتى تظهر الجاكيت بكاملها والبنطلون أيضًا.. ولمحته يناقش المصور على انفراد في إمكانية أن يظهر الشراب أيضًا إذا ما كانش فيها تكليف يعني.. ولكن لسوء الحظ كان قدرنا أنا وهو أن نسجل الحلقة جالسين متجاورين وهمس الأستاذ قائلا.. أنا لا أحب الجلوس في التصوير ذلك لأن بوادر الكرش قد بدأت في الظهور رغمًا عن أنفي وحينما أجلس يخيل لي أحيانًا أنني في الشهر الخامس من الكرش.. أما الوضع واقفًا فيظهر الرشاقة والقوام المشوق مما يجب أن يتوافر في أي مطرب.. واندهشت متسائلا موليير سيغني!! وأجاب في ضيق من اندهاشي وليه لأ.. أنا صوتي أحسن من كل الأصوات اللي أنت سامعها دي.. أنا مشكلتي بس الفرصة.. قلت له بقولك إيه.. احنا مش ح نتكلم في المغنى.. احنا عاوزين نتكلم في الضحك.. مين المسئول عن أزمة الضحك.. نكلم مين؟! قال لي نكلم روحنا لو كل واحد وقف يكلم نفسه في الشارع.. مش ح يبقى فيه أزمة في الضحك.. قلت له يا أستاذنا أنت متهم بأنك أضعت هيبة الإذاعة المصرية وجلالها ببرنامجك الشهير ساعة لقلبك.. فضحك وقال لي: هل تعلم أن حزب الغم والنكد كان رافضًا لبرنامج ساعة لقلبك لهذا السبب، قلت له كنتم تملأون

الحياة المصرية بالبهجة والمرح في الخمسينيات والستينيات أين ساعة لقلبك في التسعينيات؟! قال لي ضاحكًا.. كل حاجة غليت شوف الساعة من تلاتين سنة كانت بكام الوقت بقت بكام.. وشوف الساعة زمان كانت كام دقيقة والوقت بقت كام دقيقة.. وأضاف في جدية شوف.. الكاتب النهارده هو المسئول الأول عن أزمة الضحك ولكن ظروفًا أخرى أيضًا.. إيقاع الحياة.. الظروف الاقتصادية، أما الممثلون فنحن نملك أعظم ممثلين كوميديا في الدنيا.. ولن نعبر الأزمة إلا بالبسمة.. حينما حاورت (يوسف عوف) عرفت أن العمل رسالة وأنه أحب أن يحملها طوال عمره الفني وعرفت أيضًا أنه هاوي ضحك وأنه غاوي يجيب (الأفيه) من الهوا.. ولكن الشيء الذي عرفته أيضًا أن (يوسف عوف) يمتلك رصيدًا ضخمًا من الضحك الراقي رفيع المستوى ولكنه أودع هذا الرصيد في بنوك سرية ولا يخرج منه إلا بالقطارة وكل حين ومين.. ولهذا قررت أن أفضحه أمام جمهوره ومحبيه حتى يتكاثروا عليه ويرسلوا له خطابات تهديد إما أن يخرج لنا المزيد والمزيد من الأعمال الفنية الكوميدية الجميلة وإما.. أنت عارف..

شنطة يوسف عوف

دائماً.. في يده شنطة جلدية أنيقة.. معه في كل مكان.. في الأوتيل الذي يكتب فيه.. في الشارع وحتى حينما أقابله في بيت سمير خفاجي لا تفارقه هذه الشنطة.. إذا جالي صداع ينظر لي نظرته المليئة بالحنان ويقول لي.. استنى.. ويعطيني اسبرينايا مستوردة ويقول في خبرة.. خد دي..

وإذا كانت نفسي في فنجان من القهوة.. أطلبها من الجرسون.. فيقول للجرسون.. استنى.. ويخرج علبة بن محوج مخصوص من الشنطة و.. اعمل لنا فنجانين من البن بتاعي.. وكان هو نفسه مثل شنطته حالة دائمة من العطاء المتواصل..

إنه الكاتب الساخر النجم الذي لم يتوقف طوال رحلته الشاقة عن أن يمد يده.. ويغمزك بحاجة.. كان هو نجمي المفضل وأنا طفل صغير.. لم أكن أتمنى أن أتصور مع أي من النجوم.. كنت أحلم بصورة معه وتوقيع في الأوتوجراف وكانت أول غمزة يغمزني بها.. تسللت عبر أذني.. من خلال ميكروفون الإذاعة.. وهو يقدم لنا ساعة لقلبك.. ساعة حظ مليئة بالبهجة.. والضحك.. ساعة حظ لا يمكن أن تعوض وكانت المرة الأولى التي أراه فيها.. حينما جاء ليشاهد أولى مسرحياتي.. ووقفت في الظلام أراقبه هو وحده.. أنا لا يهمني سوى رأيه.. إنه الذي سيعطيني الدرجة.. كان يتابع المسرحية كطبيب يضع سماعته على قلب مريض .. وأنا أروح وأجيء في قلق.. ح يعيش واللا مش ح يعيش يا دكتور.. فيه أمل.. أبوس إيدك.. طمني.. وخرج من غرفة العمليات- المسرح- وفي يده شنطته اياها التي لا تفارقه وأنا واقف أمامه.. أنتظر نتيجة العملية.. لم يفعل شيئا.. لم يقل شيئا فتح شنطته وإداني باكو لبان..

في التليفزيون كانوا يصورون معه برنامجًا.. أغنية وتعليق.. قالوا له يا ظالمني.. فأهداها إلى المخرج الذي بوظ له روايته قالوا له.. بعيد عنك حياتي عذاب.. فأهداها إلى فؤاد المهندس.. وحينما قالوا له.. يحميك يا بني تبقى غالبني قرب

خدلك حته ملبن.. فوجئت به يقول.. أهديها لابني يوسف معاطي.. ولم أصدق نفسي.. وأخذت اتنطط في الحجرة وحدي كالمجنون .

والتقينا ذات مرة بالصدفة.. وأنا كلما رأيته.. ألبدله.. ألزق له إنها فرصة بالنسبة لي لا تعوض.. قال لي أنت بتأخذ كام يا معاطي في الرواية قلت له كذا قالي أنت عبيط يا معاطي.. أنت تستاهل قد كده ثلاث مرات.. اطلب وحتاخد.. ده حقك.. أحنا غلابة يا بني.. معقولة.. نضحك الناس.. والمنتجين يضحكوا علينا.. وكانت نفحة أخرى من نفحاته.. من شنطته التي لا تفرغ.. وطلبت الأجر الذي نصحني به وأخذته.. وعلمت بعد ذلك أنه نصحني أن أطلب نفس أجره.. كان يساويني بنفسه!!! تصوروا؟!!

ومرة أخرى التقينا في ندوة عملتها لنا مجلة عربية كبرى.. كان الموضوع كوميديا الرواد وكوميديا الشباب.. وكان هو أكثر شبابا مني وأكثر تجديدا.. وباظت الندوة.. من كثرة الضحك.. وتعرضت في الندوة لهجوم حاد من البعض.. ولم يعطني هو الفرصة لأدافع عن نفسي كان هو الذي يدافع عني وقال عن نفسه أنه كان ينحت في الصخر.. ولكنني أنا وجيلي نحرث في الماء.. وأن مهمتنا أصعب.. ثم قال دلعوا المؤلف الكوميدي..

ماتسدوش نفسه.. كل هذا وأنا جالس بجواره في الندوة.. كأنني في حلم.. هل أنا فعلا.. أجلس بجوار يوسف عوف وشردت بعيدا وأنا لا أصدق أنني أعيش هذه اللحظة التاريخية.

وأفيق من شرودي عليه وهو يخرج شيكولاتاية من شنطته ويغمزني بها.. مالك يا بني سرحان في إيه.. كله كويس إن شاء الله.. وأخيرا.. في رمضان الماضي.. ذهبت إليه كعادتي أطلب.. فلقد تعودت معه على الطلبات الكثيرة.. وهو لا يتوقف عن تدليلي وإجابة كل طلباتي قلت له عاوزك في برنامج السنيد يا أستاذ.. عدل طاقيته الصوف الجميلة وقال لي.. لو طلعت معاك كده ولا بنت ح تبص لك.. قلت له ماشي يا أستاذ.. أنا قابل.. بعد اللقاء.. سألته وأنا أنظر إلى شنطته بدناوة.. إيه مفيش حاجة.. قال لي.. إنت فاطر ياد إنت.. قلت له لا والله صايم.. قال لي تجيلي بعد الفطار يالا.. قوم وصلني.

وحين قرر الأستاذ حمدي الكنيسي أن يعيد ساعة لقلبك للإذاعة مرة أخرى كلم المعلم الكبير الأستاذ طبعا.. وإذا به يقترح اسمي لأشاركه في ساعة لقلبك.. وفي الطريق قلت له.. ح نعمل إيه بس يا أستاذ.. بعد النجاح الساحق لساعة لقلبك والدكتور شديد والخواجة بيجو.. وفهلاو.. والشخصيات التحفة المحفورة في وجدان الناس.. بقولك إيه يا عم.. أنا

حاسس أن أنا ح أقع.. أنا مقدرش على ساعة لقلبك.. قال لي مازحا لو مش قادر على ساعة لقلبك.. أكتب ربع ساعة لقلبك على قدك . لم أجرؤ أن أكتب حرفا طبعا.. ولا ثانية لقلبك.

قال لي سمير خفاجة.. الظاهر يوسف عوف جاله تسمم.. ونقلوه المستشفى.. وجريت مذعورًا.. تسمم!! من إيه.. إنه يأكل كما يكتب.. ينتقي ويختار وإنف أنافه ليس لها مثيل.. ولكنه لم يكن تسمم.. كان في العناية المركزة.. وممنوع من الزيارة.. لم أحفل بكلمة ممنوع هذه.. ونحيت الطبيبة التي فتحت الباب جانبًا وقلت لها سأدخل.. قالت لي.. إنه لا يشعر بأحد.. قلت لها.. أنا لا أريده أن يراني.. فهو الذي رأني طوال السنين الماضية.. وإنما أنا الذي أريد أن أراه.

دخلت.. ورأيته.. وتلفت حولي.. باحثا عن الشنطة.. وحينما لم أجدها.. انفجرت في البكاء.. لا لم يكن بالنسبة لي فقط مؤلفا عظيمًا.. وكوميديانًا فريدًا.. كان أبي.

محـــدش عبيط

من يسخر ممن؟ هل نحن نسخر من شعبان أم أن شعبان هو الذي يسخر منا.. هل يسخر شعبان من نفسه ليسد باب السخرية عليه.. أم نحن الذين نسخر من أنفسنا في صورة شعبان؟ الجاكتة اللي لون الانتريه.. والقماش اللي مراته جايباهوله من الوكالة.. والمكواه التي يهددنا في مرارة بأن يعود إليها إذا لم ينصلح حال الفن.. يظل يقول هذا وننفجر جميعًا في الضحك في هذه الليلة (الطحن) التي سنسمع فيها شعبان.. والتي يتسابق فيها أولاد الذوات وشباب الجامعة الأمريكية لكي يسمعوه أو بتعبير أدق.. لكي لا يسمعوه وإنما لكي

(يتفرجوا عليه).. وشعبان (المسكين) مذعور دائمًا وسايق الهبالة على الشيطنة.. فهؤلاء المثقفين الذين يحاورونه ويعملون له الأحاديث الصحفية والتلفزيونية هو يعلم أنهم ليسوا مؤمنين به ولا يحبونه.. ويعلم- كابن بلد صايع- أنهم أتوا به إلى هنا أمام تلك الكاميرات اللعينة لكي يتمهزأوا به ولكنه في الوقت نفسه يعلم أنهم ناس مهمين.. وناس كبيرة.. هو أيضا لا يعلم هما مهمين في إيه.. وإنما بفتاكة ابن البلد لازم يعدي الليلة.. عشان اللقمة ما تنتظرش.. ولذا قرر شعبان بحداقة ألا يدافع عن نفسه وأن يتقوقع داخل ذاته.. ويقولك.. أنا كده.. أنا أهوه وإن كان عاجبكوا وإذا سأله أحدهم سؤالاً أحس فيه بنية غدر.. يشغل الشعوذة.. ويرد ردودًا عبثية تبدو كأنها تلقائية.. ولكنها شديدة التعمد.

وكل من يحاور شعبان يتصور أنه وجد فرصة لا تعوض.. ولقمة طرية.. وأنه يجب حتى يجعل الموضوع كوميديًا.. أن يشتغله.. والواقع أن شعبان- بالحداقة سالفة الذكر- هو الذي يشتغله ويشتغلنا كلنا.. ونحن هنا لسنا بصدد تقييم شعبان.. فهو مصر على أن يروشنا حتى لا يعطينا الفرصة لأن نقيّمه.. على الأقل خوفا من أن ينفذ تهديده ويرجع للمكواه تاني.. ولكنه يجب أن يعرف أنه إذا ظل يغني بهذه الطريقة لسنوات

قادمة.. إحنا اللي ح نشتغل مكوجيه كلنا !! وشعبان يجب أن يعلم أن الغناء الشعبي من أرقى وأمتع الفنون على الإطلاق.. وأن سيد درويش هذا الذي لو سألته عنه في حوار تليفزيوني.. سيستعبط ويقوللي يبأه مين الباشا.. وأنا واثق أن شعبان يعرفه جيدًا.. سيد درويش هذا كان شعبيًا لدرجة أنه بعد أن مات قال عنه أحد الموسيقيين التافهين (لقد مات الهلس في الموسيقى) وعندما جلس سيد درويش على التخت رموه بالطوب وظلوا يرمونه بعد ذلك كثيرًا.. واليوم ها هو الزمن ينحني أمام عبقريته الفذة.. فالشعبية يابو الشعب ليست حاجة أوريجينال فرجة يسعد بها الطبقة الهاي.. على رأي سمير غانم حينما قال لشيرين في (المتزوجون): (إبقى هاتي ماما وبابا وإخواتك وقوليلهم تعالوا نزور الخرابة).. أنا أعلم يابوخميس أنك في حالة من الاندهاش وأنك مهزوز وأن هذه الهيصة التي حولك أربكتك ولكن صدقني.. اهدأ.. وتأمل.. وخد نفسك- بالطريقة التي تحلو لك وفكر .. فالغنى الشعبي يجب أن يفكر برضه.. وأنت لم يرمك أحد بالطوب.. كما فعلوا مع سيد درويش وإنما أمة لا إله إلا الله التفت حولك.. فلا تعمل مثل (الكاميرا الخفية المفبركة) ابحث عن أغنية شعبية حقيقية.. ودعك من الأحاديث والإعلام والمسائل دي.

اسمع كلامي ولا تكرهني كما تكره إسرائيل.. فأنت حينما غنيت قائلاً: أنا باكره إسرائيل كان هناك احتمالان الأول أنك مطرب هلس وبتهزر ولا تعني ما تقول وهذا الاحتمال أنا أرفضه بدليل أننا تعاطفنا معك ورددناها معك.. الاحتمال الثاني أنك راجل بسيط قلتها كده من قلبك بكل تلقائية بلا فلسفة مثل كل مواطن مصري فصرت نجمًا في لحظة.. طيب.. هل نسخر يا شعبان من الرجل الذي يكره إسرائيل؟ وهل تسخر أنت من نفسك وتصبح أضحوكة وأنت الذي قلت أنا باكره إسرائيل.. إن هذا يسعد إسرائيل جدًا على فكرة.. وأنا مثلك يا شعبان باكره إسرائيل وبحب مصر قوي ولذا أرجوك.. اطلع من الصورة.. أخرج من الكادر.. حتى لو أغروك أو هددوك.. فمصر لم يعد فيها أم كلثوم ولا عبد الوهاب ولا عبد الحليم ولا العقاد ولا طه حسين ولا توفيق الحكيم فإذا كنت تحبها مثلي.. لا تدعهم يسخرون.. ولا تشاركهم السخرية فأنت قدرنا.. شئنا أم أبينا.. وأشد أنواع السخرية مرارة هي سخرية القدر.

تيجوا.. نعمل دماغ.

يتوافد أفراد الشلة واحدًا بعد الآخر.. تبدأ القعدة بعد العاشرة مساء تحت التكعيبة.. فوق سطوح التاجر الثري.. كل لوازم الأنس موجودة.. منقد الفحم ثلاث أو أربع شيش.. (جمع شيشة) وأطباق الفاكهة المغسولة التي تبرق في الظلام أغلبها يوسفي ليس تحيرًا لي ولكن لأنه سهل التقشير وحلو في ليالي الشتاء الباردة.. الكل وصل.. واتسلطن.. إلا هو.. عفيفي.

من عفيفي هذا؟ إنه قطعة السكر اللي في القعدة.. إنه على حد تعبيرهم.. واد مسخرة.. تخرج في معهد الفنون المسرحية قسم التمثيل.. ولكن ليس له حظ برغم أنه ابن حظ.. يتساءل الجميع.. عفيفي اتأخر.. حد يبعت يجيبه.. يقول التاجر الثري لأحد صبيانه.. خد ياد العربية وروح هاته.. يذهب الواد بالسيارة الفارهة إلى مجاهل منطقة شعبية ويقف تحت بيت عفيفي وينادي عليه.. يا عفيفيييه.. عفيفووه.. يطل عفيفي ببيجامته المزقة.. ويطل من البيجاما فقره وحالته التي تصعب على الكافر.. ويقول في ألاطة.. أستاذ

عفيفي يا حيوان!! نازلك.. يضحك الصبي لقد بدأ عفيفي ليلته.. يرتدي عفيفي ثيابه ليذهب إلى الجمع الذي في انتظاره.. ثياب الخروج اسوأ حالاً من بيجامته السالفة الذكر.. يفتح باب السيارة في عنطزة ويجلس في الخلف اطلع يا سواق.. يضحك الصبي.. فهو أيضا أحد المريدين والمتيمين بعفيفي.. تحت التكعيبة.. الكل ينتظر عفيفي.. يشربون المزاج ولكن بلا مزاج.. يسمعون صوته آتيا من الخارج.. ومثل دخلة النجوم تماما على خشبة المسرح.. يتكلم قبل أن يخش.. بس كبسه.. امسك يا بني الجماعة المساطيل دول.. هأهأ.. يضحكون.. يقول التاجر الثري بمنتهي الإعجاب.. أهو جه ابن الجنيه.. الله يلعن شيطانك!!! يستقبل عفيفي في دخوله بعاصفة من الضحك بدون أن يقول شيئا.. إنه الرصيد.. رصيده عندهم.. يخطف النارجيله في جرأة من التاجر الثري ويضعها في فمه بلا استئذان ويقول.. عشان يبقى صباحنا فل بس يقول أحد الجالسين.. العود أهوه مش ح تسمعنا حاجة يا بني أنت.. يجيب عفيفي في بجاحة اسند قلبي الأول احسن بقالي أسبوع ما حطتش لقمة في بقي.. أخبار اللحمة إيه.. يقول له التاجر الثري ما أنت ضارب كيلو ونص كباب لوحدك يابن الكدابة.. إمبارح بالليل. يقول عفيفي.. شوف يا أخي الأيام بتجري بسرعة إزاي.. ويعلو صوت الضحك.. يأخذ العود.. ويغني.. شفتي بتاكلني أنا ف عرضك.. خليها تسلم على خدك.. وتبدأ الليلة.. عفيفي.. ح يسخن.

لا يترك عفيفي جملة إلا ويعلق عليها تعليقا ساخرا.. ذكيا بعض الأحيان، وأبيحا في أحيان أخرى لكن سرعة بديهته.. معجزة.. حقا.. دموع.. دموع تنهمر من الأعين من فرط الضحك.. ويقول التاجر الثري صاحب الليلة الذي كاد قلبه يتوقف من الضحك.. كفاية.. كفاية.. يابن الـ .. قتلتني.. آه.. ده أنت مفتري.. يخرب بيت أهلك يا عفيفي..

هكذا احتل عفيفي كل انتباه القعدة وصار نجمها الأوحد.. والحشيش ليس له طعم من غير عفيفي.. ويسأله أحد البهاوات الجالسين وأيه أخبارك ياد يا عفيفي.. يضع عفيفي قدما على قدم فتبرز أصابعه من شرابه المقطوع ويقول.. والله الموبايل بتاعي زهقت منه.. عاوز أجيب السيلفر الجديد.. ويفاجئه التاجر بسؤال مباغت.. وأزي أمك.. وبسرعة بديهة خارقة يرد عفيفي: تالت قلبينية تمشيها.. ما بتحبهمش أبدا مزاج عندها شغل البيت.. أو بتعبير أصح.. هو مش مزاج.. هو مزاج ومهنة في نفس الوقت.. ما بتطيقش بيت مش نضيف.. الا بيتنا طبعا ويقطع ضحكهم الهادر حكاية ثانية لعفيفي كان أبويا شغال فراش في المدرسة الابتدائي التي كنت فيها وفي مرة عملنا شغب أنا واتنين فقريين زيي.. بس دلوقت بسم الله ما شاء الله واحد سباك والثاني مبلط قيشاني.. لأ.. بقوا مراكز جامدة أصلها حظوظ.. المهم دخلنا ع الناظر ضرب كل واحد قلمين وقال لنا تجيبوا أولياء أموركوا.. روحت جاري على

مكتبه ودايس ع الجرس دخل أبويا.. ما هو الفراش بتاع الناظر قلت للناظر.. آدي ولي أمري أهوه.. وظل عفيفي هكذا نجمًا . ساطعًا جمهوره هذه الشلة وأجره أن يتعشى عشوة حلوة ويضرب له نفسين وتحمس له التاجر الثري.. قال ذات مرة عليا النعمة الواد عفيفي ده مظلوم ومش واخد حقه.. ده لو نزل لهم ح يقعدهم في البيت.. وذات يوم قرر التاجر الثري أن يغامر بعفيفي وينتج له مسرحية.. وفعلها.

في العرض الأول.. كانت مفاجأة وصدمة رهيبة.. لم يبتسم أحد في الصالة مجرد بسمة.. كان عفيفي ثقيلاً ورخمًا لدرجة لا يتصورها عقل وأخذ التاجر الثري يضرب كفًا بكف.. اختلت الموازين.. أخذه بعد العرض قال له.. قلت لك تعمل دماغ قبل ما تطلع ع المسرح عشان تونون وتقول يا عفيفي بكرة لازم تطلع دماغك دي ميت فل.. مالك يا عفيفي.. فيه إيه.. في اليوم الثاني لم تبدأ القعدة إياها في العاشرة كالمعتاد.. بدأوها من السابعة حتى يعمل عفيفي دماغًا معتبره.. في القعدة كان عفيفي في أحسن حالاته على الإطلاق قال كلامًا لو حاول موليير نفسه أن يكتبه لفشل.. وذهبت الشلة كلها إلى المسرح في سيارة التاجر الثري المنفجر في الضحك.. آه.. كفاية.. خلي شوية للمسرح يابن العفريتة.. ما تقول الشوية دول في الرواية.. وحجزوا في الصف الأول وطلع عفيفي على المسرح وأخذ يمثل.. الشيء العجيب أن الصف الأول فقط هو الذي كان

منفجرًا في الضحك أما باقي الصالة فجلست في وجوم لا تدري علام يضحك هؤلاء.

وهاجم الجمهور عفيفي وقالوا انزل.. كفاية.. وكاد الثري أن يجن.. قال لنفسه: عشر سنوات وعفيفي يقتلني من الضحك ما الذي يحدث للناس.. الواد زي السكر.. هل الناس فايقه أكثر من اللازم؟! كان في الرواية مشهدًا يستخدم فيه المخرج ماكينة دخان ويملأ الدخان المسرح.. في دخلة عفيفي.. وواتت التاجر الثري فكرة جهنمية.. الدخان الخارج من الماكينة لن يكون دخانًا مسرحيًا وإنما سيكون دخانًا أزرق من الصنف اللي يعمل أحلى دماغ- يكيف الصالة كلها وسنرى.. وفعلها في اليوم الثاني.. وبدأ الجمهور يتأثر بالدخان.. وعفيفي بقى في الحلاوة.. وصار المسرح تكعيبة أخرى مثل تكعيبة التاجر الثري وكان الضحك في الصالة أشبه بالصراخ وبالصواعق وبهدير الموج وخرج الناس من المسرح وكانت هناك أكثر من حالة أزمة قلبيه من فرط الضحك وقال التاجر الثري لأصدقائه.. آه أهوه ده عفيفي وذهب الناس إلى بيوتهم بعد المسرح ولكنهم لم يتذكروا أن شيء.. لا الرواية ولا الضحك ولا حتى عفيفي.. وتكلف التاجر ليلتها خمستلاف جنيه (حشيش بس) ليعمل دماغ لخمسمائه متفرج وعندما حسبها وجد أنه لو ظل هكذا طول الموسم لأفلس وباع عفش بيته أغلق الرواية وعمل لعفيفي عقد احتكار مدى الحياة.. هناك تحت التكعيبة.. فوق السطوح.

أنا أعُك إذن أنا موجود

الوجودية يا أعزائي ملخصها أن البرتقالة على الشجرة غير موجودة لأن أحدًا لا ينتفع بها وهي على الشجرة.. ولكنها تعتبر موجودة إذا كانت على المائدة في طبق وبجوارها سكين لأنها ستؤكل وينتفع بها.. وبناءً على هذا لا يعتبر الشيء موجودًا إلا إذا كان نافعًا.. هذا ما كان يقوله سارتر فيلسوف الوجودية وهو جالس على مقاهي باريس يتحدث ويتفلسف حتى منتصف الليل ثم ينهض وحوله المعجبون والمعجبات دون أن ينتفع أحد بما قال.. ده بأه كلام سارتر.

والفلوس يا أعزائي.. وده بأه كلامي أنا.. تعتبر غير موجودة طالما هي في البنوك لا ينتفع بها أحد.. ولكنها إذا خرجت من البنوك وتحولت إلى قروض فهل تصبح

موجودة طبقًا لكلام سارتر الواقع يقول لا.. فالقروض لا ينتفع بها أحد إلا أصحابها طبعًا.. ونظرية الأنفع هذه نظرية محترمة بلا شك.. ولكن الأنفع لمن؟ ويحكى أن بقرة وخنزيرًا التقيا ذات يوم وشكا لها الخنزير بأن الناس يفضلون البقر على الخنازير لا يعلم لماذا هذا طبعًا حدث قبل جنون البقر الأخير.. وقال الخنزير شاكيًا أو حاقدًا.. إذا كانت البقرة تعطي لبنًا وزبدًا وجبنًا فأنا أعطي لحمًا ينتفع به في أشياء كثيرة.. ففكرت البقرة قليلاً ثم قالت لعل السر في ذلك أنني أمنحهم الخير وأنا على قيد الحياة.. وكثيرون في حياتنا أعطونا الخير وقدموا الكثير في حياتهم ولم يسلموا من الهجوم الحاد والتحطيم إلى أن ماتوا.. فأقمنا لهم التماثيل وخلدناهم بعد مماتهم.. عندك مثلاً جمال الدين الأفغاني هذا الداعية والمفكر الإسلامي المطارد دائمًا لم يكن له وطن يستقر به كان وطنه الشرق كله كان وطنه الناس البني آدمين ولا يكاد ينزل ببلد حتى يقوم حريقة عليه من حكومته ومن عامته.. واتهموه بالزندقة والإلحاد ودخل السجن وذاق مرارة النفي والتشريد.. قالوا عنه إنه يتناول النشوق بيمناه ويوزع الثورة بيسراه ودسوا له السم لأنه جاهر بآراء تهدم هذه الصروح التافهة من المعتقدات والتقاليد البالية.. ومات الإمام على هذه الصورة ليتحول

بعدها إلى فقرة في كتاب التاريخ.. كنا نحفظها صم كالأناشيد لكي نطرشها بعد ذلك في ورقة الإجابة .

وجاء بعده الشيخ محمد عبده ليلقي نفس المصير من خصومه ورموه بالإلحاد والخروج على الدين وذات يوم جاءه شاب بائس رقيق الحال يشكو صعوبة الأحوال وضيقها فنصحه الشيخ محمد عبده بكل رزانة قائلاً: اسمع يا ابني أنا أريد لك الخير وأنصحك أن تشتمني وتهاجمني في مقالات تنشرها باسمك فيلتفت إليك خصومي وهم أقوياء فيساعدوك.. وبدأ يملي عليه شتيمته بنفسه، وعمل الطالب الفقير بنصيحة الإمام فهاجمه في الصحف وانضم إلى خصومه وحصل على منصب مهم.. وكان الشيخ محمد عبده يروى هذه القصة ثم يضحك قائلاً: والعجيب أن صاحبنا بعد أن وصل إلى غايته ظل يهاجمني بحرارة كأنه يؤمن بما يقول.

وسيد درويش العبقري الخالد الذي لم توهب الموسيقى الشرقية فناناً مثله.. صنع المعجزات الموسيقية وكانت ألحانه الخالدة من أقوى عناصر الثورة المصرية وعندما جلس على التخت رموه بالطوب وظل يرمى بعد ذلك كثيرًا.. وكانت جنازته خاوية.. متواضعة ولم يكتب أحد من الشعراء الذين صالوا وجالوا في مدح أي حد معدي قدامهم.. كلمة عن سيد

درويش.. إلا بعد عشر سنوات من رحيله حينما عاد فجأة إلى الحياة والوجود.. واليوم ينحني الزمن خاشعًا أمام عبقريته الفذة.

فعذرًا يا سارتر.. هؤلاء النافعون كانوا جميعًا برتقالاً على الشجر وليسوا على أطباق كما ذكرت.. وصار وجودهم حقيقة ملموسة بعد رحيلهم بزمن طويل.

وما رأي سيادتكم بأه في برتقالة موجودة على طبق وبجوارها سكين وما إن تقترب منها تجد أنها برتقالة بلاستيك لا ينتفع بها.. وما رأي معاليك لو كانت هي الوحيدة الموجودة.. خلاص يا عزيزي لم تعد الفلسفة لها مكان في حياتنا.. أنا أشك إذن أنا موجود أنا أفكر إذن أنا موجود.. هذا كلام ناس فاضية.. خذ دي عندك (أنا أعك إذن أنا موجود).

سمعت شريط شعبان الأخراني؟

ما سمعتوش؟

إذن أنت مش موجود ..

الراجل ده.. أبويا

أخيرًا سأكتب عنه.. سيسمح لي أن أكتب.. برغم أنه الذي قدمني.. وشجعني.. بل هو الذي صنعني وشكلني على يديه.. ولكنه كان يزعل دائما حينما أذكر ذلك.. وينفعل في وجهي بغضبة أب حنون ويقول لي.. أسكت.. ما تقولش كده.. كان لا يحب أن أعترف له بالجميل.. وكنت دوما أحب.. كانت أول مرة ألقاه هنا في دار الهلال وكنت (حتة عيل) تتخبط ركبتاه ويجف حلقه حينما يقابل عملاقا مثله.. لم أكن أدري وقتها أنني أعيش لحظة تاريخية ومصيرية في حياتي.. قليلون هم هؤلاء الناس الذين تقابلهم فتصبح المقابلة نقطة تحول.. وبيده

الخبيرة.. عدل اتجاهي ووضعني على التراك وحدد هدفي وقال.. ياللا.. إجري.. وبعد كل ذلك.. لم يتركني.. دائما كلما تعثرت في الطريق.. تنهضني يداه وتعيدان توجيهي مرة أخرى.. لأستمر.. قوم.. ما تكسلش.. هذه أيامك وبرغم هذا الاحتضان والتبني وبرغم أنه لم يتركني إلا أنه تركني.. تركني أكتب ما أشاء.. لم يقل لي يوما أكتب كذا.. وإنما كان دائما يقول لي أقرأ كذا.. كانت عنده مقدرة عبقرية على تحويل أي شيء إلى فن رائع.. وحينما فشلت في تجربة.. واكتأبت.. وعشت في الدور.. ظل يستمع لي أكثر من ساعتين وقال الرد الذي لم أتوقعه.. تصوروا ماذا قال.. أكتبها يا بني.. ونظرت نحوه بذهول.. ماذا أكتب يا أستاذ.. أنا أحكي لك تجربة شخصية.. وأريد حلا فأعاد ما قال لي.. قلت لك أكتبها.. هكذا كما قلتها.. هذا هو الحل.. وكتبت.. وأستطاع الأستاذ بعملية جراحية فنية أن يزيل الألم تماما.. وصارت التجربة رواية ثم صارت كتابا.. وكبرت قليلا.. لم تعد ركبتاي تتخبطان ولا يجف حلقي.. وكتبت هنا وهناك.. وقابلت مصر كلها.. ورصدت شيئا عجيبا يختص به.. إجماعا تاما على احترامه وتقديره من كل من قابلت.. حتى من هؤلاء الذين يختلفون معه.. يكفي فقط ذكر

اسمه في أي جلسة من تلك الجلسات الثقافية المشحونة بالزعيق والخناقات وهؤلاء المثقفون الذين لا يعجبهم العجب.. فإذا بهم جميعا وفي صوت واحد.. وكأنهم كورس عبقري في الروايات الإغريقية.. يقولون.. الأستاذ رجاء النقاش لا.. ده راجل عظيم.. ده أعظم ناقد في مصر.. ده فضله علينا كلنا.. كيف هذا.. إنهم منذ ثوان لم يكن يعجبهم العجب.. فهل هو.. العجب؟! وذات ليلة ساحرة.. جمعتنا جلسة رائعة في السيدة زينب وكان معنا الأديب السوداني الكبير الطيب صالح.. وآخرون.. وكانت العشوة كباب على حساب الأستاذ كالعادة.. وطعم الكباب مع السلطات مع الأفكار البديعة التي كانت على المائدة جعلني في حالة من النشوة مع إحساس خفي بأنني لا أصدق ما يحدث أمامي.. فهذا الكاتب العملاق الذي لم أترك حرفا كتبه إلا وقرأته وكنت دوما أشعر أنه هناك بعيدا جدا الآن هو أمامي يحكي ويحلل ويتكلم كلاما هو أروع ما سمعت في حياتي.. وكمان عازمني على كباب!! إيه الهنا اللي أنا فيه ده؟! وعلى مقهى في السيدة.. جلسنا نكمل الأمسية الكبابية.. لأنني أريد أن أشرب حجرين شيشة وأنا طبعا ابنه المدلل.. ولا يريد أن يحرمني من أي شيء.. وبدأ الأستاذ يتحدث.. كان يكلمنا عن

طه حسين.. وعن العقاد.. وعن نجيب محفوظ.. ونحن مسحورون مأخوذون بتفاصيله المثيرة وفجأة وجدنا حولنا.. القهوة كلها.. التفوا بطريقة مغناطيسية.. وانجذبوا إليه مثلنا.. وقلت لنفسي يومها.. من قال إن الثقافة للصفوة؟! وللقلة؟! وأدركت يومها قيمة هذا الرجل الحقيقية إنه زعيم الثقافة الشعبية في تاريخ الأدب المعاصر.. أنا أعلم أنه سيزعل مني.. لأنه أيضا لا يحب الألقاب.. ولا يحب التكريم.. ولا الجوائز.. يكلمني أحيانا.. ويسألني بلطف رائع.. أنت فاضي عاوز أشوفك.. تصوروا.. إنه يسألني إذا كنت فاضي أم لا.. وهل هناك أي شيء ممكن أن أفعله أهم من أن ألتقي به.. طبعا فاضي يا أستاذ.. وأفض الجلسة التي أنا فيها بسرعة.. وأسرف من أستطيع أن أصرفهم وأترازل على الباقين حتى يرحلوا فهم ما إن يعلموا أن الأستاذ قادم.. حتى يتسمروا في أماكنهم وينصرف رزالتهم على رزالتي.. ويأتي فيلقاهم بكل ترحاب.. يسألهم عن ظروفهم وأحوالهم.. وينصحهم.. ويساعدهم.. كأنهم جميعا أنا ... وفي العشر سنوات التي عشتها معه.. انهالت عليه أمامي وعن طريقي.. وعن طريق غيري.. مئات العروض المغرية والمحترمة في نفس الوقت.. وكنت أراه يرفضها بهدوء ورقة

غريبة.. وكان يختار دائما ذلك الدور الذي يحبه.. أن يدفعنا إلى الأمام.. أن يعلمنا.. أن يعزمنا على حسابه في السيدة.. كباب.. وكلام من أروع ما سمعت في حياتي.. وأخيرا يا أستاذي.. وأبي.. أرجوك اسمعني هذه المرة ولا تقل لي اسكت.. كتبك كلها قرأناها ونقرأها ومقالاتك البديعة في الأهرام ننتظرها بشوق ولهفة كل يوم أحد.. ولكن يا أستاذي لا تحرم الناس من أن يروا ما رأيته ويسمعوا ما سمعته منك.. والحياة الثقافية والأدبية في أشد الحاجة إليك.. أرجوك يا أبي أن تنقذنا من التفاهة والسطحية والتردي.. الصالة ممتلئة عن آخرها بالجمهور من العالم العربي كله.. واسمح لي أن أقتبس منك تعبيرك.. هذه أيامك- إنهم يحتلون أراضينا.. فهل تتحرر أدمغتنا على يديك؟! أستاذي.. وأبي.. أنت تفهم جيدًا ما أعنيه.. فهل تقبل؟! هه؟! ستقبل .

يا عفيفى .. تعال

لا أعلم لماذا تصورت الكاتبة المبدعة الأستاذة فريدة النقاش أن الكتابة عن محمد عفيفي مسألة سهلة.. ولا أعلم لماذا اعتقدت أنها سهلة على واحد مثلي.. إن الكتابة تصبح ممكنة إذا كانت عن هؤلاء الذين يعيشون بيننا .. يتفاعلون معنا.. ونتفاعل معهم.. يكلموننا ونكلمهم.. يأكلون مثلنا ويشربون ويتزوجون ويفشلون وينجحون ولكن.. محمد عفيفي.. لم يكن عائشا بيننا.. فهو ولد ساخرًا وعاش ساخرًا.. ورحل عنا وصدى ضحكاته الساخرة لا تزال تتردد حتى كتابة هذه السطور.. كان يتفرج علينا ويسخر ثم يتفرج على نفسه ويسخر.. ثم يسخر من سخريته نفسها وعاش هكذا.. عبقريًا لم يأخذ حقه.. ربما لأنه سخر من عبقريته.. وسخر من حقه وظل هكذا على حد تعبيره في علاقته بالآخرين يحب على الدوام أن يكونوا آخرين، وهذه الحالة الانعزالية جعلته يجلس

على قمة عالية ينظر إلينا منها نخلرته الساخرة فيضحكنا ويكشفنا أمام أنفسنا ولم تكن هذه القمة برجًا عاجيًا وإنما كانت أوضة فوق سطوح .

قبل عفيفي كان الأدب الساخر يدور في إطار محلي (حلمنتيشي) لا يخلو من (الأباحة) أحيانا والزجل كثيرًا والألفاظ العامية التي كانت تميل غالبًا إلى السوقية ولكنه.. فاجأنا جميعًا بأدب ساخر في منتهي الأناقة ونقلنا نقلة رائعة من قهوة بلدي إلى متحف اللوفر. ومن أم سحلول.. إلى المونالیزا.

وهذه الأناقة (العفيفية) هي التي جعلت (سويخر) مثلي الآن محترمًا في عيون الناس.. ولقد حدث مرة أنني من فرط هوسي به وافتتاني بأدبه الرفيع أن تجاسرت وحاولت.. أن .. أستغفر الله العظيم يارب.. أن أرد عليه.. أن ألعب معه لعبة.. أتلقف عباراته.. القنابل الساخرة وأرد عليها بصواريخي.. فكانت النتيجة أشبه بما يحدث في العراق الآن.. طبعا أنا العراق.

يقول عفيفي إذا نظرت إلى القمر وتنهدت فأنت عاشق وإذا نظرت إليه وتصعبت فأنت فيلسوف.. وإذا نظرت إليه وتثاءبت.. فأنت أنا!!

هل هناك من رد بعد هذا؟ ردوا انتوا بأه.. ويقول عفيفي.. (لم أستمتع برحلة من الرحلات التي قمت بها لأنني كنت على الدوام.. أصحب معي.. نفسي) .

العجيب أنني لم أستمتع برحلة من الرحلات إلا إذا كنت أصحب معي.. عفيفي.. أعني كتبه ومقالاته البديعة.. لم يترك عفيفي طقسًا إنسانيا إلا وتأمله وصوره بكاميرته الخاصة.. فرأينا المشهد من خلاله.. وقد تتحول إلى (مسخرة) عندك مثلاً.. وأنت تحلق ذقنك أو ترتدي ملابسك.. أو تشتري خروف العيد.. أو تتمشى في الشارع..

كان عفيفي بحق.. هو ملك الكاميرا الخفية وأعني هنا: المصادقة (غير المفتعلة) خذ عندك هذا التقليد اليومي حينما ترتدي ملابسك استعدادًا للخروج.. كيف عبر عنه عفيفي..

وكنا حيث نقف مفتونين أمام المرآة - نمد يدًا فنضعها في جيب البنطلون.. لنرى أثر هذه الحركة على الجاكيتة ثم نمد يدا أخرى فنضعها في جيب الجاكيتة لنرصد أثرها على البنطلون واقفين أمام المرآة بوجهنا ومرة بجنبنا ومرة بظهرنا وفي يدينا مرآة إضافية صغيرة نستعين بها على أخذ فكرة واضحة في المرآتين عن مشهدنا الخلفي .. من أين صور عفيفي

هذا المشهد؟! وكيف التقط هذه الحركات اللاشعورية.. وعمومًا لسنا الآن بصدد تحليل أدب عفيفي.. لأن ذلك لابد وأنه يزعجه إزعاجًا كبيرًا الآن.. وإنما السؤال الذي يطرح نفسه .. وبالمناسبة أغبى أنواع الأسئلة هى تلك التي تطرح نفسها السؤال.. إذا كان عفيفي كما وصفه نجيب محفوظ وكانت السخرية هي محور حياته ينبض بها قلبه ويفكر بها عقله و تتحرك بها إرادته وهي جلده ولحمه ودمه وأسلوبه عند الجد والهزل.. ولدي السرور والحزن.. وإذا كانوا يلقبونه موليير مصر- وهو عندي أكثر سخرية وروعة- وأني لأسمى موليير .. عفيفي فرنسا.. إحقاقًا للحق وإنصافًا لموليير.. وإذا كان عفيفي في ١٣ مؤلفًا كتبها كسر النحس وقدم لنا ١٣ تحفة أدبية لا أعلم ماذا كان شكل الحياة سيصبح بدونها أكيد كانت تبأه دمها سم.. إذا كان عفيفي ساخرًا بهذا الحجم.. وفيلسوفًا بهذا العمق.. وأديبًا بهذا المستوى الرفيع.. هنا يظهر السؤال الغبي الذي يطرح نفسه.. أين عفيفي؟ أين هو من التقدير والجوائز وما يستحق من التكريم هل كان (طيبًا) زيادة عن اللزوم؟! هل كان عزوفًا.. لا يحب الهيصة والتهليل هل حقد بعضهم على موهبته الفذة.. فتجاهلوه؟!

لقد سعدت سعادة كبيرة حينما علمت أن المجلة الراقية (أدب ونقد) ستصدر عددًا خاصًا عن عفيفي.. ولقد فكرت كثيرًا قبل أن أكتب عنه ووجدت أنه ليس المهم أن نقول إن محمد حسين عبد الوهاب عفيفي الذي ولد في بلبيس يوم ٢٥ فبراير سنة ١٩٢٢ في آخر الشهر كان أمير الكتابة الساخرة وأنه بلغ قمة لم يصل إليها من بعده أي كاتب ساخر.. والطريف أن عفيفي تزوج في يوم ٢٥ فبراير ١٩٥٠ برضه.. كأنه كان يسخر من يوم ميلاده ويوم زواجه في جملة واحدة ولم يسلم الموت نفسه من سخرية عفيفي.. وإني لأنقل لكم رؤيته الساخرة البديعة للموت.. فهو الذي قال لا أريد أن أموت قبل أن أكمل رسالتي أو على الأقل قبل أن أعرف ما هي.. وإذا مت فأكون شاكرًا لو نشرتم في النعي كافة محاسني.. لن يكلفكم ذلك أكثر من ثمن سطرين هذا وعد مني بألا أسد الشارع بسرادق لمأتمي أو أركب مكبر صوت يزعجك طول الليل. الموت في اعتقادي من الأشياء التي يجب أن يستحي المرء من إعلانها.. أرجوكم لا تسرفوا في الضجيج عند موتي.. زغروده واحدة تكفي.. ويقول:

ثم.. بينما هم ينزلون جثماني في القبر يؤسفني أنني لن أكون في الحال التي تسمح لي بأن أقول النكتة المناسبة للموقف!!

وبعد- هذه القنابل الساخرة الفريدة.. الغارقة في العمق.. والصدق.. والدهشة.. هي رؤية عفيفي المبهرة التي لا كلام بعدها وتطالبني الأستاذة فريدة النقاش أن أكتب عنه كيف يا سيدتي؟ لقد قال عفيفي كل شيء- وإذا كنت تريدين فعلاً أن يخرج العدد عن محمد عفيفي في أبهى صورة.. كلفي عفيفي نفسه أن يكتب.. وهو لن يتأخر.. أما أنا فأرجوكي.. أن تعفيني من هذه المهمة الشاقة.. وتقبلي عذري.

تطلب جميع أعمال الكاتب

من

أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي

٢٥ شارع وادى النيل المهندسين القاهرة

٥ شارع محمد شفيق من شارع ... المهندسين القاهرة

تليفون: ٣٠٢٧٩٦٥-٣٠٢٩٥٣٩-٢٠٤٢٤٦٩ فاكس ١٨٢١٨

E mail: innov@innovations-co.com

الفهـرس

الموضوع	الصفحة
إهداء	٣
مقدمة	٥
ملوك على عرش الفن	١٣
صورة في الخلوة الحليمية	١٦
لن يعود عبد الحليم	١٠
الحلوة.. الحلوة.. الحلوة	١٠
تاريخ الشتيمة في مصر العظيمة	١١
ابن عبد الحليم	١٨
الست دي.. أم كلثوم	٢١

من الأدب الساخر

نجوم في عز الضهر

إن فكرة الكتابة عمن تحب فكرة قديمة بل وأصيلة في التاريخ الإنساني. فالحب حاجه كده تطبق على نفسك وتجعلك في حالة ليس لها تفسير.. مبسوط !! قلقان !! زعلان !! مش على بعضك.. ولكن شيئاً ما بداخلك يظل يزن على ودانك.. قل.. تكلم وكاتبنا في هذا الكتاب أ/يوسف معاطي قرر أن لا يسكت، فكتب عن نجوم تلألأت وملأت الدنيا نوراً حتى في عز الضهر بأسلوبه الساخر الملتميز.. ربما لكي تحبهم أنت أيضاً يا عزيزي القارئ من زاوية جديدة يفتحها لك الكاتب لترى نجوماً كنت تحبهم مثله فتحبهم أكثر... وأكثر...

الناشر